أعلام المسلمين

٥١

الإمام الحافظ

علي ابن المديني

شيخ البخاري وعالم الحديث في زمانه

تأليف

إبراهيم محمد العلي



دار القلم

دمشق

أعلام المسلمين
٥١

الإمام الحافظ
علي ابن المديني

شيخ البخاري وعالم الحديث في زمانه

تأليف
إبراهيم محمد العلي

دار القلم
دمشق

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

بيروت - ص . ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

الإمامُ الحافِظُ

علي ابن المديني

هٰـذَا الرَّجُـل

- «أعلم الناس بحديث رسول الله، وخاصة بحديث ابن عيينة».

[الحافظ عبد الرحمن بن مهدي]

- «وأحسنهم سياقاً للحديث وأداءً له علي ابن المديني».

[أبو عبيد القاسم بن سلام]

- «كان علي علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل».

[أبو حاتم الرازي]

- «كان علي أعلم أهل عصره، كان أعلم زمانه».

«ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي ابن المديني، وربما كنت أغرب عليه». [الإمام البخاري]

- «كأن الله خلق ابن المديني لهذا الشأن». [الإمام النسائي]

- «كان من أعلم أهل زمانه بعلل حديث رسول الله ﷺ».

[ابن حبان البستي]

- «كان علي فيلسوف هذه الصنعة وطبيبها، ولسان طائفة الحديث وخطيبها». [الخطيب البغدادي]

- «حافظ العصر وقدوة أرباب هذا الشأن». [الذهبي]

- «أعلم أهل عصره بالحديث، وعلله». [ابن حجر العسقلاني]



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقـــدّمَة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، ورضي الله عن الصحابة الطيِّبين الطَّاهرين، ومَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الله تعالى أنعم على هذه الأُمَّة بهذا الدين القويم، فأخرجها به من الظلمات إلى النور، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن الجهل إلى نور العلم، فمن أخذ من هذا الدين بنصيبٍ وافر، رفع الله شأنه في الدنيا والآخرة. والعلماء هم أبرز مَنْ ظهر مِنْ أبناء هذه الأُمَّة لأنهم أخذوا بالحظ الوافر مِن نور العلم، ومَعين الحكمة، فرفع الله شأنهم فكانوا عقل الأُمَّة المفكر، ونورها الذي يهديها في الظلمات، وبصيرتها التي تميز بها بين الخبيث والطيب، والحق والباطل.

ولما كان العلماء بهذه المنزلة وهذه المكانة، فإن مصاحبتهم نعمة تزيد العمر وتباركه وتزكيه، والأخذ عنهم وقراءة سيرهم هي مِن أغلى ما تنفق فيه الأوقات، وتُبذل دونه المهج والحيوات.

فصاحبُ أهل العلم خير مصاحبٍ
وخادمُهم لا شك أفضلُ خادم
وإن اقتناء العلمِ أحسنُ للفتى
مِن الذهب التِّبْري وكنزِ الدراهم[1]

والحق يقال إن الإمام الحافظ علي ابن المديني هو أحد الأئمة العلماء الذين ينتفع بعلمهم وسيرتهم الطيبة، فكان من أبرز علماء عصره، بل أحد العلماء المتفردين في علم الحديث وعلله، إليه فيه المنتهى؛ لأنه بلغ فيه الغاية القصوى، حتى كان مرجع العلماء في عصره حين يحدث بينهم الاختلاف.

ولقد عشت مع هذا الإمام سنوات خمساً تعرفت فيها على أبرز عناصر العظمة في هذه الشخصية التي كان الإمام البخاري شيخ المحدثين في عصره يستصغر نفسه عنده.

ولقد حاولت في هذا الكتاب أن أُقدم هذه الشخصية العظيمة إلى القراء الكرام، في قالب وسط بين المنهج العلمي البحت،

(١) من أبيات للشيخ شمس الدين محمد بن محمد الطنتائي، الجواهر والدرر ص ٤٦٢.

وبين المنهج الوعظي، وقد عرضت هذه الشخصية على النسق التالي:

- **تمهيد:** عصر الحافظ علي ابن المديني.
- **الباب الأول:** حياة علي ابن المديني.

ويشتمل على سبعة فصول:

الفصل الأول: اسمه ونسبه وولادته ونشأته وأسرته.

الفصل الثاني: طلبه العلم ورحلاته العلمية.

الفصل الثالث: شيوخه وتلاميذه.

الفصل الرابع: علومه ومعارفه، ومؤلفاته.

الفصل الخامس: مكانته العلميّة، وثناء العلماء عليه.

الفصل السادس: ذكاؤه وحفظه، أخلاقه وسجاياه.

الفصل السابع: محنة القول بخلق القرآن ووفاته.

- **الباب الثاني:** جهود علي ابن المديني في خدمة السنة المشرَّفة.

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: علي ابن المديني وعلم العلل.

الفصل الثاني: علي ابن المديني وآراؤه في علم مصطلح الحديث.

الفصل الثالث: نماذج من نقده، ومروياته.

الخاتمة.

وختاماً فهذا جهد المقل، بذلته في بيان عناصر العظمة في

هذه الشخصية. فإنْ أحسنت فذلك بفضل الله وتوفيقه، وإنْ أخطأت فأسأل الله عز وجل أن يغفر لي وأن يجعل هذا الجهد في ميزان أعمالي يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا مَنْ أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

إبراهيم محمد العلي

عمان ـ ١١١٤٥ ـ الأردن

ص. ب. (٤١٥٤٢٦)

تمهيد

عصر الحافظ عليّ ابن المدينيّ

عاش الحافظ علي ابن المديني في النصف الأخير من القرن الثاني وحتى نهاية الثلث الأول من القرن الثالث الهجري، وهي فترة من الزمن كان حال العالم الإسلامي يشهد أقوى فتراته وأوسع مجالات اتساعه، ولا شك أن العصر ومجريات الأحداث فيه تؤثر في تكوين شخصية العالم، وإبراز ملكاته، وتنمية قدراته، فلا بد إذن أن نلقي الضوء في لمحات سريعة على مجريات ذلك العصر من خلال حديثنا عن الحالة السياسية، والحالة الاجتماعية، والحالة الدينية والعقيدية، والحالة العلمية في تلك الفترة المشرقة من تاريخنا الإسلامي.

الحالة السياسية:

ولد علي ابن المديني رحمه الله في فترة كانت الأقطار الإسلامية كلها تدين لخليفة واحد في الحكم، والصلات غير مقطوعة بين أهل هذه الأقطار على تباعد المسافات فيما بينهم، ولم يؤثر في صلاتهم اتساع أطراف الأقاليم التي امتدت إلى حدود الهند والصين شرقاً، وإلى المغرب الأقصى «مراكش» غرباً.

وقد عاصر علي ابن المديني رحمه الله سبعة من خلفاء بني العباس هم أقوى خلفاء هذه الدولة، فقد ولد في عهد المهدي الذي حكم ما بين (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ) وعاصر كل من الهادي (١٦٩ ـ ١٧٠ هـ) وهارون الرشيد (١٧٠ ـ ١٩٣ هـ) والأمين (١٩٣ ـ ١٩٨ هـ) والمأمون (١٩٨ ـ ٢١٨ هـ) والمعتصم (٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ) والواثق (٢٢٧ ـ ٢٣٢ هـ).

ولد علي ابن المديني في عصر المهدي الذي كان يعتبر عصره عصر الأمن والرفاهية للمسلمين لاهتمامه بأمورهم وأمور الدين، وخاصة القضاء على حركة الزندقة والإلحاد التي كانت تحاول القضاء على الإسلام وحكمه، ثم جاء بعده موسى الهادي ابن المهدي، وبقي على سيرة أبيه في الحكم والاهتمام بالقضاء على حركة الإلحاد.

ثم جاء هارون الرشيد وفي عصره بلغت الخلافة العباسية إلى أرقى وأعظم درجاتها صولة وسلطاناً وثروة وعلماً وأدباً، ارتقت فيه حضارة الدولة العباسية العلمية والأدبية والمادية إلى أرقى درجاتها، وقد استطاع الرشيد أن يقضي على الكثير من الثورات التي ظهرت في عصره.

وحين مات الرشيد ترك الدولة على أحسن حال من القوة والهيبة والتقدم في جميع نواحي الحياة، واستمرت هذه القوة في عهد أولاد الرشيد الثلاثة الأمين، والمأمون والمعتصم، وفي

عصر حفيده الواثق، على الرغم من الأحداث المؤسفة التي حصلت بين الأخوين الأمين والمأمون، وتجلى أبرز مظهر من مظاهر قوتها في فتح عمورية زمن المعتصم.

الحالـة الاجتماعيـة:

تأثرت الحياة الإسلامية في زمن العباسيين بحضارات الفرس والروم، حيث كان أكثر دعاة الخلافة العباسية الذين ساعدوا على إقامتها من الأعاجم، فلم يعد المجتمع الإسلامي على نقائه الذي كان في عهد الصحابة والتابعين، بل لم يعد كما كان في العصر الأموي، حيث تأثر المسلمون في المجتمع الإسلامي في العصر العباسي بما جاء عن الروم والفرس من عادات وتقاليد أثرت في مجرى حياتهم، وقد برز هذا في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم وسلوكهم وأخلاقهم، وفي لغتهم وأدبهم وفي عمائرهم وبلدانهم، حيث أسسوا بغداد عاصمة الخلافة، وبلغت بغداد الحضارة التي يعجز عن تصويرها القلم، من زيادة في الترف والمال وأنواع الرفاهيات والمتاجر والمصانع.

الحالـة الدينية والعقيدية:

إن الدارس لتاريخ العصر العباسي لا يخفى عليه أن كثيراً من الحركات المعادية للإسلام نشطت في هذه الفترة كالشعوبية والزندقة والإلحاد، حيث سيطر الأعاجم على الحكم، وازداد

نفوذهم السياسي في الدولة، فروجوا لأفكار زائفة، ووضعوا أحاديث كثيرة، ونشروا الخلاعة والمجون، وأحدثوا من البدع والمنكرات الشيء الكثير حتى طم الأمر وعم، وفاق كل تصور، حين ترجمت وعربت الكثير من كتب اليونان والروم والفرس والهند، حتى تفطن الخليفة المهدي لهذه المخاطر، فشجع أهل العلم على القضاء على هذه الفتنة، وأوصى ابنه أن يتنبه لمخاطر الزندقة، التي فشت وانتشرت بسبب حركة التعريب والترجمة، لإحياء المذاهب الإلحادية القديمة كالمانوية والزردشتية والمزدكية.

ومن الناحية العقيدية ظهرت في العالم الإسلامي فرق مختلفة كالخوارج والروافض والجهمية والقدرية والمعطلة وغيرها من الفرق المبتدعة، نشأ بعضها من الخلاف السياسي في أول الأمر، ثم تحول في آخره إلى فرق اعتقادية مستقلة ونشأ بعضها الآخر نتيجة لحركة الترجمة والتعريب لثقافات الأمم الأخرى، كل هذا أثر على ما كان موجوداً من خير كثير، وقوة في الإيمان عند المسلمين أخذوه عن التابعين لقرب عهدهم بهم، وكادت هذه الفتنة الهوجاء تحيط بالمجتمع الإسلامي لولا فضل الله على الأمة بوجود الكثرة الكاثرة من علماء الحق، الذين شمروا عن ساعد الجد للقضاء على الحركات المناهضة للإسلام، نجد هذا بشكل واضح جداً حين اجتاحت فتنة خلق القرآن المجتمع الإسلامي في عهد المأمون، وامتدت حتى عهد

المتوكل، حين أراد الخلفاء أن يحملوا الأمة كاملة لتبني هذا الرأي بالقوة. فامتحنوا العلماء بهذا الأمر، فصبر من علماء الإسلام من صبر، واستشهد من استشهد، وأجاب تحت التهديد كثير من العلماء، ولكن الله حمى هذه الأمة من هذه الفتنة فاندثرت إلى غير رجعة.

الحالـة العلميـة:

كان العصر الذي عاشه علي ابن المديني رحمه الله عصراً علمياً رائعاً جليلاً، نمت فيه العلوم الإسلامية نمواً عظيماً، وأصبح للعلم حواضر كثيرة في كافة العالم الإسلامي لا سيما بغداد والبصرة والكوفة.

فقد نمت المذاهب الفقهية الأربعة في هذا العصر، ودون الفقه وحررت ضوابطه، وظهرت علوم الفقه وأصوله، ونمت علوم القرآن لا سيما التفسير، وألفت الكتب الكثيرة في السيرة النبوية والمغازي والتاريخ والطبقات.

كما نشط كثير من أهل العلم لحفظ الأحاديث والآثار، ووضع القواعد لمعرفة صحيحها من سقيمها، فظهرت علوم الحديث وأسماء الرجال وبلغت إلى أكثر من مائة فن، وخلاصة الكلام أنه كلما احتاج علماء الإسلام إلى علم أوجدوه، ونتيجة لممارسة الأعمال والجهود من عهد النبوة إلى عهد التابعين، في مجال العقيدة والسنة والفقه والتفسير، تبلورت الحركة العلمية

في النصف الآخر من القرن الثاني في العالم الإسلامي وبداية القرن الثالث، حاول فيه العلماء محاولة شاملة لتدوين العلوم الإسلامية.

وقد حظيت السنة النبوية بمزيد من الاهتمام، ونشطت حركة تدوين السنة النبوية والآثار السلفية حركة قوية، تمركزت في المدن الإسلامية في مكة والمدينة والشام ومصر والكوفة والبصرة واليمن وخراسان والري وواسط وبغداد، وكان لفشو الوضع في الحديث أثر في اهتمام علماء الحديث بالتدوين حفظاً للسنة ومنعاً للتلاعب فيها، فشمر المحدثون عن ساق الجد للمحافظة على السنة النبوية، وقد برز في هذا العصر عدد كبير من العلماء الأجلاء الذين ساهموا في حركة التدوين في شتى أنواع العلوم فمنهم:

شعبة بن الحجاج، والثوري، والأعمش، وابن جريج، ومعمر بن راشد، وابن المبارك، ويحيى بن سعيد القطان، وسفيان بن عيينة، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الرزاق بن همام الصنعاني، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، والبخاري، ومسلم، وإسحاق بن راهويه، وأبو داود وغيرهم الكثير من علماء الحديث وحفاظه.

ومنهم ابن سعد والبلاذري والطبري ويعقوب بن سفيان في التاريخ.

ومنهم أبو حنيفة الدينوري، وابن قتيبة، والأصمعي، وابن

دريد، وأبو عبيدة القاسم بن سلام وغيرهم في علم اللغة والأدب والنحو.

ومنهم الشافعي، وأبو يوسف القاضي، ومحمد بن الحسن الشيباني في الفقه.

ومنهم الفضيل بن عياض، ووكيع بن الجراح، وهناد في الزهد.

وهو عصر الكثير من العلماء غير هؤلاء في كل فن وعلم، وفي كل بقعة من بقاع بلاد الإسلام.

وقد تميز علماء هذا العصر بالعمل مع العلم، والتقوى والورع، وقول الحق والمجاهرة به، والصيام، وقيام الليل، عدا القليل ممن شذ عن ركبهم، الذين لن يؤثروا على هذه الصورة المشرقة لذلك العصر الزاهر.

هذا استعراض سريع لذلك العصر الذي عاشه علي ابن المديني، لنتعرف على طبيعة المجتمع الذي نشأ فيه حتى نبغ وفاق الأقران بعلمه وفضله، وكان بين كوكبة العلماء كنجم ساطع يشار إليه بالبنان، وتشد إليه الرحال للاستفادة من علمه والأخذ عنه، فرحمه الله رحمة واسعة.



البَابُ الأوّل

حَيَاةُ الإِمَامِ عَلِيِّ ابْنِ المَدِيْنِيِّ

ويشتمل على سبعة فصول:

الفصل الأول: اسمه ونسبه وولادته ونشأته وأسرته.

الفصل الثاني: طلبه العلم ورحلاته العلمية.

الفصل الثالث: شيوخه وتلاميذه.

الفصل الرابع: علومه ومعارفه، ومؤلفاته.

الفصل الخامس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

الفصل السادس: ذكاؤه وحفظه، أخلاقه وسجاياه.

الفصل السابع: محنة القول بخلق القرآن، ووفاته.

الفَصلُ الأوَّل

اسْمُهُ وَنَسَبُهُ وَكُنْيَتُهُ وَلَقَبُهُ وَشُهْرَتُهُ

● «هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نَجيح بن بكر بن سعد السعدي مولاهم، البصري المولد، المدني الأصل، المعروف بابن المديني مولى عروة بن عطية السَّعديُّ من بني سعد بن بكر.

ونَجِيح: بمفتوحة وكسر الجيم وبالحاء المهملة.

السَّعْديُّ: بفتح السين وتشديدها وتسكين العين المهملة، وتشديد وضم الياء في آخرها»[1].

وقيل: علي بن عبد الله بن جعفر بن يحيى بن بكر بن سعيد[2]. والأول أصح وأشهر.

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٥٠)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١)، المنهج الأحمد (١/ ٩٧)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٤٩)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٨)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٤٥)، التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢/ ٢٨٤) ترجمة (٢٤١٤)، الجرح والتعديل (٦/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/ ٣٠٨)، مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٧٦).

(٢) النجوم الزاهرة (٢/ ٢٧٦).

● أما نسبته: فقد نسب إلى المدينة بلداً، ولذلك عرف بابن المديني أو المدني، والأصح لغة المدني، أما الأشهر في الاستعمال المديني[1].

● وأما شهرته: فقد اشتهر بابن المديني، فإذا أطلق هذا الاسم انصرف الذهن إلى إمامنا، لأنه عرف به دون غيره فهو علم عليه[2].

● كان إمامنا يكنى بأبي الحسن[3]، وكان الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله يكنيه به ولا يسميه تبجيلاً له، قال أبو حاتم: كان علي ابن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل، وكان أحمد بن حنبل لا يسميه، إنما يكنيه أبا الحسن تبجيلاً له، وما سمعت أحداً سماه قط[4].

● ولادته: ولد علي ابن المديني رحمه الله في سنة إحدى وستين ومئة للهجرة، وهذا قول جماهير أهل العلم بالرجال[5].

---

(١) الجمع بين رجال الصحيحين (١/ ٣٥٦)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٤٩)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٥٠)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١ ـ ٤٢)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٩) وغيرها من المصادر.

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) الجرح والتعديل (٦/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٣)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥).

(٥) تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٩)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٢٤٨)، النجوم الزاهرة (٢/ ٢٧٧)، شذرات الذهب (٢/ ٨١)، =

وقال ابن حبان في الثقات: ولد سنة ثنتين وستين ومائة في شهر ربيع الأول.

أسرتـــه:

نشأ علي ابن المديني في أسرة ذات علم وفضل، ورث العلم فيها كابراً عن كابر، فمنذ ولادته تفتحت عيناه على العلم وطلب العلم، فحمل الراية وكان له النصيب الأوفر في هذا المجال، ولمّا كان أثر الأسرة له دور كبير في نشأة أي عالم من العلماء، كان لا بد من تعريف موجز بأسرة علي ابن المديني، نبدأ هذا التعريف من خلال ترجمتنا لكل من أبيه، وجده، ووالدته، وأبنائه؛ لعلنا من خلال ذلك نوضح حال الأسرة التي نشأ فيها علي ابن المديني:

١ ـ والده عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي محدث مشهور، متفق على ضعفه سكن البصرة.

روى عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع، وثور بن زيد الديلمي، وجعفر بن محمد الصادق، وزيد بن أسلم، وعبد الله بن دينار، والعلاء بن عبد الرحمن، ومالك بن أنس، وموسى بن عقبة، ومسلم بن أبي مريم، ونافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي وغيرهم.

وعنه: ابنه علي، وإسماعيل بن جعفر بن أبي كثير،

= تهذيب التهذيب (٧/٣٥٦)، سير أعلام النبلاء (١١/٤٣).

وبشر بن معاذ العقدي، وبهز بن أسد، وعلي بن حجر، وأبو داود الطيالسي، وعلي بن الجعد، وقتيبة بن سعيد، ويحيى بن أيوب المقابري، ومحمد بن الفضيل عارم، وغيرهم.

قال يحيى: ليس بشيء، وقال ابن المديني: أبي ضعيف. وقال أبو حاتم: منكر الحديث جداً، وقال النسائي: متروك الحديث، وقال الجوزجاني: واه.

مات سنة ثمانٍ وسبعين ومئة روى له الترمذي وابن ماجة[1].

٢ ـ جعفر بن نجيح السعدي، جد علي ابن المديني: روى عن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق[2].

٣ ـ والدة علي ابن المديني: كانت أمه عاقلة، لبيبة، ذكية، مسلمة قوية الإيمان يدل على ذلك أن علي ابن المديني غاب عنها غيبة طويلة، في رحلاته العلمية، وتركها بالبصرة، وعاد بعد مدة، فهدأت نفسها، وقرت عينها به.

---

(١) تهذيب الكمال (١٤/ ٣٧٩ ـ ٣٨٤)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٧٤)، ميزان الاعتدال (٢/ ٤٠١)، المجروحين (٢/ ١٤)، شذرات الذهب (١/ ٢٨٨)، التاريخ الصغير (٢/ ٢١٦)، المعرفة والتاريخ (٢/ ٢٦٩، ٢٧١)، الجرح والتعديل (٥/ الترجمة ١٠٢) السابق واللاحق (٣٣٩)، تقريب التهذيب (١/ ٤٠٦)، ضعفاء النسائي (ترجمة ٣٣٠)، ضعفاء أبي نعيم (ترجمة ١٠٥)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٨).

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٨).

يقول علي ابن المديني عن هذه الحادثة:

«غبت عن البصرة في مخرجي إلى اليمن ـ (قال الراوي) أظنه ذكر ثلاث سنين ـ وأمي حية، فلما قدمت، قالت: يا بني! فلان لك صديق، وفلان لك عدو، قال: فقلت لها: من أين علمت يا أُمه؟

قالت: كان فلان وفلان، فذكرت فيهم يحيى بن سعيد، يجيئون مسلمين فيعزوني، ويقولون: اصبري، فلو قدم عليكِ سرك الله عز وجل بما ترين به.

فعلمت أن هؤلاء محبوك وأصدقاؤك، وفلان وفلان إذا جاؤوا يقولون لي: اكتبي إليه، وضيقي عليه، واحرجي عليه ليقدم عليك، هذا أو نحوه»[1].

هذا النص يبرز لنا ما تمتعت به من رجاحة عقل، وبعد نظر، وحسن تقدير للأمور، وهذا ترك أثراً طيباً في تربيتها ابنها وتنشئته، ورعايته قبل وفاة والده وبعد ذلك مما شجعه على أن يسلك طريق العلم ويبذل فيها أقصى ما يستطيع من جهد، استطاع من خلاله أن يحقق لهذه الأُم ما كانت تتمناه لابنها من خلال رؤيتها له يتبوأ مكان الصدارة في العلم والفضل والمكانة، وقد تحقق لها ذلك بصبرها، رحمهما الله تعالى.

(١) سير أعلام النبلاء (١١/٤٩)، تاريخ بغداد (١١/٤٦٢)، المعرفة والتاريخ (٢/١٣٦).

أمـــا أبنـــاؤه:

٤ ـ عبد الله بن علي ابن المديني: من أهل البصرة، قدم بغداد وحـدث بهـا عـن أبيـه. روى عنـه محمـد بـن عبـد الله المستعيني، ومحمد بن عمران بن موسى الصيرفي.

قال المستعيني: حدثني عبد الله بن أبي سعد الوراق عن محمد بن علي ابن المديني عن أبيه بكتاب المدلسين، ثم قدم علينا عبد الله بن علي فحدثنا بالكتاب عن أبيه.

وقال حمزة بن يوسف السهمي: سألت الدارقطني عن عبد الله بن علي بن عبد الله المديني روى عن أبيه كتاب العلل؟

فقال: إنما أخذ كتبه وروى إجازة ومناولة. قال: وما سمع كثيراً من أبيه. قلت: لم؟ قال: لأنه ما كان يمكنه من كتبه، قال: وله ابن آخر، يقال له محمد وقد سمع من أبيه، وقد روى وهو ثقة[1].

٥ ـ محمد بن علي ابن المديني: روى عن أبيه من أهل البصرة.

روى عن أبيه كتاب المدلسين، وقد وثقه الدارقطني كما جاء في ترجمة أخيه عبد الله[2].

٦ ـ أحمد بن علي ابن المديني: روى عن يحيى بن معين،

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/٩ ـ ١٠)، سؤالات حمزة السهمي للدارقطني (ص ٢٣١) ترجمة (٣٢٣).

(٢) انظر المصدر السابق.

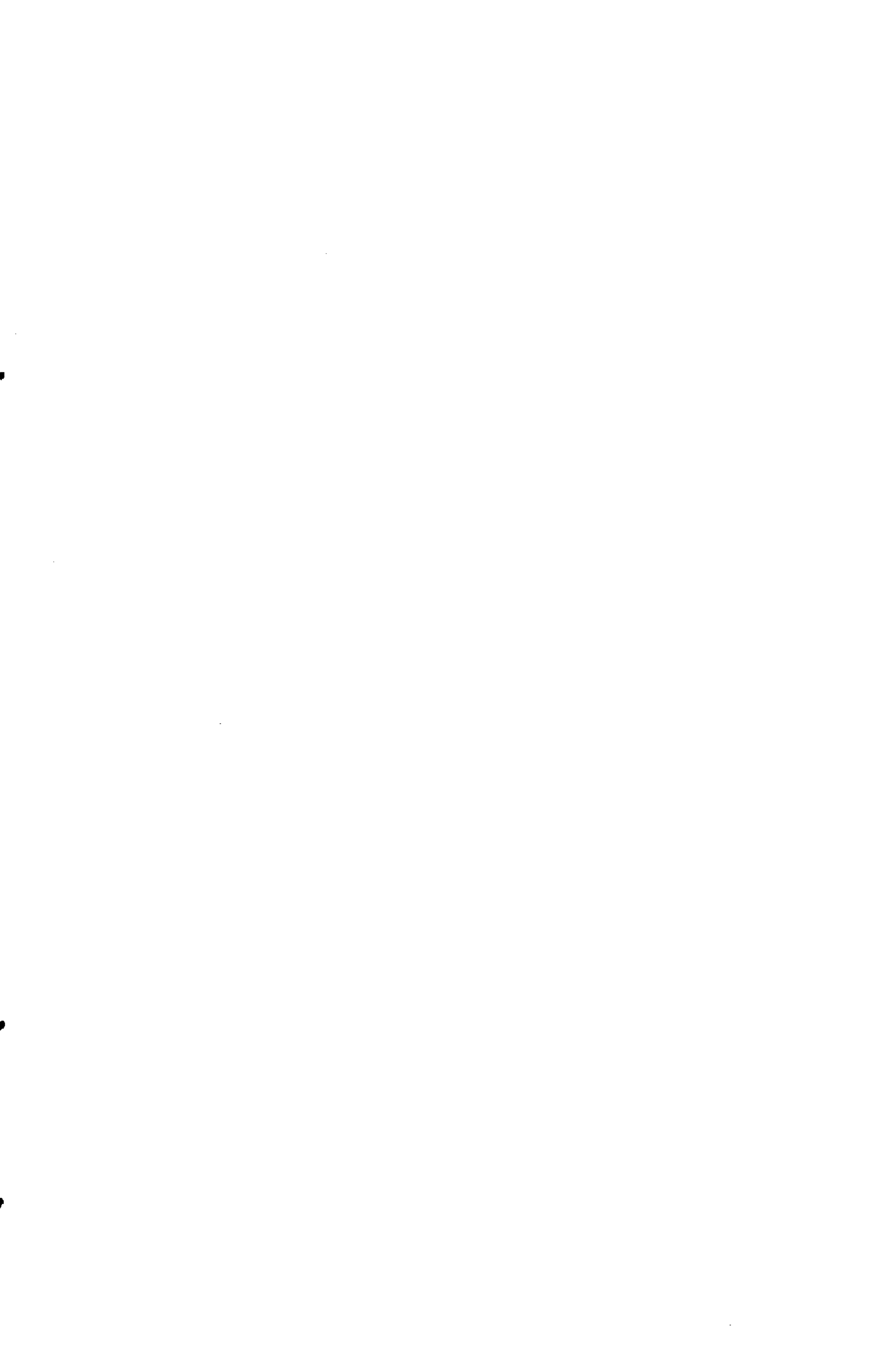
وحسين بن حسن السلماني، وعنه ابن عدي في الكامل ولم أقف له على ترجمة[1].

٧ ـ جعفر بن محمد بن علي ابن المديني: كان ممن روى عن أبيه، ولم أقف له على ترجمة.

في مثل هذا الجو العلمي نشأ علي ابن المديني رحمه الله تعالى يتقلب في أعطاف العلم، تعلماً وتعليماً، هذا مع ما آتاه الله من فكر وقاد، وحافظة غريبة، واطلاع مدهش صار له الأثر الكبير جداً في نبوغه على صفة كريمة، وعلم لم يسبقه إليه أحد، ولم يلحق به أحد، وذكراً ملأ الكتب والأسماع، ثناءاً جميلاً وذكراً حميداً وتراثاً ازدانت به المكتبة الإسلامية، فكلما ذكر علم العلل، واختلاف الأحاديث، ذكر معه علي ابن المديني على أنه فارسه الذي لا يشق له غبار، والذي أدهش أهل عصره بما حباه الله من العلم، وهذا كله فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

---

(١) الكامل (٤/١٤٢٨، ١٥٨١).



الفصل الثاني

طلبه العلم ورحلاته العلمية

١ ـ طلبه العلم

أولاً ـ ابتداء طلبه للعلم مبكراً:

إن الناظر في حياة ابن المديني رحمه الله يلمس منه رغبة صادقة في طلب العلم، وجلداً عظيماً في البحث والتنقيب، وحرية في التلقي عن شيوخه، وتفانياً في سبيل العلم، امتزج كل هذا بلحمه ودمه منذ نعومة أظفاره، فابتدأ طلب العلم في سن مبكر.

ويظهر لنا هذا من خلال مقارنة تاريخ ولادته سنة ١٦١ هـ وتاريخ وفيات بعض شيوخه الذين أخذ عنهم:

ـ فقد روى عن أبيه عبد الله بن جعفر الذي توفي سنة (١٧٨ هـ) وعمر علي لا يتجاوز السابعة عشرة[١].

ـ وروى عن جعفر بن سليمان الذي مات سنة (١٧٨ هـ) وعلي في السابعة عشرة من عمره[٢].

---

(١) سبقت ترجمة عبد الله بن جعفر في الفصل الأول.
(٢) تهذيب الكمال (٥/ ٤٣).

ـ وروى عن حماد بن زيد الذي مات سنة (١٧٩ هـ)[١].

قال جعفر بن محمد الصائغ: اجتمع عفان وابن المديني وأبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن حنبل. فقال عفان: ثلاثة يضعفون في ثلاثة: علي في حماد، وأحمد في إبراهيم بن سعد، وأبو بكر في شريك، فقال علي: وعفان في شعبة.

قال الذهبي معلقاً على هذا: «قلت هذا منهم على وجه المباسطة، لأن هؤلاء من صغار من كتب عن المذكورين»[٢].

والظاهر أن الاتجاه السائد في ذلك الوقت أن يبدأ طلب الحديث من خمس عشرة إلى عشرين سنة، وقد اختلفت وجهة النظر في القرون المتأخرة حتى قيل: يصح التحمل إذا ميز الولد بين الحمار والبقرة، لكن هذا الاتجاه متأخر جداً عندما ألفت الكتب، ولم يبق إلّا الاحتفاظ بسلسلة الرواية، وحرص الناس على الرواية بإسناد عالٍ، وإلا فمنهج المتقدمين يختلف تمام الاختلاف عن منهج المتأخرين في هذا الصدد، فقد كان الطلاب في العصر الأول يلتحقون بحلقة المحدثين في حدود العشرين من أعمارهم.

ـ قال الثوري: «كان الرجل يتعبد عشرين سنة ثم يكتب الحديث»[٣].

---

(١) تهذيب الكمال (٧/ ٢٨٨).
(٢) الميزان (٣/ ٨٢).
(٣) المحدث الفاصل (ص ١٨٧ ـ ١٨٨) النص رقم (٥٢).

ـ وقال أبو عبد الله الزبيري: يستحب كتب الحديث من العشرين لأنها العقل. وقال: «وأحب إليّ أن يشتغل دونها بحفظ القرآن والفرائض»[1].

ـ وقال الزهري لابن عيينة ـ وكان ابن خمس عشرة سنة ـ: «ما رأيت طالباً للعلم أصغر منك»[2].

وبهذا يتبين لنا أن علي ابن المديني رحمه الله قد طلب الحديث ما بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة، وهذا هو السن المناسب الذي كان أهل ذلك العصر يطلبون الحديث فيه.

ثانياً ـ طريقته في طلب العلم:

سلك علي ابن المديني رحمه الله طريقة جميلة جداً في طلبه للعلم، كان لها دور كبير في تفوقه على أقرانه وأهل عصره وهم جهابذة الدنيا في هذا العلم، فبالرغم مما كان يتمتع به من ذاكرة قوية، وحافظة فذة، وقوة إدراك متميزة، فقد اعتمد على أمور ووسائل أخرى في طلب العلم:

١ ـ استعانته بالكتابة لكي تكون له عوناً على حفظ الأحاديث.

ـ قال ابن المديني: «كتبت كتب عبد الوارث عن عبد الصمد، وأنا أشتهي أن أكتبها عن أبي معمر»[3].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المحدث الفاصل (ص ١٨٥) النص رقم (٤٥).

(٣) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٥).

- وقال علي ابن المديني: قلت لعثمان بن عمر: «بلغني أن روح بن عبادة أخذ منك كتاب عمران بن حدير؟ فقال لي عثمان: أنا والله استعرت من روح بن عبادة كتاب عمران بن حدير»[1].

- عن محمد بن يونس قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: تركت من حديثي مائة ألف حديث، فيها ثلاثون ألفاً لعباد بن صهيب»[2].

٢ ـ كتابته لكل ما سمع حتى أنه كان يكتب الضعيف للمعرفة.

- عن أبي غسان الكوفي قال: «جاءني علي ابن المديني، وكتب عني أحاديث إسحاق بن أبي فروة من حديث عبد السلام ابن حرب، فقلت: ما تصنع بكتابة هذه؟ قال: نعرفها، لا تقلب علينا»[3].

- عن عثمان بن سعيد قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: سمعنا مصنفات وكيع، وأخرج الزيادات بعد، فخرجنا إلى الكوفة، فجعلنا نتتبع تلك الزيادات، ويحيـى بن معين يكتب على الوجه، لئلا يسقط عليه حديث»[4].

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٤٠٥).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٧٦) النص (١٥٣١).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٩٢) النص (١٥٧٩).
(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٨٨) النص (١٥٦٩).

٣ ـ سؤاله لكل من يرى أنه أهل للسؤال سواء كان المسؤول أكبر منه سناً، أو أصغر منه.

ـ وقال يوسف بن ريحان: «سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان علي ابن المديني يسألني عن شيوخ خراسان، إلى أن قال: كل من أثنيت عليه فهو عندنا الرضى»[١].

ـ وقال إبراهيم بن المنذر الحزامي: قدمت البصرة، فجاءني علي ابن المديني، فقال: أول شيء أطلب أن تخرج إليَّ حديث الوليد بن مسلم، فقلت: يا ابن أم! سبحان الله! وأين سماعي من سماعك؟ فجعلت آبى، ويُلحُّ، فقلت له: أخبرني عن إلحاحك ما هو؟ قال: أخبرك: أن الوليد رجل أهل الشام، وعنده علم كثير، ولم أستمكن منه، وقد حدثكم بالمدينة في المواسم، وتقع عندكم الفوائد، لأن الحجاج يجتمعون بالمدينة من الآفاق، فيكون مع هذا بعض فوائده، ومع هذا شيء. قال: فأخرجت إليه، فتعجب من كتابه، كاد أن يكتبه على الوجه»[٢].

٤ ـ حثه على جمع الأبواب الحديثية والتوسع فيها، وعدم الاقتصار على ما اشتهر منها، لأن ذلك علامة على قلة النجابة والذكاء.

ـ عن محمد بن شعيب قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: إذا رأيت الحدث أول ما يكتب الحديث يجمع حديث

---

(١) تهذيب التهذيب (٩/ ٥٠).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢١٤)، المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٢٢).

الغسل، وحديث من كذب، فاكتب على قفاه: لا يفلح»[1].

٥ ـ حبه لطلب العلم:

ـ قال الحميدي: «قال علي ابن المديني: يحملني حبي لهذا الحديث، أن أحج حجة فأسمع من محمد بن حسن»[2].

٦ ـ طريقته في الاستعانة على حفظ الحديث وصعوبة علم الحديث:

ـ عن يعقوب بن أسد قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: إذا ذهبت تغلب هذا الأمر يغلبك، فاستعن عليه، بأظن، وأرى»[3].

٧ ـ التخير والانتقاء والانتخاب من أحاديث الشيوخ ووضعه إشارة على ما ينتخبه من الأحاديث.

ـ قال عبد الله بن أحمد لأبيه: «قدم رجل من البصرة عنده كتب غندر ـ يعني عقبة بن مكرم ـ فقال أبو عبد الله: ما أعلم أحداً كتب الكتب غيرنا، أخذنا من علي ـ يعني ابن المديني ـ كتبه فكان انتخاباً، فأخذنا كتب الشيخ فكنا ننسخها»[4].

ومنها وضع علامة على ما ينتخب من الأحاديث.

ـ عن محمد بن إسحاق السراج أبو العباس قال: «نا

(١) الجامع (٢/ ٣٠١) النص (١٩١٢).
(٢) الكامل لابن عدي (١/ ١٣٠).
(٣) الكامل لابن عدي (١/ ١٥٤).
(٤) تهذيب التهذيب (٧/ ٢٥٠).

قتيبة، نا الليث، عن أبي الزبير، عن أبي الطفيل، عن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ بمثله. (قال أبو العباس السراج): رأيت على هذا الحديث في كتاب قتيبة ست علامات منها علامة أحمد بن حنبل، ويحيـى بن معين، وعلي ابن المديني، وأبو بكر ابن أبي شيبة، وغيرهم»[١].

ثالثاً ـ طريقته في مذاكرة العلم وحفظه:

كان علي ابن المديني إذا فرغ من تلقي العلم عن أساتذته يستعيد ما تلقاه منهم، ويستذكر ما رواه عنهم رغبة في جمعه وحفظه، وخوفاً من ضياعه ونسيانه، وقد بذل في ذلك جهداً كبيراً، وكلفه الكثير من أجله، فبالغ في المذاكرة، وتفنن في الحفظ، وسلك من أجل تحقيق ذلك وسائل مختلفة:

١ ـ مذاكرته مع نفسه: حيث كان يستغرق منه وقتاً كبيراً في المذاكرة والحفظ، وكان يتشاغل بهما عما سواهما حتى ولو كان ذلك في منتصف الليل.

ـ قال أبو أمية الطرسوسي: «سمعت علياً يقول: ربما أذكر الحديث في الليل، فآمر الجارية تسرج السراج فأنظر فيه»[٢].

٢ ـ مذاكرته مع غيره: فقد كان يذاكر مع أقرانه، وشيوخه من أهل العلم:

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٥٨) النص (١٤٨٠).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣).

أ ـ مذاكرته مع يحيى القطان:

ـ عن ابن عرعرة قال: «كنت عند يحيى بن سعيد ـ وعنده بلبل، وابن أبي شيبة، وعلي ـ فأقبل ابن الشاذكوني، فسمع علياً يقول ليحيى القطان: طارق وإبراهيم بن مهاجر؟ فقال يحيى: يجريان مجرى واحداً.

فقال الشاذكوني: يسألك عما لا تدري، وتكَلَّف لنا ما لا تحسن، إنما تكتب عليك ذنوبك، حديث إبراهيم بن مهاجر خمس مائة، وحديث طارق مئتان، عندك عن إبراهيم مائة، وعن طارق عشرة، فأقبل بعضنا على بعض، فقلنا: هذا ذل، فقال يحيى: دعوه، فإن كلمتموه لم آمن أن يقذفنا بأعظم من هذا»[1].

ب ـ مذاكرته لعبد الرحمن بن مهدي:

ـ عن القاسم بن نصر المخرمي أنه قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: قدمت الكوفة، فعنيت بحديث الأعمش، فجمعتها، فلما قدمت البصرة لقيت عبد الرحمن، فسلمت عليه، فقال: هات يا علي ما عندك؟ فقلت: ما أحد يفيدني عن الأعمش شيئاً، قال: فغضب، فقال: هذا كلام أهل العلم، ومن يضبط العلم، ومن يحيط به، مثلك يتكلم بهذا؟ أمعك شيء تكتب فيه؟ قلت: نعم، قال: اكتب، قلت: ذاكرني، فلعله

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٤٣ ـ ٤٤)، الكامل لابن عدي (١/ ١٣٧، ٢١٦، ٣/ ١١٤٣).

عندي، قال: اكتب، لست أُملي عليك إلا ما ليس عندك، قلت: فأملى عليّ ثلاثين حديثاً لم أسمع منها حديثاً، ثم قال: لا تعد، قلت: لا أعود. قال علي: فلما كان بعد سنة جاء سليمان من أعلم أصحابنا بالحج، قال: فذهبنا، فدخلنا عليه، فسلمنا، وجلسنا بين يديه، فقال: هاتا ما عندكما، وأظنك يا سليمان صاحب الخطبة؟ قال: نعم، ما أحد يفيدنا في الحج شيئاً، فأقبل عليه بمثل ما أقبل عليّ، ثم قال: يا سليمان، ما تقول في رجل قضى المناسك كلها إلا الطواف بالبيت، فوقع على أهله؟ فاندفع سليمان فروى: يتفرقان حيث اجتمعا، ويجتمعان حيث تفرقا. قال: ارو: ومتى يجتمعان؟ ومتى يفترقان؟ قال: فسكت سليمان. فقال: اكتب، وأقبل يلقي عليه المسائل، ويملي عليه، حتى كتبنا ثلاثين مسألة، في كل مسألة يروي الحديث والحديثين، ويقول: سألت مالكاً، وسألت سفيان وعبيد الله بن الحسن. قال: فلما قمت قال: لا تعد ثانياً، بقول مثل ما قلت، فقمنا وخرجنا، قال: فأقبل عليَّ سليمان فقال: إيش خرج علينا من صلب مهدي هذا؟ كأنه كان قاعداً معهم، سمعت مالكاً وسفيان وعبيد الله»(١).

جـ ـ مذاكرته لأقرانه أحمد بن حنبل ويحيـى بن معين:

ـ عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة سمعت علياً يقول: «كنت إذا قدمت بغداد منذ أربعين سنة كان الذي يذاكرني

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٧٧) النص (١٨٤٥)، المحدث الفاصل (ص ٢٥١) النص (١٥٩).

أحمد بن حنبل، فربما اختلفنا في الشيء فنسأل يحيى بن معين، فيقوم فيخرجه ما كان أعرفه بموضع حديثه»[1].

٣ ـ التحديث من كتاب مما يعطيه ثقة أكبر بما يحفظ إذا تطابق مع ما في الكتاب:

ـ عن يحيى بن محمد بن يحيى قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: عهدي بأصحابنا وأحفظهم أحمد بن حنبل، فلما احتاج أن يحدث لا يكاد يحدث إلا من كتاب»[2].

ـ وعن الحسين بن الحسن الرازي قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتاب. ولنا فيه أسوة»[3].

ـ وعن سهل بن المتوكل البخاري قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: قال لي سيدي أحمد بن حنبل لا تحدثني إلا من كتاب»[4].

رابعاً ـ عوامل جمعه للعلم:

اجتمع للإمام علي ابن المديني من الرغبة الصادقة في طلب العلم، والذكاء الوقاد، والعزيمة المتينة، والمذاكرة للحفاظ على ما تعلم وحفظ، شيئاً عظيماً، ومع هذا كله فقد

(١) تهذيب التهذيب (١١/ ٢٨٣).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٢) النص (١٠٣١).

(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٢) النص (١٠٣٠).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٢) النص (١٠٣٢).

اتفق له من العوامل ما أعانه على جمع كل هذا العلم الذي كان عنده، واستيعابه على الوجه الأكمل، ومن هذه العوامل:

أ ـ الشجاعة الأدبية:

تميز علي ابن المديني بشجاعة أدبية نادرة وهو يطلب العلم، فكان لا يهاب مجالس العلم ولا عظمة من يقوم بالتدريس، ولا يخيفه كثرة أعداد الجالسين، فيصحح الخطأ إذا سمعه، ويرد على شيوخه إذا وجد أنهم أخطأوا، وسأضرب لذلك نماذج وأمثلة تراها فيما يلي:

١ ـ رده على شيخه يحيى بن سعيد القطان:

ـ عن عبد الرحمن بن محمد: «سمعت علياً قال: كانوا يقولون: إن يحيى بن سعيد يتكلم في روح، فإني لعند يحيى، إذ جاءه روح، فسأله عن شيء من حديث أشعث، فلما قام، قلت ليحيى: أما تعرف هذا؟ قال: لا، قلت: هذا روح بن عبادة، كأنه كان يعرفه، ولكن لم يجمع بين اسمه وصفته، قال: فقال: هذا روح؟ ما زلت أعرفه يطلب الحديث ويكتبه، قال علي: ولكن كان عبد الرحمن بن مهدي، يطعن على روح، وينكر عليه أحاديث ابن أبي ذئب عن الزهري هذه المسائل، فقال لي معن: وما يصنع بها، هي عند بصري لكم كان عندنا ها هنا حين قرأ علينا ابن أبي ذئب هذا الكتاب، قال علي: فأتيت عبد الرحمن، فأخبرته، فأحسبه قال: استحله لي»[1].

---

(١) تاريخ بغداد (٨/ ٤٠٤)، تهذيب الكمال (٩/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣)، تهذيب =

٢ ـ رده على شيخه عبد الرحمن بن مهدي:

ـ قال علي ابن المديني: «ذكر عبد الرحمن بن مهدي روح بن عبادة، فقلت: لا تفعل فإن ها هنا قوماً يحملون كلامك، فقال: أستغفر الله، ثم دخل فتوضأ ـ يذهب إلى أن الغيبة تنقض الوضوء»[1].

٣ ـ رده على شيخه روح بن عبادة:

ـ عن عفان قال: «ثنا غلام من أصحاب الحديث يقال له عمارة الصيرفي: أنه كان يكتب عن روح بن عبادة وعلي ابن المديني، فحدثهم بشيء عن شعبة عن منصور عن إبراهيم، فقال له: هذا عن الحكم، فقال روح لعلي: ما تقول؟ فقال: صدق هو عن الحكم. قال: فأخذ القلم فمحا منصوراً وكتب الحكم».

قال عفان: فسألت علياً عن حكاية عمارة فصدقه»[2].

٤ ـ رده على شيخه أزهر بن سعد السمان:

ـ عن علي ابن المديني قال: «رأيت في أصل أزهر في حديث علي في قصة فاطمة في التسبيح عن ابن عون عن محمد بن سيرين مرسلاً، فكلمت أزهر فيه وشككته فأبى»[3].

٥ ـ رده على شيخه علي بن عاصم:

= التهذيب (٣/ ٢٩٣)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٠٤).

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٠٦)، تاريخ بغداد (٨/ ٤٠٢).

(٢) تهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٥).

(٣) تهذيب التهذيب (١/ ٢٠٣).

ـ قال ابن المديني: «كان علي بن عاصم كثير الغلط، وإذا رُدَّ عليه، لم يرجع، وكان معروفاً في الحديث، ويروي أحاديث منكرة، وبلغني أن ابنه قال له: هب لي من حديثك عشرين حديثاً، فأبى»[1].

ـ وقال ابن المديني: «أتيته بواسط، فنظرت في أثلاث كثيرة، فأخرجت منها مئتي طرف، فذهبت إليه، فحدَّث عن مغيرة عن إبراهيم في التمتع، فقلت له: إنما هذا عن مغيرة رأيُ حماد. قال: من حدثكم؟ قلت: جرير، قال: ذاك الصبي، لقد رأيت ذاك ناعساً، ما يعقل ما يقال له، قال: ومر شيء آخر، فقلت: يخالفونك، قال: من؟ قلت: أبو عَوَانة، فصاح، وقال: ذاك العبد! ومر بشيء، فقلت: يخالفونك، فقال: من؟ قلت: إسماعيل بن إبراهيم، قال: ومن ذا؟ قلت: ابن عُلَيَّة، قال: ما رأيت ذاك يطلب حديثاً قط، وقال لشعبة: ذاك المسكين! كنت أُكلم له خالداً الحذاء، فيحدثه. رواها عبد الله ابن المديني عن أبيه»[2].

ب ـ الصبر والتحمل:

إن الصبر أمر بدهي لمن أراد أن يتصدى لطلب العلم، والوصول إلى كل ما تتوق إليه نفسه من علوم ومعارف، فلذلك لا نستغرب إذا رأينا الإمام علي ابن المديني يصبر ويصابر،

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٥٣)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٣).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٥٤)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٠).

ويتحمل الكثير من أجل أن يصل إلى غايته ومقصوده من العلم، فمن ذلك صبره أربعين سنة حتى حصل وعرف علة حديث كان يبحث عنها.

ـ عن أبي علي صالح بن محمد البغدادي قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: ربما أدركت علة حديث بعد أربعين سنة»[1].

جـ ـ ملازمته لكثير من كبار أساتذته وطول مجالسته لهم:

إن ملازمة الأساتذة والشيوخ، وطول المجالسة من العوامل الهامة والضرورية لتنمية المعلومات لطالب العلم، وقد توفر له من طول المصاحبة والملازمة لكثير من شيوخه ما لم يتوفر لغيره، وقد أفاد الكثير من العلم من وراء هذه الملازمة:

ـ قال يحيى بن معين: «علي من أروى الناس عن يحيى القطان، أرى عنده أكثر من عشرة آلاف، عنده عنه أكثر من مسدد، كان يحيى يدني علياً وكان صديقه»[2].

ـ قال عباس العنبري: «كان يحيى القطان ربما قال: لا أحدث شهراً ولا أحدث كذا، فحدثتُ أنه حدث ابن المديني قبل انقضاء الشهر. قال: فكلمت يحيى في ذلك، فقال: إني أستثني علياً، ونحن نستفيد منه أكثر مما يستفيد منا»[3].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٥٧) النص (١٧٧٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥ ـ ٤٦).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥).

- قال عبد الرحمن بن مهدي: «علي ابن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ وخاصة بحديث ابن عيينة»[1].

- عن ابن عيينة قال: «إني لأرغب عن مجالستكم، ولولا علي ابن المديني، ما جلست»[2].

ويدلنا على طول مصاحبته لعبد الرحمن بن مهدي كثرة ما رواه عنه من النصوص في الجرح والتعديل، ومن ذلك كتابه الموسوم (سؤال يحيى وابن مهدي عن الرجال) فلولا طول المصاحبة لما استطاع تأليف هذا الكتاب المكون من خمسة أجزاء.

د ـ احترامه لأساتذته:

كان الإمام علي ابن المديني يحترم أساتذته وشيوخه احتراماً كبيراً، ويجلهم إجلالاً عظيماً، مما يدل على طيب نفسه، وأخلاقه الرائعة، وحبه للعلم وأهله.

- عن إسحاق الشهيدي قال: كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر، ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقف بين يديه علي ابن المديني، والشاذكوني وعمرو بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم يسألونه عن الحديث ـ وهم قيام على أرجلهم ـ إلى أن تحين صلاة المغرب ـ لا يقول لواحد

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥).

منهم اجلس. ولا يجلسون هيبةً وإعظاماً»[1].

خامساً ـ ما انتهى إليه في طلب العلم:

وصل الإمام علي ابن المديني إلى مرتبة من العلم لم يصلها أحد من أهل عصره، حتى وصف بأنه أعلم أهل عصره، وأنه أكثر علماء عصره جمعاً للأحاديث، حتى أشير إليه بالبنان، وأصبح عند الناس إماماً يقتدى به، وحق له ذلك وهو الذي ارتحل في طلب العلم من بلد لآخر، وصبر على ذلك فأعطاه الله تعالى ما لم يعط أحداً من أقرانه:

ـ عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: «انتهى العلم إلى أربعة: أبو بكر بن أبي شيبة أسردهم له، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه، وعلي ابن المديني أعلمهم به، ويحيى بن معين أكتبهم له»[2].

ـ قال عباس العنبري: «بلغ علي ما لو قضي أن يتم على ذلك، لعله كان يقدم على الحسن البصري، كان الناس يكتبون قيامه وقعوده ولباسه، وكل شيء يقول أو يفعل أو نحو هذا»[3].

ـ قال أبو قدامة السرخسي: «سمعت علياً يقول: رأيت كأن الثريا تدلت حتى تناولتها.

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١٨٥) النص (٢٩٩).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/٤٨).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/٤٦).

قال أبو قدامة: صدق الله رؤياه، بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه أحد»[1].

ـ قال البخاري في كتاب رفع اليدين: «كان علي أعلم أهل عصره، كان أعلم زمانه»[2].

سادساً ـ مذهبه الفقهي:

اختلف أهل العلم في مسالك أئمة الحديث في الفقه، فبعضهم عدوهم كلهم من المجتهدين، وآخرين جعلوهم من المقلدين، وعلي ابن المديني من هؤلاء الأئمة الذي اختلف في بيان مذهبه الفقهي:

فقد عده البعض من فقهاء الشافعية كما قال الشيرازي في طبقات الفقهاء[3] حيث قرأ «الرسالة» في أصول الفقه على الإمام الشافعي رحمه الله، بل وتوسط عنده ليجيب عبد الرحمن بن مهدي على رسالته، فكان هذا الكتاب العظيم الذي استفادت منه الأمة فائدة عظيمة، حيث كان أول جهد مؤصل في تقعيد قواعد الفقه وأصوله، وكيفية استنباط الأحكام الشرعية من النصوص، وكذلك ذكره السبكي في فقهاء الشافعية[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١)، المعرفة والتاريخ (٢/ ١٣٦)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١).
(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦)، رفع اليدين (ص ٣٤).
(٣) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص ١١٤).
(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٤٥ ـ ١٥٠).

وقد عده البعض الآخر من أصحاب الإمام أحمد ومن فقهاء المذهب الحنبلي لعلاقته الودية والوثيقة بالإمام أحمد رحمه الله.

فعلي ابن المديني هو القائل: أمرني سيدي أحمد بن حنبل أن لا أحدث إلا من كتاب.

وقال: بلغني أن أحمد بن حنبل لا يحدث إلا من كتاب ولنا فيه أسوة.

ولذلك ترجم له بعضهم في عداد أصحاب الإمام أحمد كما فعل صاحب كتاب (المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد)[١].

وكما فعل ابن أبي يعلى الفراء في طبقات الحنابلة[٢].

ولكن القول الذي أميل إليه وأرجحه هو ما قاله الإمام ولي الله الدهلوي في كتابه (الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف):

«اعلم أنه كان من العلماء في عصر سعيد بن المسيب، وإبراهيم والزهري، وفي عصر مالك وسفيان، وبعد ذلك قوم يكرهون الخوض بالرأي، ويهابون الفتيا والاستنباط، إلا لضرورة لا يجدون منها بداً، وكان أكبر همهم رواية حديث

---

(١) المنهج الأحمد (١/٩٧).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

رسول الله ﷺ، فوقع شيوع تدوين الحديث والأثر في بلدان الإسلام، وكتابة الصحف والنُسخ حتى قل من يكون من أهل الرواية إلا كان له تدوين أو صحيفة، أو نسخة، من حاجتهم بموقع عظيم، فطاف من أدرك من عظمائهم، ذلك الزمان بلاد الحجاز والشام والعراق ومصر واليمن وخراسان، وجمعوا الكتب، وتتبعوا النسخ، وأمعنوا في التفحص عن غريب ونوادر الأثر، فاجتمع باهتمام أولئك من الحديث والآثار، ما لم يجتمع لأحد قبلهم، وتيسر لهم ما لم يتيسر لأحد قبلهم، وخلص إليهم من طرق الأحاديث شيء كثير، حتى كان لكثير من الأحاديث عندهم مائة طريقة فما فوقها فكشف بعض الطرق ما استتر في بعضها الآخر، وعرفوا محل كل حديث من الغرابة والاستفاضة، وأمكن لهم النظر في المتابعات والشواهد وظهر عليهم أحاديث صحيحة كثيرة، لم تظهر على أهل الفتوى من قبل.

قال الشافعي رحمه الله تعالى لأحمد بن حنبل: «أنتم أعلم بالأخبار الصحيحة منا، فإذا كان خبر صحيح فأعلموني حتى أذهب إليه كوفياً كان أو بصرياً أو شامياً».

واجتمعت عندهم آثار فقهاء كل بلد من الصحابة والتابعين، وكان الرجل فيما قبلهم لا يتمكن إلا من جمع حديث بلده وأصحابه...» حتى قال:

«وكان رؤوس هؤلاء عبد الرحمن بن مهدي أو يحيى بن سعيد القطان، ويزيد بن هارون وعبد الرزاق، وأبو بكر بن

أبي شيبة، ومسدد، وهناد وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، والفضل بن دكين، وعلي ابن المديني وأقرانهم وهذه الطبقة هي الطراز الأول من طبقات المحدثين، فرجع المحققون منهم بعد إحكام فن الرواية ومعرفة مراتب الأحاديث إلى الفقه، فلم يكن عندهم من الرأي أن يُجمع على تقليد رجل ممن مضى، مع ما يرون من الأحاديث والآثار المناقضة في كل مذهب من تلك المذاهب، فأخذوا يتتبعون أحاديث النبي ﷺ، وآثار الصحابة والتابعين والمجتهدين على قواعد أحكموها في نفوسهم، وأنا أبينها لك في كلمات يسيرة كان عندهم أنه إذا وجد في المسألة قرآن ناطق، فلا يجوز التحول منه إلى غيره، وإذا كان القرآن محتملاً لوجوه فالسنة قاضية عليه، فإذا لم يجدوا في كتاب الله أخذوا بسنة رسول الله ﷺ سواء كان مستفيضاً دائراً بين الفقهاء، أو يكون مختصاً بأهل بلد، أو أهل بيت، أو بطريق خاصة، وسواء عمل به الصحابة والفقهاء أو لم يعلموا به، ومتى كان في المسألة حديث فلا يتبع فيها خلافه أثراً من الآثار، ولا اجتهاد من أحد من المجتهدين، وإذا أفرغوا جهدهم في تتبع الأحاديث ولم يجدوا في المسألة حديثاً أخذوا بأقوال جماعة من الصحابة والتابعين، ولا يتقيدون بقوم دون قوم، ولا بلد دون بلد، كما كان يفعل من قبلهم، فإن اتفق جمهور الخلفاء والفقهاء على شيء فهو المتبع، وإن اختلفوا أخذوا بحديث أعلمهم علماً، أو أورعهم ورعاً، أو أكثرهم ضبطاً أو ما اشتهر عنهم. . . » انتهى بتصرف[1].

---

(١) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف (ص ٤٦ ـ ٥٠).

ويظهر لي أن علي ابن المديني كان فقيهاً بعيداً عن تقليد مذهب من المذاهب، ولكنه كان يفتي بما يرى أنه الحق عنده، ساعده على ذلك خبرته الواسعة في معرفة المدارس الفقهية، والشيوخ الذي تروى عنهم الأحاديث الحكمية والمسائل الفقهية، يتضح هذا من خلال إيرادنا هذا النص:

- عن أحمد بن يحيى بن الجارود قال: «سمعت علي بن عبد الله بن جعفر المديني يقول: انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ من الأحكام إلى ثلاثة ممن أخذ عنهم ورُوي عنهم العلم: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وأخذ عن عبد الله بن مسعود، ستة: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، وعبيدة السلماني، والحارث بن قيس، ومسروق، وعمرو بن شُرَحْبيل.

قال علي: وانتهى علم هؤلاء إلى إبراهيم النخعي وعامر الشعبي. وانتهى علم هؤلاء إلى أبي إسحاق والأعمش، ثم انتهى علم هؤلاء إلى سفيان بن سعيد.

قال علي: وكان يحيى بن سعيد يميل إلى هذا الإسناد ويعجبه.

قال علي: وأخذ عن زيد بن ثابت أحد عشر رجلاً ممن كان يتبع رأيه، ويقتدى به: قبيصة بن ذؤيب، وخارجة بن زيد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعروة بن الزبير، وأبو سلمة بن

عبد الرحمن، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله، وسعيد بن المسيب، وأبان بن عثمان، وسليمان بن يسار.

قال عليّ: ثم صار علم هؤلاء كلهم إلى ثلاثة: إلى ابن شهاب، وبُكَير بن عبد الله بن الأشج، وأبي الزناد. ثم صار علم هؤلاء كلهم إلى مالك بن أنس، وكان عبد الرحمن بن مهدي يميل إلى هذا الإسناد ويعجبه.

فأما ابن عباس فصار علمه إلى ستة نفر: إلى سعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، ومجاهد، وجابر بن زيد، وطاووس. وصار علم هؤلاء كلهم إلى عمرو بن دينار.

قال علي: وكان سفيان بن عيينة يعجبه هذا الإسناد ويميل إليه»[1].

ـ بعض الآراء الفقهية له:

١ ـ عن محمد بن علي ابن المديني قال: «سمعت أبي يقول: إنما يدور حديث رسول الله ﷺ على أربعة أحاديث:

أ ـ حديث عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ في الأعمال بالنيات[2].

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٨٩) النص (١٨٨٥)، المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٥٨)، العلل (٤٦ ـ ٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣)، ومسلم (١٩٠٧)، الحميدي (٢٨)، أبو داود (٢٢٠١)، الترمذي =

ب ـ حديث زيد بن وهب عن ابن مسعود حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق[1].

جـ ـ وحديث عثمان بن عفان أن النبي قال: لا يحل دم مسلم إلا بإحدى ثلاث[2].

د ـ وحديث النبي: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إلّه إلا الله[3]»[4].

٢ ـ قوله في مسألة مس الذكر:

ـ قال رجاء بن مرجي الحافظ: «اجتمعنا في مسجد الخيف: أنا وأحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين، فتناظروا في مس الذكر، فقال يحيى: يتوضأ منه. وقال علي ابن المديني بقول الكوفيين، وتقلد قولهم، واحتج يحيى بن معين بحديث بسرة بنت صفوان، واحتج علي ابن المديني بحديث قيس بن طلق، وقال ليحيى: كيف تتقلد إسناد

= (١٦٤٧)، النسائي (١/ ٥٨ ـ ٦٠) (٦/ ١٥٨)، ابن ماجه (٤٢٢٧)، ومالك في الموطأ (٩٨٣)، وابن حبان (٣٨٨، ٣٨٩)، ابن الجارود (٦٤).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٦٥٩٤، ٧٤٥٤)، مسلم (٢٦٤٣)، أحمد (١/ ٣٨٢، ٤١٤، ٤٣٠)، وأبو داود (٤٧٠٨)، الترمذي (٢١٣٧)، ابن ماجه (٧٦)، وأبو يعلى (٥١٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٧٦)، أبو داود (٤٣٥٢)، والترمذي (١٤٠٢)، النسائي (٧/ ٩٠ ـ ٩١)، ابن ماجه (٢٥٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٤) الإرشاد (٢/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩)، الإشباه والنظائر (ص ٩).

بسرة، ومروان أرسل شرطياً حتى رد جوابها إليه، فقال يحيى: وقد أكثر الناس في قيس بن طلق، ولا يحتج بحديثه، فقال أحمد بن حنبل: كلا الأمرين على ما قلتما.

فقال يحيى: مالك عن نافع عن ابن عمر: أنه توضأ من مس الذكر، فقال علي: كان ابن مسعود يقول: لا يتوضأ منه، وإنما هو بضعة من جسدك. فقال يحيى: عمن؟ قال: سفيان عن أبي قيس عن هزيل عن عبد الله، وإذا اجتمع ابن مسعود وابن عمر واختلفا، فابن مسعود أولى أن يتبع، فقال له أحمد: نعم، ولكن أبو قيس لا يحتج بحديثه، فقال: حدثني أبو نعيم، حدثنا مسعر عن عمير بن سعيد، عن عمار بن ياسر، قال: ما أبالي مسسته أو أنفي، فقال أحمد: عمار وابن عمر استويا، فمن شاء أخذ بهذا ومن شاء أخذ بهذا»[١].

٢ ـ رحلاته العلمية:

إن مما امتازت به أمتنا الإسلامية تلك الرحلات الشاقة المضنية في طلب العلوم الشرعية وغيرها، وخاصة ما قام به أئمة الحديث وصيارفته، حتى إن كان أحدهم ليرحل في الحديث الواحد، يبتغون بذلك وجه الله سبحانه ووصل السند برسول الله ﷺ، لا يلتفتون لمشقات الطريق ووعثاء السفر، ولا يأبهون بمتاع الدنيا وطيب الإقامة ورغد العيش، ولسان قائلهم يقول:

---

(١) إرشاد الساري للقسطلاني (١/ ١٥٠)، التاريخ والعلل (١/ ٣٣ ـ ٣٤).

رحلت أطلب أصل العلم مجتهداً وزينة المرء في الدنيا الأحاديث
لا يطلب العلم إلا بازل ذكر وليس يبغضه إلا المخانيث
لا تعجبن بمالٍ، سوف تتركه فإنما هذه الدنيا المواريث

وللرحلة عند أئمتنا أهداف سنية ومقاصد جليلة: فمن أهم أهدافها: تحصيل الحديث النبوي، والتثبت من تلك الأحاديث دفعاً للخلل والخطأ، وطلب العلو في السند، والبحث عن أحوال الرواة، ومذاكرة العلماء في نقد الأحاديث وعللها.

وللرحلات فوائد جمة تنعكس على الأمة وعلى العالم الذي يضرب في الأرض مرتحلاً، ويتمثل ذلك في: التمكن من الجوانب العلمية بمعرفة آراء العلماء في الأصقاع فيها، ونشر العلم، واتساع الثقافة العامة، وتنمية الفضائل والكمالات في النفوس، وكسب صداقات جديدة خالصة.

ولا بد للرحلة من آداب يجب على طالب العلم مراعاتها:

- وتتلخص في تقديم السماع من علماء بلده.

- ثم يرحل إلى الآفاق، ويحسن اختيار أماكن الرحلة، بأن تكون عامرة بالعلماء الفضلاء، وأن يهتم بكثرة المادة العلمية المتلقاة، والمسموع مما ليس عنده، ويعتني بالمذاكرة مع المحققين، ليكتسب آلة التعمق في العلم، بأن يطرح ما عنده من إشكالات على أهل التحقيق والتمحيص والنقد، مع مراعاة آداب السفر من حفاظ على العبادات، وذكر الله تعالى، وبذل المال،

والتحمل والصبر على متاعب السفر[1].

ولقد ظهر كل هذا في أجمل صوره، وأعلى مراتبه، في إمامنا علي ابن المديني، الذي لم يقنع بالسماع من علماء بلده فقط، لأن آفاقه العلمية لا تقف عند حد معين، فارتحل إلى مراكز العلم حيث يوجد الأئمة والشيوخ، ليحصل الإسناد العالي، وقد ابتدأ بعلماء بلده البصرة، ثم بعد ذلك ارتحل إلى البلاد الإسلامية، فاختار تلك المواطن التي امتلأت بالعلماء، باذلاً في سبيل ذلك المال والوقت، وتحمل في سبيل ذلك المشاق والمتاعب، وفراق الأهل، فوصل إلى مرتبة من العلم عظيمة.

وسأورد هنا أهم المراكز العلمية التي زارها علي ابن المديني رحمه الله.

أ ـ البصـــرة:

من المعلوم أن المحدث حينما يبتدىء بطلب الحديث وتدوينه يحرص على تحمله وروايته عن علماء بلده، وعمن كان يمر عليهم من العلماء ثم يبتدىء بالخروج والتجوال في القرى والمراكز المحيطة ببلده، وهكذا كان علي ابن المديني رحمه الله فقد لازم الشيوخ الكبار في مدينة البصرة وحرص على تدوين حديثهم، وكذلك حرص على ملازمة من يقدم إليها من المدن

(١) مقدمة كتاب الرحلة في طلب الحديث للخطيب بتحقيق الدكتور العتر (ص ١٧ ـ ٣١) باختصار.

الأخرى فيستقر أو يمر بها، ولذلك كان يكثر من زيارة البصرة بعد أن استقر به المقام خارجها من أجل أن يروي عمن نزل بها أثناء غيابه عنها.

فقد بكر بالرواية عن كثير من علماء البصرة وهو في سن السابعة عشرة فروى عن حماد بن زيد، وجعفر بن سليمان، ووالده عبد الله بن جعفر، وكثير غيرهم سنشير إلى أسمائهم حين أضع ثبتاً بأسماء شيوخه رحمهم الله جميعاً.

- قال ابن معين: «كان علي ابن المديني إذا قدم علينا «الكوفة» أظهر السنة، وإذا ذهب إلى البصرة أظهر التشيع»[1].

قال الذهبي معلقاً على هذا النص: كان إظهاره لمناقب الإمام علي بالبصرة لمكان أنهم عثمانية، فيهم انحراف عن علي.

- عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «سألت أبي، عن شيخ بصري، يقال له: عباد بن جويرية فقال: كذاب أتيته أنا وعلي ابن المديني، وإبراهيم بن عرعرة، فقلنا له: أخرج إلينا كتاب الأوزاعي، فأخرجه، فإذا فيه مسائل الأوزاعي، عن أبي إسحاق الفزاري سألت الأوزاعي، وإذا هو قد جعلها عن الزهري وفيها: وقال خصيف، يعني عن الزهري، فقلنا: الأوزاعي عن خصيف فقال: هذا خصيف الكبير»[2].

---

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٣)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣).

(٢) ضعفاء العقيلي (٣/ ١٤٢).

ـ قال الخليلي في الإرشاد: خرج الإمام أحمد إلى مكة وصحبه ابن المديني، ويحيى بن معين، ثم خرجوا إلى صنعاء ثم رجعوا إلى بلاد العراق، الكوفة والبصرة، وواسط، ثم خرج أحمد إلى الشام وحده»[1].

ـ قال ابن المديني: سمعت معاذ بن هشام يقول بمكة، وقيل له: ما عندك؟ قال: عندي عشرة آلاف، فأنكرنا عليه، وسخرنا منه، فلما جئنا إلى البصرة، أخرج إلينا من الكتب نحواً مما قال ـ يعني عن أبيه ـ فقال: هذا سمعته، وهذا لم أسمعه، فجعل يميزها»[2].

ب ـ الكوفة:

وبعد اغتراف علي ابن المديني رحمه الله من منهل النبوة العذب الذي استقاه علماء البصرة، ومن نزل بها، شد الرحال على سنة من سبقه من الرجال، وكان قصده الكوفة التي كانت تموج بالعلماء والمحدثين، وقد اعتاد طلاب العلم السفر جماعة، ومع رفقة مأمونة وذلك لمخاطر الطرق ووعورتها، والمفاوز والقفار، إضافة إلى اللصوص والأشرار.

يقول بعض الباحثين عند كلامه عن سفر وطلاب العلم: «يندر سفر رجال بمفردهم إذ أن الطرق العامة كانت غير مأمونة،

---

(١) الإرشاد للخليلي (٢/ ٥٩٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٧٣).

والطريقة الاعتيادية كانت أن يصاحب الفرد قافلة عند انتقاله من مكان إلى آخر، والذي يقوي احتمال قيام الفرد بهذا الأمر هو كون كثير من العلماء، إن لم نقل معظمهم كانوا يجمعون بين الدراسة والشغل، فكانوا يسافرون كتجار للاشتغال في تجارتهم، ويشغلون أنفسهم بطلب العلم خلال بقائهم الذي قد تطول أو تقصر مدته في المدن المختلفة..»[١].

- عن أبي العباس بن عُقدة قال: خرج أحمد بن حنبل، ويحيـى بن معين، وعلي ابن المديني إلى الكوفة، إلى أبي نُعيم، فدلس عليه يحيـى بن معين أربعة أحاديث، فلما فرغوا رفس يحيـى بن معين حتى أقلبه، ثم قال: أما أحمد فيمنعه ورعه من هذا، وأما هذا ـ يعني علياً ـ فتحنيثه يمنعه من ذلك، وأما أنت، فهذا من عملك. قال يحيـى: فكانت تلك الرفسة أحب إليّ من كل شيء»[٢].

- عن عثمان بن سعيد قال: سمعت علي ابن المديني يقول: سمعنا مصنفات وكيع، وأخرج الزيادات بعد فخرجنا إلى الكوفة، فجعلنا نتتبع تلك الزيادات، ويحيـى بن معين يكتب

---

(١) انظر: طريقة إحصائية لدراسة معاجم التراجم الإسلامية في العصور الوسطى بحث بقلم رجاردوا. يلبث. نشر بالإنكليزية في مجلة تاريخ الشرق الاقتصادي والاجتماعي المجلد ١٣ الجزء ٢ نيسان ١٩٧٠ ترجمة السيد شاكر نصيف العبيدي الأستاذ المساعد في قسم اللغات الأوروبية كلية الآداب/ جامعة بغداد.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١٣٦) النص (١٥٨).

على الوجه، لئلا يسقط عليه حديث»[1].

- عن يحيى بن معين: «كان علي ابن المديني إذا قدم علينا الكوفة أظهر السنة، وإذا ذهب إلى البصرة أظهر التشيع»[2].

- قال الخليلي: «خرج الإمام أحمد إلى مكة، وصحبه ابن المديني ويحيى بن معين، ثم خرجوا إلى صنعاء، ثم رجعوا إلى بلاد العراق، الكوفة، والبصرة، وواسط، ثم خرج أحمد إلى الشام وحده»[3].

جـ - بغــداد:

لما كانت بغداد دار الخلافة والعلم، وملتقى العلماء من جميع بلاد الإسلام، نشط طلاب العلم للرحلة إليها، والمكث الطويل فيها، وأصبحت الرحلة إليها من الواجبات بالنسبة للمحدثين، لذا حرص على القدوم إليها معظم العلماء الأعلام من أهل المشرق والمغرب، وكان الكثير منهم لا يكتفي بزيارة واحدة إليها بل يكثر من المكوث فيها، وكان معظم علماء مدن بلاد خراسان ونيسابور وما وراء النهر، يمرون بها حين ذهابهم إلى بلاد الشام ومصر والحجاز والعودة منها، فحرص علي ابن

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٨٨) النص (١٥٦٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٣)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣).

(٣) الإرشاد للخليلي (٢/ ٥٩٧).

المديني على ملازمة أئمتها والاغتراف من علمهم، فقد ارتحل إليها علي ابن المديني أكثر من مرة، فاستفاد من علمائها وأفاد وهذه بعض أخبار زيارته إلى بغداد.

- قال الخطيب البغدادي في ترجمة علي ابن المديني: (. . . وقدم بغداد وحدث بها فروى عنه أحمد بن حنبل، وابنه صالح، وابن عمه حنبل بن إسحاق، والحسن بن محمد الزعفراني. . .)[1].

- قال أحمد بن منصور الرمادي: «قدم علينا علي ابن المديني بغداد سنة سبع أو ثمان وثمانين قال: والواقدي قاض علينا قال: وكنت أطوف مع علي فقلت: تريد أن تسمع الواقدي، فكان متروياً في ذلك، ثم قلت له بعد ذلك، فقال: أردت أن أسمع منه فكتب إليّ أحمد فذكر الواقدي فقال: كيف تستحل أن تكتب عن رجل روى عن معمر حديث نبهان، وهذا حديث يونس تفرد به. .»[2].

- قال ابن المديني (في ترجمة أحمد بن أسعد بن صفير. . .): «لقيته ببغداد سنة (٩٢) ورأيت عليه لبوس السياحين، وكان أعور عينه اليمنى، وعليه أثر الصلاح إلا أنه يخالط أرباب الولايات».

(١) تاريخ بغداد (١١/٤٥٨).
(٢) تهذيب التهذيب (٩/ ٣٦٤).
(٣) لسان الميزان (١/ ١٣٧ ـ ١٣٨).

ـ عن محمد بن إسحاق السراج قال: «سمعت أبا يحيى يقول: كان علي ابن المديني إذا قدم بغداد، وتصدر الحلقة، وجاء أحمد، ويحيى، وخلف، والمعيطي، والناس يتناظرون، فإذا اختلفوا في شيء تكلم فيه علي»[1].

د ـ الرحلة إلى الحجاز (مكة والمدينة):

من المعلوم أن مكة والمدينة ـ حماهما الله ـ كان العلماء ينتفعون بالرحلة إليهما، فإضافة إلى الحج والعمرة وزيارة مسجد الرسول ﷺ، كانوا يحرصون على أخذ الحديث عن المجاورين لبيت الله الحرام والمسجد النبي ﷺ ـ وما أكثرهم في ذلك الوقت ـ والاجتماع بالكثير من المحدثين في موسم الحج، ومن هناك يعلمون بوفيات علماء البلاد ومن بقي منهم كي يعدوا أنفسهم للرحلة إليه، وقد أخذ علي ابن المديني رحمه الله عن كثير من أولئك الأعلام والحفاظ، ولا أدري بالضبط كم مرة ارتحل علي ابن المديني رحمه الله للحج أو للعمرة أو قصداً لطلب العلم، إلى تلك الديار المباركة، ولكني سأورد مجموعة من النصوص تدل على أنه قدم هذه البلاد أكثر من مرة:

ـ قال الخليلي في الإرشاد: «خرج الإمام أحمد إلى مكة وصحبه ابن المديني، ويحيى بن معين، ثم خرجوا إلى صنعاء، ثم رجعوا إلى بلاد العراق، الكوفة، والبصرة، وواسط، ثم خرج

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣).

أحمد إلى الشام وحده»[1].

- قال ابن المديني: «سمعت معاذ بن هشام يقول بمكة، وقيل له: ما عندك؟ قال: عندي عشرة آلاف، فأنكرنا عليه، وسخرنا منه، فلما جئنا إلى البصرة، أخرج إلينا من الكتب نحواً مما قال - يعني عن أبيه - فقال: هذا سمعته، وهذا لم أسمعه، فجعل يميزها»[2].

- قال الحميدي: «خرجت يوم الصُدر، والوليد في مسجد منى، وعليه زحام كثير، وجئت في آخر الناس، فوقفت بالبعد، وعلي ابن المديني بجنبه، فجعلوا يسألونه، ويحدثهم، وأنا لا أفهم، فجمعت جماعة من المكيين، وقلت لهم: جَلِّبوا، وأفسدوا على من بالقرب منه، فجعلوا يصيحون، ويقولون: لا نسمع، وجعل ابن المديني يقول: اسكتوا نسمعكم، قال: فاعترضت، وصحت، ولم أكن بعد حلقت، فنظر ابن المديني إليَّ ولم يثبتني، فقال: لو كان فيك خير، لم يكن شعرك على ما أرى، قال: فتفرقوا، ولم يحدثهم بشيء»[3].

هـ - الرحلة إلى اليمن:

لقد كانت اليمن من البلاد الإسلامية التي يقصدها العلماء والمحدثون للرواية والتفقه على علمائها، وقد تميزت بكثرة أهل

---

(١) الإرشاد للخليلي (٢/ ٥٩٧).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٧٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢١٥)، التاريخ والمعرفة (٢/ ٤٢١، ٤٢٢).

العلم فيها ممن يقصدهم الطلاب، ومن بين أولئك العلماء كان عبد الرزاق بن همام الصنعاني صاحب المصنف يطل كمنارة تضيء في سماء العلم، ولهذا قصده كبار أهل العلم وطلابه في ذلك الحين لينهلوا من نبع علمه الغزير، ومن بين هؤلاء كان أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني، ـ رحمهم الله جميعاً ـ، وقد مكث علي ابن المديني في اليمن يوم أن خرج إليها ثلاث سنين مما يدل على أهمية هذه الرحلة بالنسبة له رحمه الله.

ـ يقول الخليلي في الإرشاد: «خرج الإمام أحمد إلى مكة وصحبه ابن المديني، ويحيى بن معين، ثم خرجوا إلى صنعاء، ثم رجعوا إلى بلاد العراق، الكوفة، والبصرة، وواسط، ثم خرج أحمد إلى الشام وحده»[1].

ـ ذكر يعقوب الفسوي في «تاريخه»: حدثني بكر بن خلف، قال: قدمت مكة وبها شاب حافظ، كان يذاكراني المسندات بطرقها، فقلت له: من أين لك هذا؟ قال: أخبرك، طلبت إلى علي أيام سفيان أن يحدثني بالمسند، فقال: قد عرفت، إنما تريد بذلك المذاكرة، فإن ضمنت لي أنك تذاكر ولا تسميني، فعلت. قال: فضمنتُ له، واختلفت إليه، فجعل يحدثني بذا الذي أذاكرك به حفظاً. قال الفسوي: فذكرت هذا لبعض من كان يلزم عليّ، فقال: سمعت علياً يقول: غبت عن

(١) الإرشاد للخليلي (٢/ ٥٩٧).

البصرة مخرجي إلى اليمن ـ أظنه ذكر ثلاث سنين ـ وأمي حية، فلما قدمت، قالت: يا بني! فلان لك صديق، وفلان لك عدو. قلت: من أين علمت يا أمه؟ قالت: كان فلان وفلان، فذكرت منهم يحيى بن سعيد يجيئون مسلمين، فَيُعَزُّوني، ويقولون: اصبري، فلو قدم عليك، سرك الله بما ترين. فعلمتُ أنَّ هؤلاء أصدقاء، وفلان وفلان إذا جاؤوا، يقولون لي: اكتبي إليه، وضيِّقي عليه ليقدم.

فأخبرني العباس بن عبد العظيم أو غيره، قال: قال علي: كنت صنفت «المسند» على الطرق مستقصى، كتبته في قراطيس وصيرته في قمطر كبير، وخلفته في المنزل. وغبت هذه الغيبة، قال: فجئتُ فحركت القمطر، فإذا هو ثقيل بخلاف ما كانت، ففتحتها، فإذا الأرضة قد خالطت الكتب، فصارت طيناً، فلم أنشط بعد لجمعه»[1].

و ـ الرحلة إلى واسط:

كانت واسط من المراكز العلمية التي يرتحل إليها الطلاب للأخذ عن علمائها والرواية عنهم، وكان إمامنا ممن ارتحل إلى تلك البلدة للرواية عن شيوخها وعلمائها.

ـ يقول الخليلي في الإرشاد: «خرج الإمام أحمد إلى مكة وصحب ابن المديني، ويحيى بن معين، ثم خرجوا إلى صنعاء،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٢)، المعرفة والتاريخ (٢/ ١٣٦).

ثم رجعوا إلى بلاد العراق، والكوفة، والبصرة، وواسط، ثم خرج أحمد إلى الشام وحده»[١].

ـ قال علي ابن المديني: «أتيته بواسط ـ يعني علي بن عاصم ـ فنظرت في أثلاث كثيرة، فأخرجت منها مئتي طرف، فذهبت إليه فحدث عن مغيرة عن إبراهيم في التمتع، فقلت له: إنما هذا عن مغيرة رأي حماد، قال: من حدثكم؟ قلت: جرير، قال: ذاك الصبي، لقد رأيت ذاك ناعساً ما يعقل ما يقال له. قال: ومر شيء آخر، فقلت: يخالفونك، قال: من؟ قلت: أبو عوانة، فصاح وقال: ذاك العبد! ومر بشيء، فقلت: يخالفونك، فقال: من؟ قلت: إسماعيل بن إبراهيم، قال: ومن ذا؟ قلت: ابن عُلَيَّة. قال: ما رأيت ذاك يطلب حديثاً قط. وقال لشعبة: ذاك المسكين! كنت أكلم له خالداً الحذاء، فيحدثه» رواها عبد الله بن المديني عن أبيه[٢].

ز ـ الرحلة إلى الري:

وقد ارتحل إمامنا علي ابن المديني إلى أقصى بلاد المشرق فوصل إلى مدينة الري، وكانت تشكل مركزاً علمياً متقدماً يغص بالعلماء، فروى عن علمائها ومحدثيها، وحدث بها فاستفاد وأفاد، وهكذا هي حالة طلبة العلم يستفيدون ويفيدون.

ـ عن صالح قال: «سمعت علي ابن المديني يقول:

---

(١) الإرشاد (٢/ ٥٩٧).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٥٤)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٠).

ما خرجنا من الري حتى رمينا بحديث سلمة (يعني ابن الفضل الأبرش)»[1].

ح ـ الرحلة إلى سامراء:

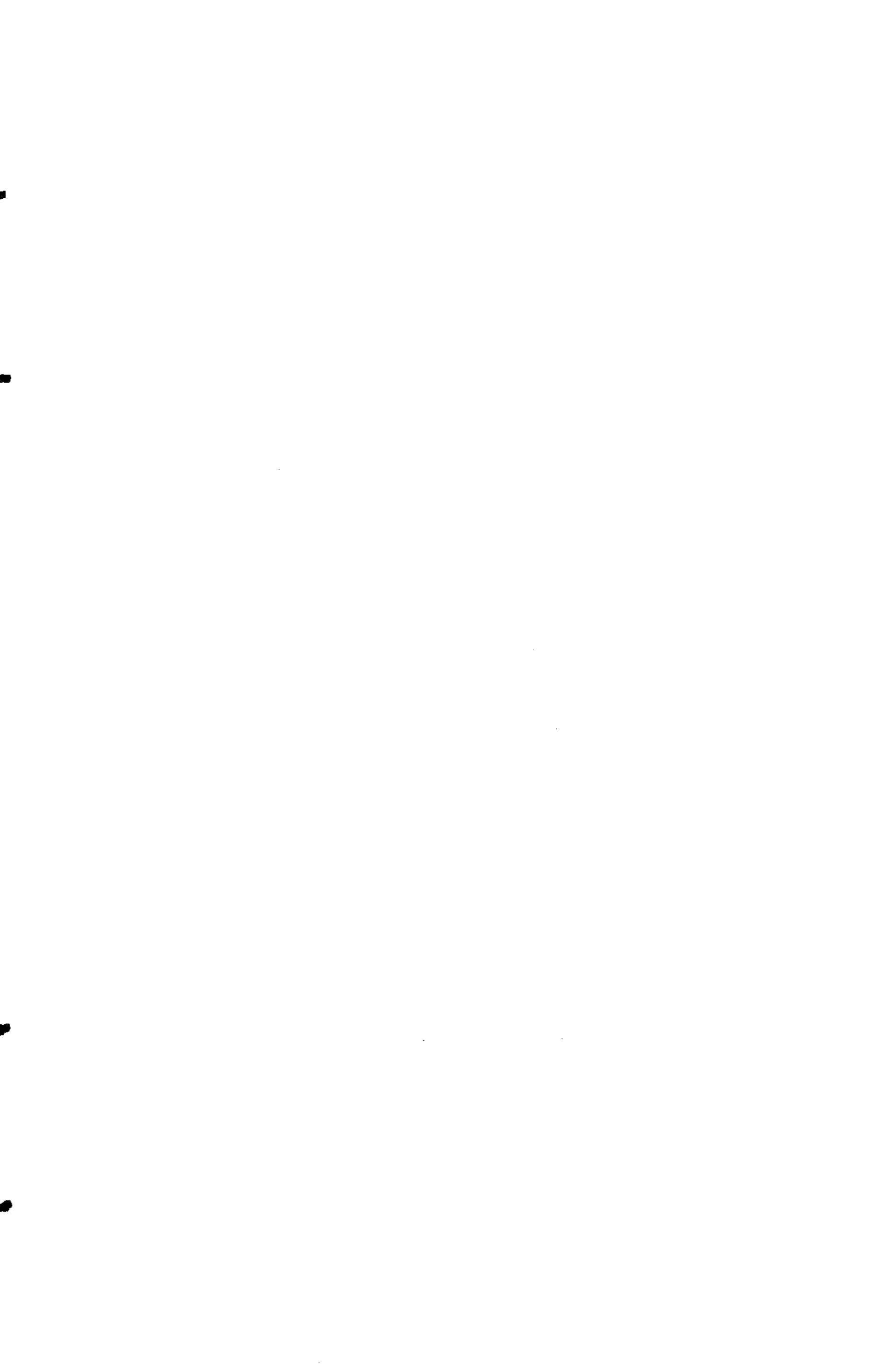
أصبحت سامراء من المراكز العلمية المتقدمة، وسكنها الكثير من أهل العلم بعد أن أصبحت حاضرة الخلافة الإسلامية في زمن المعتصم، وقد استقر علي ابن المديني رحمه الله في هذه المدينة وحدث بها، وقد توفاه الله تعالى في هذه المدينة حين وافاه الأجل.

ـ عن جعفر بن درستويه قال: «قعد علي ابن المديني بسَامُرَّا على منبر فقال: يقبح بمن جلس هذا المجلس أن يحدث من كتاب، فأول حديث حَدَّث من حفظه غلط فيه، ثم حدث سبع سنين من حفظه لم يخطىء في حديث واحد»[2].

---

(١) العقيلي في الضعفاء الكبير (٢/ ١٥٠) ترجمة (٦٥٠)، الجرح والتعديل (٤/ ١٦٨)، ميزان الاعتدال (٢/ ١٩٢).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٣) النص (١٠٣٦).



الفَصلُ الثالث

شُيُوخُهُ وَتَلامِيذُهُ

(أ) شيوخه

كان الإمام علي ابن المديني قد تتلمذ في طلبه للعلم على طائفة كبيرة من الأساتذة، من أعلام عصره، ونعني بالأساتذة كل من ثبت له الأخذ منه، والتحمل عنه، قليلاً كان ذلك الأخذ أو كثيراً، ونظراً لما لمعرفة أساتذته من الأهمية في استجلاء شخصيته العلمية، سأذكر أسماء مجموعة من هؤلاء الأساتذة، وأترجم لأهم ثلاثة شيوخ أثروا في تكوين شخصيته[1].

- شيوخه الذين روى عنهم:

١ - إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي (ابن علية).

٢ - أزهر بن سعد السمان أبو بكر الباهلي البصري.

٣ - جرير بن عبد الحميد الضبي الكوفي.

---

(١) لمزيد من أسماء شيوخ علي ابن المديني انظر المصادر التالية: تهذيب التهذيب، التاريخ الصغير، المؤتلف والمختلف للدارقطني، الكامل لابن عدي، تهذيب الكمال، سير أعلام النبلاء، تاريخ بغداد، ميزان الاعتدال، الجرح والتعديل، الإرشاد للخليلي، مفتاح السعادة، الكواكب النيرات.

٤ ـ حفص بن غياث النخعي.
٥ ـ حماد بن زيد بن درهم الأزدي البصري.
٦ ـ سفيان بن عيينة الهلالي.
٧ ـ سليمان بن داود بن الجارود أبو داود الطيالسي.
٨ ـ الضحاك بن مخلد الشيباني.
٩ ـ عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي.
١٠ ـ عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري.
١١ ـ عبد الرزاق بن همام الصنعاني.
١٢ ـ عبد الوارث بن سعيد التميمي العنبري التنوري.
١٣ ـ عفان بن مسلم الصفار البصري.
١٤ ـ علي بن عاصم بن صهيب الواسطي.
١٥ ـ محمد بن خازم السعدي أبو معاوية الضرير الكوفي.
١٦ ـ معاذ بن هشام الدستوائي البصري.
١٧ ـ معتمر بن سليمان التيمي.
١٨ ـ وكيع بن الجراح الرؤاسي.
١٩ ـ الوليد بن مسلم الدمشقي.
٢٠ ـ وهب بن جرير بن حازم بن زيد الأزدي.
٢١ ـ يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الوادعي.
٢٢ ـ يحيى بن سعيد القطان البصري.
٢٣ ـ يزيد بن زريع التميمي.
٢٤ ـ يزيد بن هارون السلمي الواسطي.

وخلق كثير غير هؤلاء، زادوا عن الثلاثمائة شيخ رحمهم الله جميعاً.

أكبر شيوخه الذين أثروا فيه:

تقدم أن علي ابن المديني رحمه الله سمع من نحو ثلثمائة شيخ من أكابر علماء عصره، ولكن أكثر شيوخه الذين أثروا فيه، هم: سفيان بن عيينة، يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وسأورد هنا ترجمة مختصرة لكل واحد منهم، من خلال كتب التراجم والسير، حتى نتعرف على أبرز الأسباب المكونة لشخصية علي ابن المديني رحمه الله.

١ ـ سفيان بن عيينة الهلالي شيخ الإسلام في عصره:

هو الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام سفيان بن عيينة بن أبي عمران أبو محمد الهلالي الكوفي، ثم المكي[(١)].

مولده:

ولد سفيان بالكوفة عشية السبت من نصف شعبان سنة سبع ومائة[(٢)].

طلبه العلم:

ـ قال الذهبي: «... وطلب الحديث، وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل منهم علماً جماً، وأتقن، وجوّد،

---
(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤).
(٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٧٥)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٥).

وجمع وصنف، وعُمِّر دهراً، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورُحِل إليه من البلاد...»[1].

- قال علي ابن المديني: «سمعت سفيان بن عيينة قال: ربما عادني ابن أبي نجيح وأنا غُليِّم، وكنت طويل الملازمة بالليل والنهار»[2].

- قال حماد بن زيد: «رأيت سفيان عند عمرو بن دينار له ذؤابه معه ألواح»[3].

ثم مضى سفيان رحمه الله يسمع ويحفظ حتى أصبح حافظ عصره، وإمام مكة بلا منازع.

وقد أخذ سفيان العلم من شيوخ لا يكادون يحصون لكثرتهم، وكلهم من التابعين فقد أخذ عن عمرو بن دينار، وأكثر عنه، ومن زياد بن علاقة، والأسود بن قيس، وابن شهاب الزهري، وعاصم بن أبي النجود، وأبي إسحاق السبيعي، وأيوب السختياني، والعلاء بن عبد الرحمن، وهشام بن عروة، وحميد الطويل، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وسليمان الأعمش، وموسى بن عقبة، وأبي الزناد عبد الله بن ذكوان، وأبي حازم الأعرج وصفوان بن سليم، وخلق كثير روى عنهم وتفرد بالرواية عن الكبار»[4].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٥).
(٢) الجرح والتعديل (١/ ٥١).
(٣) الجرح والتعديل (١/ ٣٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦).

توثيق العلماء له:

- قال علي ابن المديني: «ما في أصحاب الزهري أتقن من ابن عيينة»[1].

- قال يحيى بن معين: «سفيان بن عيينة أثبت من محمد بن مسلم الطائفي وأوثق منه، وهو أثبت من داود العطار في عمرو بن دينار، وأحب إليّ منه»[2].

- قال العجلي: « ـ ابن عيينة ـ كوفي ثقة ثَبتٌ في الحديث»[3].

- قال ابن سعد: «وكان ثقة ثبتاً كثير الحديث»[4].

- قال علي ابن المديني: «ما في أصحاب الزهري أَحدٌ أتقن من سفيان بن عيينة»[5].

- قال أحمد بن حنبل: «ما رأيت أحداً أعلم بالسنن من سفيان بن عيينة. ويقول: ما رأينا نحن مثله»[6].

- قال عبد الله بن المبارك: «سئل سفيان الثوري ـ وهو

---

(١) الجرح والتعديل (١/ ٥٢).
(٢) الجرح والتعديل (١/ ٥٢).
(٣) تهذيب التهذيب (٤/ ١١٩).
(٤) طبقات ابن سعد (٥/ ٤٩٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٨).
(٦) الجرح والتعديل (١/ ٣٣).

محدث كبير وحافظ ومجتهد ـ عن سفيان بن عيينة؟ فقال: ذاك أحد الأحدين ـ يقول: ليس له نظير»[1].

ـ وقال الغلابي: «قلت ليحيى بن سعيد القطان: من أحسن من رأيت حديثاً؟ قال: ما رأيت أحداً أحسن حديثاً من سفيان بن عيينة»[2].

ـ وقال عبد الرحمن بن مهدي: «كان ابن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز»[3].

وهناك الكثير من كبار أهل العلم الذين أثنوا عليه خيراً، ولمزيد من هذه الأقوال انظر مصادر ترجمته التي نشير إليها في هوامش ترجمته.

علومــه ومعارفــه:

كان سفيان بن عيينة رحمه الله محدثاً كبيراً متقناً، حتى أصبح المقدم على الحفاظ في وقته، فارتحل طلاب العلم ليرووا عنه من جميع البلاد الإسلامية، وكان عالماً بالقرآن وتفسيره حتى بلغ فيه الغاية القصوى حتى قال فيه علماء عصره:

ـ قال عبد الله بن وهب: «لا أعلم أحداً أعلم بالتفسير من ابن عيينة»[4].

---

(١) الجرح والتعديل (١/ ٣٣).
(٢) تاريخ بغداد (٩/ ١٨٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٧).
(٤) تاريخ مكة (٤/ ٥٩٢)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٣).

ـ وقال نعيم بن حماد: «قلت لعبد الرحمن بن مهدي: أين ابن عيينة من الثوري؟ فقال: عند ابن عيينة من معرفته بالقرآن وتفسير الحديث، وغوصه على حروفٍ متفرقة يجمعها ما لم يكن عند الثوري»[1].

ـ وقال نعيم بن حماد أيضاً: «كان ابن عيينة من أعلم الناس بالقرآن، وما رأيت أحداً أجمع لمتفرق منه»[2].

وكان عالماً بارعاً بتفسير الحديث كما قال الإمام الشافعي: «ما رأيت أحداً أحسن لتفسير الحديث منه»[3].

وكان فقيهاً بارعاً ومجتهداً كبيراً، تتوفر فيه آلة الفتوى كاملة لكنه كان يكف عنها ورعاً. قال حرملة: سمعت الشافعي يقول:

«ما رأيت أحداً فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة، وما رأيت أكف عن الفتيا منه»[4].

تلاميذه:

بلغ سفيان بن عيينة من العلم مرتبة قصد فيه من طلاب العلم من سائر البلاد الإسلامية للسماع منه، فقد أمّه كبار المحدثين في عصره للأخذ عنه، لتميزه بعلو الإسناد.

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ١٨٢).
(٢) الجرح والتعديل (١/ ٣٣ ـ ٣٤).
(٣) الجرح والتعديل (١/ ٣٣).
(٤) مناقب الشافعي للبيهقي (١/ ٥٢١).

فقد روى عنه جماعة من شيوخه: الأعمش، وابن جريج، وشعبة، والثوري، ومسعر. ومن أقرانه: أبو إسحاق الفزاري، وزهير بن معاوية، وحماد بن زيد، وهمام بن يحيى، وابن المبارك، ومعتمر بن سليمان، وعبد الرحمن بن مهدي، وجماعة آخرين منهم.

ومن كبار أصحابه المكثرين عنه: الحميدي، والشافعي، وابن المديني، وأحمد بن حنبل، وإبراهيم بن بشار الرمادي، وغيرهم خلق كثير.

- سفيان بن عيينة وعلاقته بعلي ابن المديني:

- قال سفيان بن عيينة: «تلومونني على حب علي، والله لقد كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني».

- وقال أيضاً: «إني لأرغب عن مجالستكم، ولولا علي ابن المديني ما جلست».

- وقال خلف بن الوليد الجوهري: «خرج علينا ابن عيينة يوماً ومعنا علي ابن المديني فقال: لولا علي لم أخرج إليكم».

«وكان سفيان يسمي علي ابن المديني حية الوادي».

- وقال حفص بن محبوب: «كنا عند ابن عيينة فقام ابن المديني، فقام سفيان وقال: إذا قامت الخيل لم نجلس مع الرجالة»[1].

---

(١) هذه الأقوال كلها تجد مصادرها في ثناء العلماء على علي ابن المديني =

وفـاتــه:

توفي الإمام سفيان بن عيينة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة (١٩٨) ودفن بالحجون[١]. وقد جاء في تاريخ مكة: «وقبره معروفٌ بالمعلاة»[٢].

وقد عاش إحدى وتسعين سنة، وكان كثيراً ما يرثي نفسه في آخر أيامه.

قال قدامة السرخسي: كثيراً ما يرثي نفسه فيقول:

ذهب الزمان فصِرتُ غير مُسوَّدِ ومن الشَّقَاءِ تفردي بالسؤدد[٣]

٢ ـ يحيـى بن سعيد القطان:

هو الإمام الكبير الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، يحيـى بن سعيد بن فروخ، أبو سعيد التميمي، مولاهم البصري، الأحول، القطان.

مـولــده:

ولد في أول سنة عشرين ومائة[٤].

ـ قال يحيـى بن سعيد: «ولدت سنة عشرين في أولها،

= رحمه الله فانظره هناك.

(١) تاريخ بغداد (٩/ ١٨٤).

(٢) تاريخ مكة (٤/ ٥٩٢).

(٣) الجرح والتعديل (١/ ٥١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٦).

وولد معاذ بن معاذ سنة تسع عشرة في آخرها، وهو أسن مني بشهرين، وما اجتمعت أنا وخالد ومعاذ في شيء إلا قدماني»[1].

طلبه العلم وشيوخه:

- قال الذهبي: «وعني بهذا الشأن أتم عناية، ورحل فيه، وساد الأقران، وانتهى إليه الحفظ، وتكلم في العلل والرجال، وتخرج به الحفاظ، كمسدد، وعلي، والفلاس»[2].

وقد صاحب أهل العلم، وتعلم وروى عنهم الكثير من العلم:

- عن علي ابن المديني قال: «سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: لزمت شعبة عشرين سنة، فما كنت أرجع من عنده إلا بثلاثة أحاديث، وعشرة، أكثر مما كنت أسمع منه كل يوم»[3].

- عن يحيى بن سعيد القطان قال: «كنت أخرج من البيت، وأنا أطلب الحديث فلا أرجع إلا بعد العتمة»[4].

وقد سمع من هشام بن عروة، وعبيد الله العمري،

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/١٣٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/١٧٦).
(٣) تهذيب التهذيب (١١/٢١٧)، تاريخ بغداد (١٤/١٣٦)، سير أعلام النبلاء (٩/١٧٧).
(٤) الجرح والتعديل (١/٢٤٩ ـ ٢٥٠)، سير أعلام النبلاء (٩/١٨٣).

ويحيـى بن سعيد الأنصاري، وسليمان الأعمش، وابن جريج، وسفيان الثوري، وشعبة، ومالك بن أنس، وسليمان التيمي، وحميد الطويل، وإسماعيل بن أبي خالد، والأوزاعي، وخلق كثير غيرهم.

توثيق العلماء له:

- قال علي ابن المديني: «ما رأيت أعلم بالرجال من يحيـى بن سعيد»[1].

- وقال أيضاً: «لم أر أثبت من يحيـى بن سعيد»[2].

- وقال محمد بن بشار (بندار): «حدثنا يحيـى بن سعيد القطان إمام أهل زمانه»[3].

- قال أحمد بن حنبل: «حدثني يحيـى بن سعيد وما رأت عيناي مثله»[4].

- وقال أيضاً: «يحيـى بن سعيد أثبت الناس»[5].

- وقال العجلي: «يحيـى بن سعيد يكنى أبا سعيد بصري

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٧)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٣٨)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٧).

(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ١٣٨)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٧)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٣٨ ـ ١٣٩).

(٤) تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٨)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٧)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٣٩).

(٥) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٧٨)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٣٩)، تهذيب التهذيب (١٤/ ٢١٨).

ثقة، نقي الحديث كان لا يحدث إلا عن ثقة»[1].

- قال ابن سعد: «كان ثقة مأموناً رفيعاً حجة».
- أبو زرعة: «كان من الثقات الحفاظ».
- أبو حاتم: «حجة حافظ».
- قال النسائي: «ثقة ثبت مرضي»[2].
- قال عبد الرحمن بن مهدي: «لم تر عيناك مثله»[3].

علمه:

كان يحيى بن سعيد القطان من البارعين في علم العلل، بل كان من أساتذته الذين إليهم مرجع القول فيه:

- عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «اختلفوا يوماً عند شعبة فقالوا: اجعل بيننا وبينك حكماً، فقال: قد رضيت بالأحول - يعني يحيى بن سعيد القطان - فما برحنا حتى جاء يحيى فتحاكموا إليه فقضى على شعبة. فقال شعبة: ومن يطيق نقدك يا أحول»[4].

---

(١) تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٩)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٢ - ١٤٣)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨١).
(٢) تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٩).
(٣) تاريخ بغداد (١٤/ ١٣٩).
(٤) الجرح والتعديل (١/ ٢٣٢)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٧)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٣٦)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨٠).

تلاميذه:

حدث عنه من شيوخه شعبة والسفيانان، ومن أقرانه معتمر بن سليمان، وعبد الرحمن بن مهدي.

وروى عنه عفان بن مسلم، علي ابن المديني، مسدد، أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو خيثمة، وعبيد الله القواريري، محمد بن بشار بندار، محمد بن المثنى، وعمرو بن علي، ويعقوب الدورقي، وإسحاق، وأبو بكر بن أبي شيبة وغيرهم.

علاقة علي ابن المديني بيحيى بن سعيد القطان:

- قال ابن الجنيد عن يحيى بن معين قال: «علي من أروى الناس عن يحيى القطان، أرى عنده أكثر من عشرة آلاف، عنده عنه أكثر من مسدد، كان يحيى يدني علياً، وكان صديقه، وكان علي يلزمه»[1].

- قال عبيد الله القواريري: «سمعت يحيى يقول: يلومونني في حب علي ابن المديني، وأنا أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني»[2].

- قال عباس العنبري: «كان يحيى القطان ربما قال: لا أحدث شهراً، ولا أحدث كذا، فحدثت أنه حدث ابن المديني قبل انقضاء الشهر، قال: فكلمت يحيى في ذلك، فقال: إني

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١).
(٢) الكامل (١/ ١٢٩)، شرح العلل (١/ ٤٨٥)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٩).

أستثني علياً، ونحن نستفيد منه أكثر مما يستفيد منا»[1].

وفــاتــه:

ـ قال علي بن عبد الله المديني: «يحيـى بن سعيد القطان يكنى أبا سعيد، وهو مولى لبني تميم ومات سنة ثمان وتسعين ومائة في صفر»[2].

٣ ـ عبد الرحمن بن مهدي:

الإمامُ النّاقدُ المُجوِّد، سيد الحفاظ، عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن أبو سعيد العنبري، وقيل: الأزدي مولاهم البصري اللؤلؤي.

مـولــده:

ولد سنة خمس وثلاثين ومائة، قاله أحمد بن حنبل وأبو الوليد الطيالسي[3].

طلبـه العلم وشيوخــه:

ـ قال الذهبي: «طلب هذا الشأن، وهو ابن بضع عشرة سنة»[4].

وقد أخذ عن الكثير من الشيوخ وأهل العلم منهم:

---

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١).

(٢) تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٩)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٨٧)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٣)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٠).

(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٣).

مالك بن أنس، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، ويونس بن أبي إسحاق، وعمران القطان، شعبة، سفيان الثوري، سفيان بن عيينة، خالد بن دينار، هشام بن أبي عبد الله الدستوائي، وعبد العزيز بن الماجشون، وعبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب، وغيرهم كثير.

توثيق العلماء له:

- قال ابن المديني: «أعلم الناس بالحديث عبد الرحمن ابن مهدي»[1].

- قال ابن المديني: «كان علم عبد الرحمن في الحديث كالسحر»[2].

- قال الشافعي: «لا أعرف له نظيراً في هذا الشأن»[3].

- قال أحمد بن حنبل: «ما رأيت بعيني مثل يحيى بن سعيد، عبد الرحمن بن مهدي إمام»[4].

- قال الخطيب البغدادي: «بصري قدم بغداد وحدث بها، وكان من الربانيين في العلم، وأحد المذكورين بالحفظ، وممن برع في معرفة الأثر، وطرق الروايات، وأحوال الشيوخ»[5].

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٥)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٤).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٤)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٦).
(٣) تهذيب التهذيب (٦/ ٢٨١).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٨).
(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٠).

- قال ابن حبان: «كان من الحفاظ المتقنين وأهل الورع في الدين، ممن حفظ وجمع وصنف وتفقه وحدث وأبى الرواية إلا عن الثقات».

- قال ابن سعد: «ثقة كثير الحديث».

- قال الخليلي: «هو إمام بلا مدافعة»[1].

- قال الذهبي: «كان إماماً حجة، قدوة في العلم والعمل»[2].

علمه بالعلل وغيره:

- قال علي: «لو أُخذت، فحُلِّفتُ بين الركن والمقام، لحلفت بالله أني لم أر أحداً قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي»[3].

- قال علي ابن المديني ـ وذكر الفقهاء السبعة ـ: «كان أعلم الناس بقولهم ابن شهاب، ثم بعده مالك، ثم بعده عبد الرحمن بن مهدي»[4].

- عن عبد الرحمن بن مهدي قال: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لكتبت تفسير الحديث إلى جنبه، ولأتيت المدينة

---

(١) تهذيب التهذيب (٦/ ٢٨١).
(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٩٤).
(٣) الجرح والتعديل (١/ ١٥٢)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٤).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٢)، العلل لابن المديني (ص ٥١)، الجرح والتعديل (١/ ٢٥٢).

حتى أنظر في كتب قوم سمعت منهم»[1].

- عن عبد الرحمن بن مهدي: «أفتى سفيان الثوري في مسألة قرآني كأني أنكرت فتواه، قال: أنت ما تقول؟ قلت: كذا وكذا خلاف ما يقول، قال: فسكت»[2].

- قال أحمد بن حنبل: «وكان يتوسع في الفقه، وكان فيه أوسع من يحيى، كان يحيى يميل إلى قول الكوفيين، وكان عبد الرحمن يذهب إلى بعض مذاهب الحديث، وإلى رأي المدنيين»[3].

تلاميذه:

تتلمذ عليه كثير من أهل العلم فقد روى عنه عبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب وهما من شيوخه، وعلي، ويحيى، وأحمد، وإسحاق، وابن أبي شيبة، وبندار، وأبو خيثمة، والقواريري، وأبو عبيد، وأبو ثور، وهارون بن سليمان الأصبهاني، محمد بن ماهان زنبقة، وخلق كثير يتعذر حصرهم.

علاقة عبد الرحمن بن مهدي بعلي ابن المديني:

كانت علاقتهما وثيقة جداً، حتى أن علي ابن المديني كان السبب في إسماع الشافعي لعبد الرحمن بن مهدي كتابه «الرسالة»، وقد روى علي ابن المديني عن عبد الرحمن بن

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٢)، الجرح والتعديل (١/ ٢٦٢).
(٢) الجرح والتعديل (١/ ٢٥٦).
(٣) تهذيب التهذيب (٦/ ٢٧٩)، شرح العلل (١/ ٤٦٩).

مهدي الكثير من أقواله في الجرح والتعديل، مما يدل على أن العلاقة بالفعل كانت قوية جداً.

وفـاتــه:

ـ توفي عبد الرحمن بن مهدي بالبصرة في جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائة[1].

ـ قال ابن المديني: «ومات عبد الرحمن بن مهدي سنة ثمان وتسعين، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وولد سنة خمس وثلاثين ومائة»[2].

ب ـ تـلاميــذه

لا شك أن تكوين الرجال لا يقل أهمية عن تأليف التصانيف، وتسويد الصحيف. وتلاميذ الشيخ امتداد لعلمه ومنهجيته، وأثر بارز من آثاره العلمية المعتبرة، بل كانت المصنفات بسائر فنونها ـ في تلك العصور ـ لا تعتبر ولا تروج ـ في الغالب الأعم ـ إلا بالسماع الشرعي من الشيخ المصنف، فإذا تم لها ذلك كتب لها الرواج والذيوع، وبقدر ما يتهيأ لها من الطلبة الذين يقبلون على سماعها من مؤلفها، أو ممن سمعها منه يكون الانتشار والشيوع.

---

(١) تهذيب التهذيب (٦/ ٢٨١)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٠٦).
(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٨).

والإمام علي ابن المديني بما تبوأ من المكانة الجليلة في الحديث، وعلم العلل وغيره من العلوم صار هدفاً لرحلات واهتمام طلاب العلم ليظفروا بالسماع منه، والتلقي عنه، فإنه «كان أعلم أهل عصره»، «وكان أعلم علماء آثار رسول الله ﷺ».

وقد عمّر الإمام علي ابن المديني طويلاً مما مكن أعداداً كبيرة من أهل العلم وطلابه السماع منه، فتخرج به في الحديث جمع غفير من الطلبة.

واستمر علي ابن المديني رحمه الله عاكفاً على نشر العلم وإذاعته حتى آخر سنة في حياته.

- كثرة تلاميذ علي ابن المديني:

بلغ عدد التلاميذ الذين تتلمذوا على يد علي ابن المديني من الكثرة عدداً لا يتصور، حتى أن الإمام الدارقطني جمعهم في جزئين.

- قال الشيرازي في طبقات الفقهاء: «وأما من روى عنه الحديث فخلق كثير ذكرهم الدارقطني في جزئين»[1].

وسأذكر مجموعة من أسماء هؤلاء التلاميذ وأترجم ترجمة مختصرة لثلاثة من أكثر تلاميذه رواية عنه وهم: الإمام البخاري، محمد بن أحمد بن البراء، محمد بن عثمان بن أبي شيبة.

---

(١) طبقات الفقهاء للشيرازي (ص ١١٤).

وفيما يلي مجموعة من أسماء تلاميذ علي ابن المديني رحمه الله.

١ ـ سفيان بن عيينة الهلالي، وهو من شيوخه.
٢ ـ معاذ بن معاذ، وهو من شيوخه.
٣ ـ يحيى بن سعيد القطان، وهو من شيوخه.
٤ ـ أحمد بن حنبل الشيباني، وهو من أقرانه.
٥ ـ يحيى بن معين، وهو من أقرانه.
٦ ـ محمد بن يحيى الذهلي، وهو من أقرانه.
٧ ـ إسحاق بن إبراهيم، وهو من أقرانه.
٨ ـ إبراهيم بن عرعرة، وهو من أقرانه.
٩ ـ عثمان بن أبي شيبة، وهو من أقرانه.

ومن تلاميذه:
١٠ ـ محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح.
١١ ـ عبد الله بن أحمد بن حنبل.
١٢ ـ صالح بن أحمد بن حنبل.
١٣ ـ حنبل بن إسحاق.
١٤ ـ إسماعيل بن إسحاق القاضي.
١٥ ـ أبو حاتم الرازي.
١٦ ـ أبو يعلى الموصلي.
١٧ ـ أبو داود السجستاني.
١٨ ـ محمد بن عثمان بن أبي شيبة.

١٩ ـ محمد بن أحمد بن البراء.

٢٠ ـ محمد بن علي ابن المديني.

٢١ ـ عبد الله بن علي ابن المديني.

٢٢ ـ يعقوب بن شيبة.

٢٣ ـ عثمان بن سعيد الدارمي.

٢٤ ـ أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز.

٢٥ ـ محمد بن عبد الرحيم صاعقة.

٢٦ ـ عبد الله بن محمد بن أيوب الكاتب، وهو آخر من روى عنه.

وخلق كثير غير هؤلاء رحمهم الله جميعاً.

وكان بين وفاة أوائل من روى عنه وآخر من روى عنه فرقاً كبير، وأمداً بعيداً.

ـ فقد حدث عنه سفيان بن عيينة وهو من شيوخه، وعبد الله بن محمد الكاتب البغدادي المعروف بالنبيل وما بين وفاتيهما مائة وثمان وعشرون سنة.

ـ وروى عنه يحيـى القطان وبين وفاته ووفاة الكاتب مائة وثمان وعشرون سنة.

ـ وحدث عنه: محمد بن سعد كاتب الواقدي وبين وفاته ووفاة الكاتب ست وتسعون سنة.

ـ وحدث عنه: يحيـى بن معين وبين وفاته ووفاة الكاتب ثلاث

وتسعون سنة، ومات يحيى بن معين سنة ثلاث وثلاثين ومائتين.

ـ وحدث عنه: أحمد بن محمد بن حنبل وبين وفاته ووفاة الكاتب خمس وثمانون سنة.

ـ وقد توفي عبد الله بن محمد بن أيوب الكاتب، سنة ست وعشرين وثلاثمائة[1].

وفيما يلي ترجمة موجزة لثلاثة من تلاميذه الذين أكثروا من الرواية عنه:

١ ـ محمد بن إسماعيل البخاري:

هو أمير المؤمنين في الحديث، الإمام المقدام، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري.

مولده:

اتفقوا على أن الإمام البخاري ـ رحمه الله ـ ولد بعد صلاة الجمعة، لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال، سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة ببلدة بخارى[2].

طلبه للعلم وشيوخه:

ظهر نبوغ الإمام البخاري في صغره وهو في الكتَّاب، فرزقه الله سبحانه قلباً واعياً، وحافظة قوية، وذهناً وقّاداً، وأُلهم حفظ الحديث من صغره، ثم صار يختلف إلى علماء عصره،

---

(١) السابق واللاحق للبغدادي (ص ٢٧٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٩٢).

وأئمة بلده، فأخذ عنهم وصار يراجعهم ويناقشهم، وعرف كلام أهل الرأي وأصولهم ومذاهبهم.

وقد ارتحل في سبيل طلب العلم رحلة طويلة، طاف فيها الكثير من البلاد الإسلامية.

ودخل معظم مراكز العلم والحديث، وأتعب جسمه في سبيل ذلك وأضناه، وعرض نفسه للمخاطر والأهوال.

وقد روى العلم عن الكثير من المشايخ منهم: أحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، ومكي بن إبراهيم، وأبو عاصم النبيل، وعفان بن مسلم، وعبيد الله بن موسى، وأبو نعيم، وإسماعيل بن أبي أويس، وآدم بن أبي إياس وخلق كثير غير هؤلاء.

توثيق العلماء له:

- قال نعيم بن حماد: «محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة»[1].

- عن أحمد بن عبد السلام قال: «ذكرنا قول البخاري لعلي ابن المديني - يعني: ما استصغرت نفسي إلا بين يدي علي ابن المديني - فقال علي: دعوا هذا، فإن محمد بن إسماعيل لم ير مثل نفسه»[2].

---

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٢)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤١٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٢٠)، تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٦٩)، مقدمة الفتح (ص ٤٨٤).

- قال أبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير: «ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل»[1].

- قال أحمد بن حنبل: «ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل»[2].

وهناك الكثير من أقوال أهل العلم في الثناء عليه.

تلاميذه:

روى عنه خلق كثير منهم: أبو عيسى الترمذي، وأبو حاتم الرازي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وصالح بن محمد جزرة، ومحمد بن عبد الله الحضرمي مُطَيَّن، ومسلم بن الحجاج في غير الصحيح، ومحمد بن يوسف الفربري.

وفاته:

توفي رحمه الله ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر، ودفن يوم الفطر بعد صلاة الظهر سنة ستٍّ وخمسين ومائتين. وعاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً[3].

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٢/٤٢١)، مقدمة الفتح (ص ٤٨٤).
(٢) تاريخ بغداد (٢/٢١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/٦٨)، سير أعلام النبلاء (١٢/٤٢١).
(٣) تاريخ بغداد (٢/٦، ٣٤)، سير أعلام النبلاء (١٢/٤٦٨)، وفيات الأعيان (٤/١٩٠).

٢ ـ محمد بن عثمان بن أبي شيبة:

هو الإمام الحافظ المسند أبو جعفر محمد بن عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي مولاهم الكوفي[(١)].

مولده:

لم تذكر المصادر التي ترجمت له عام ولادته، ولكنها اتفقت أن عام وفاته هو سنة سبع وتسعين ومائتين.

ـ قال الذهبي: «مات ابن أبي شيبة في جمادى الأولى سنة سبع وتسعين ومائتين وقد قارب التسعين»[(٢)].

شيوخه:

تتلمذ على عدد كبير من العلماء منهم: والده عثمان بن أبي شيبة، عمه أبو بكر بن أبي شيبة، علي ابن المديني، يحيى بن معين، ويحيى بن عبد الحميد الحماني، ومنجاب بن الحارث بن عبد الرحمن التميمي وغيرهم.

تلاميذه:

روى عنه كثير من التلاميذ منهم محمد بن سليمان بن الباغندي، يحيى بن محمد بن صاعد، أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، أبو بكر أحمد بن سلمان النجاد، وأبو بكر محمد بن عبد الله البزار وغيرهم.

---

(١) تاريخ بغداد (٣/٤٢)، شذرات الذهب (٢/٢٢٦)، الوافي بالوفيات (٤/٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/١٤٣).

ثناء العلماء عليه:

ـ قال الذهبي: «الحافظ المسند.. وكان من أوعية العلم»[1].

ـ قال ابن عدي: «لم أر له حديثاً منكراً، وهو على ما وصف لي عبدان لا بأس به»[2].

ـ قال الخطيب: «وكان كثير الحديث، واسع الرواية، ذا معرفة وفهم، وله تاريخ كبير»[3].

وفـاتــه:

قال الذهبي: «مات ابن أبي شيبة في جمادى الأولى سنة سبع وتسعين ومائتين وقد قارب التسعين»[4].

٣ ـ محمد بن أحمد بن البراء:

محمد بن أحمد بن البراء بن المبارك، أبو الحسن العبدي القاضي المقرىء البغدادي.

عرض على خلف بن هشام تسع ختمات.

سمع الحديث من المعافى بن سليمان (ت ٢٣٤ هـ)، وخلف بن هشام البزار (ت ٢٢٩ هـ)، ومحمد بن حسان السمتي

(١) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٣).
(٢) تاريخ بغداد (٣/ ٤٥).
(٣) تاريخ بغداد (٣/ ٤٣)، اللسان (٥/ ٢٨٠).
(٤) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٣).

(ت ٢٢٨ هـ)، وعلي ابن المديني (ت ٢٣٤ هـ)، ومحمد بن الصباح (ت ٢٢٧ هـ).

روى القراءة عنه: أحمد بن محمد بن علي الديباجي، وعثمان بن أحمد الدقاق، وعلي بن سعيد القزاز، وابن زياد النقاش[١].

روى عنه الحسين بن إسماعيل المحاملي، ومحمد بن مخلد الدوري، وعثمان بن أحمد الدقاق، وعبد الباقي بن قانع في آخرين[٢].

قال الخطيب وغيره: «ثقة»[٣].

له من الكتب:

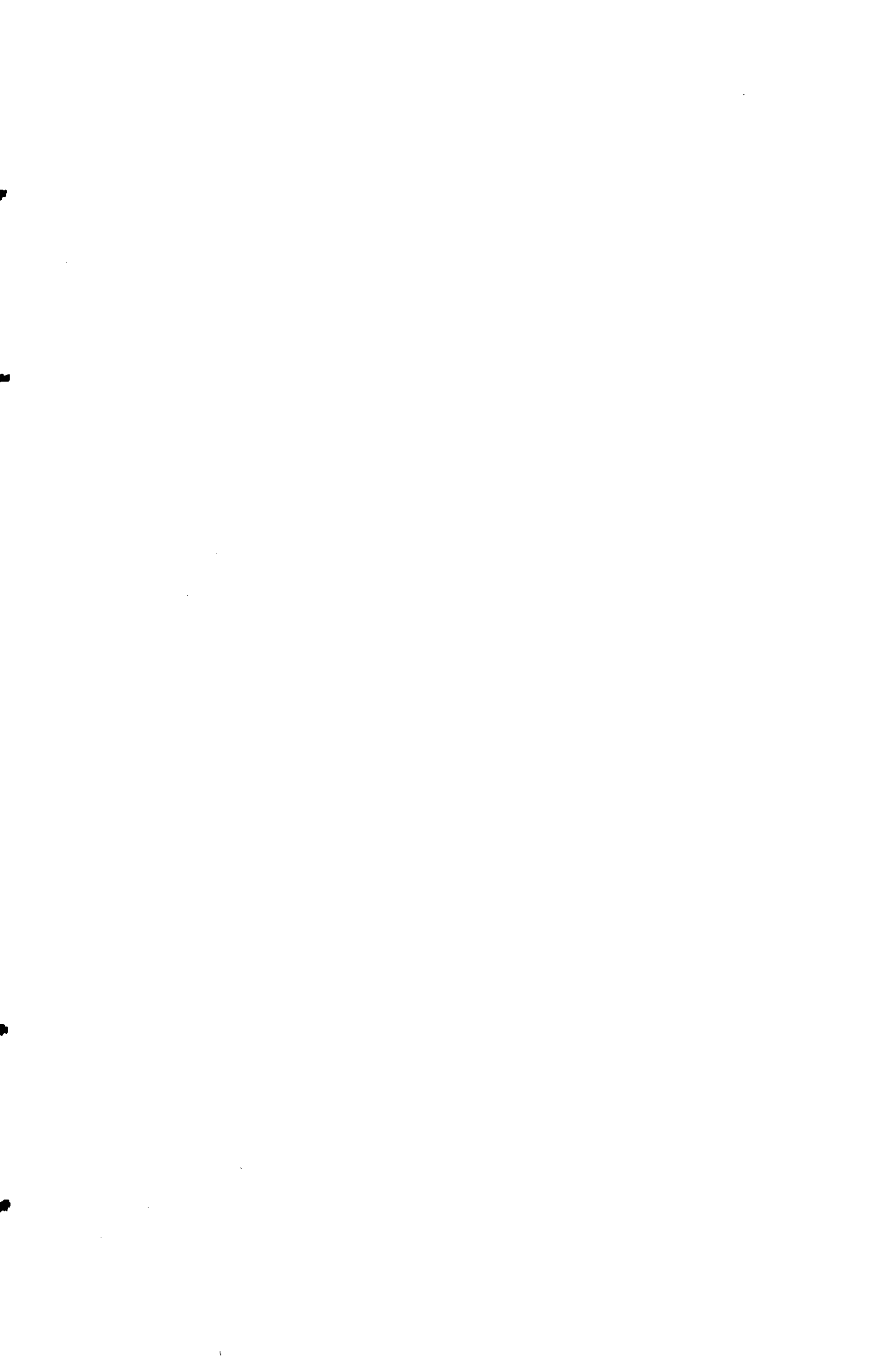
١ ـ كتاب الروضة ـ وهو في الزهد.

٢ ـ كتاب التاريخ[٤].

مات في شوال سنة إحدى وتسعين ومائتين[٥].

---

(١) طبقات القراء للجزري (٢/ ٥٦).
(٢) تاريخ بغداد (١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢).
(٣) تاريخ بغداد (١/ ٢٨٢)، طبقات القراء للجزري (٢/ ٥٦).
(٤) موارد الخطيب البغدادي (ص ١٦٢).
(٥) تاريخ بغداد (١/ ٢٨٢)، العبر للذهبي (٢/ ٨٩)، تذكرة الحفاظ (٦٥٩)، طبقات القراء للجزري (٢/ ٥٦).



الفصل الرابع

عُلُومُهُ وَمعَارِفُهُ وَمُؤَلَّفَاتُهُ

١ ــ علـومـه ومعارفـه

وصل الإمام علي ابن المديني إلى مرتبة من العلم لم يصلها أحد من أهل عصره، حتى وصف بأنه أعلم أهل عصره، وأنه أكثر علماء عصره جمعاً للأحاديث، حتى أشير إليه بالبنان، وأصبح عند الناس إماماً يقتدى به، وحُقَّ له ذلك وهو الذي طوف وارتحل في طلب العلم من بلد لآخر، وصبر على ذلك فأعطاه الله تعالى من العلم الشيء الكثير، حتى فاق على الأقران والمعاصرين:

ـ عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: «انتهى العلم إلى أربعة: أبو بكر بن أبي شيبة أسردهم له، وأحمد بن حنبل أفقههم فيه، وعلي ابن المديني أعلمهم به، ويحيـى بن معين أكتبهم له»[1].

---

(١) الجرح والتعديل (١/ ٣١٥)، طبقات الحنابلة (١/ ٤١٧)، تهذيب الأسماء (٢/ ١٨٧)، التهذيب (١١/ ٢٨٣).

ـ قال أبو قدامة السرخسي: سمعت علياً يقول: «رأيت كأن الثريا تدلت حتى تناولتها».

قال أبو قدامة: «صدق الله رؤياه، بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه أحد»[1].

ـ قال البخاري رحمه الله: «كان علي أعلم أهل عصره، كان أعلم زمانه»[2].

ورجل كعلي ابن المديني رحل الرحلات الكثيرة لا بد أن معارفه وعلومه كانت متعددة ومتنوعة، فقد برع علي ابن المديني في عدد من العلوم منها:

أ ـ علم العلل.
ب ـ علم التاريخ.
جـ ـ علم الأنساب.
د ـ علم الفقه.
هـ ـ علوم القرآن والتنزيل.

وسأتكلم عن كل علم من هذه العلوم بإيجاز واختصار.

أ ـ علي ابن المديني وعلم العلل:

بلغ علي ابن المديني في علم علل الحديث واختلافه شأواً

---

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١).

(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦)، رفع اليدين (ص ٣٤).

كبيراً، ووصل درجة لم يصلها غيره، فهو الناقد المتبحر في هذا العلم، وصاحب قدم راسخة فيه، وسأقتصر هنا على بعض أقوال العلماء في براعته في هذا العلم، تاركاً التفصيل للباب الثاني حيث سأتكلم بشكل مطول عن علم العلل وكنهه، وبراعة علي بن المديني فيه.

- قال أبو حاتم: «كان ابن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل»[1].

- قال صالح جزرة: «أعلم من أدركت بالحديث وعلله علي بن المديني»[2].

- قال هارون بن إسحاق الهمذاني: «الكلام في صحة الحديث وسقيمه لأحمد بن حنبل وعلي ابن المديني»[3].

- قال عبد الرزاق: «رحل إلينا من العراق أربعة من رؤساء الحديث: الشاذكوني وكان أحفظهم للحديث، وابن المديني وكان أعرفهم باختلافه، ويحيى بن معين وكان أعلمهم بالرجال، وأحمد بن حنبل وكان أجمعهم لذلك كله»[4].

- قال حنبل بن إسحاق: سمعت عمي أحمد بن حنبل

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٠).

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٤)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٩)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٣).

(٣) شرح علل الترمذي (ص ١٤٣).

(٤) شرح علل الترمذي (ص ١٤١).

يقول: «أحفظنا للطوالات الشاذكوني، وأعرفنا بالرجال يحيى بن معين، وأعلمنا بالعلل علي ابن المديني، وكأنه أومأ إلى نفسه بأنه أفقههم»[1].

ـ قال الذهبي: «وأما علي ابن المديني فإليه المنتهى في معرفة علل الحديث النبوي، مع كمال المعرفة بنقد الرجال، وسعة الحفظ والتبحر في هذا الشأن، بل لعله فرد زمانه في معناه»[2].

ب ـ علي ابن المديني وعلم التاريخ:

إن الرجل المختص بعلم العلل والمبرز فيه، أحوج ما يحتاج في هذا العلم إلى علم التاريخ، وأيام الناس، ووقائع الأحداث، وأحوال الرواة، حتى يستطيع أن يميز بين صحيح الحديث وسقيمه، وأن يخبر روايات كل راوٍ صحة وضعفاً، وفي أي الأوقات تكون رواية الراوي موثوقة، وفي أي الأوقات تكون روايته غير موثوقة.

وقد كان علي ابن المديني من ذلك الصنف من العلماء الذين أولوا علم التاريخ أهمية بالغة، ساعده على ذلك رحلاته الواسعة التي جال خلالها في البلاد الإسلامية، فتلقى عن كبار أهل العلم في عصره، وعاين البلاد التي ارتحل إليها ووصلها، ووقف على كثير من الأحداث، وعاصر الكثير من العلماء.

---

(١) شرح العلل (ص ١٤٣).
(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٤١).

فاستطاع أن ينقد، ويوثق، ويجرح، عن خبرة بالرجال ومعرفة تامة لهم.

وقد صنف الإمام علي ابن المديني كتباً عدة جليلة القدر، عظيمة الأثر، نقل عنها من جاء بعده من العلماء، فحفظوا كثيراً من محتواها في مصنفاتهم، لأن كتب هذا الإمام لم يصل كثير منها إلينا لأنها فقدت بعد وفاته بفترة زمنية غير محددة، من هذه المصنفات:

- كتاب التاريخ، عشرة أجزاء.
- كتاب الطبقات، عشرة أجزاء.
- أخبار آل أبي العباس.
- كتاب الضعفاء، عشرة أجزاء.
- كتاب قبائل العرب، عشرة أجزاء.

وغيرها من المصنفات القيمة، وإني بحول الله تعالى قد قمت بجمع موسوعة كبيرة من أقواله في الرجال توثيقاً وتجريحاً، تتبعت كتب التراجم والرجال والسير، فلعلي بذلك أستطيع أن أسد ثغرة، وأملأ فراغاً، وأقدم خدمة لهذا العالم الجليل، سائلاً المولى أن ييسر طباعتها عن قريب بحوله ومنه وكرمه.

جـ - علي ابن المديني وعلم الأنساب:

كان للأنساب عند العرب في الجاهلية شأن عظيم، وكانت

المعرفة بها تعد من أعلى المعارف عندهم وأسماها، يتبارون بها ويتفاخرون، وهو من العلوم الذي انفرد العرب بمعرفته عن غيرهم من الأمم.

ـ قال الخفاجي: «وأما مراعاة الأنساب وحفظها، وذكر الأصول والبحث عنها، فباب تفردت به العرب فلم يشاركها فيه مشارك، ولا ماثلها فيه مماثل»[1].

ولما جاء الإسلام، وانتشر نوره، وسادت معارفه السامية التي أقصى بها ما سواها من معارف وأعراف جاهلية، فإنه قد أبقى على علم الأنساب، فحث على تعلمه، ونماه، ما دام أداة للتعارف الذي جعل الله الناس لأجله شعوباً وقبائل في قوله سبحانه: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير**﴾ [الحجرات آية ١٣].

وقد تميز هذا العلم بأهمية كبرى، وهي معرفة أنساب رواة الأخبار، وحملة الآثار، مما يترتب على ذلك من تمييزهم، وتمييز رواياتهم، لقبولها أو رَدِّها، ولذلك كان هذا العلم مثار اهتمام بالغ من علماء الحديث من السلف، وكان من بين هؤلاء الإمام علي ابن المديني رحمه الله.

ومما يدل على اهتمامه البالغ بهذا العلم أنه ألف فيه

---

(١) سر الفصاحة (ص ٥٥).

العديد من المصنفات من أهمها:

١ ـ تسمية من روى عنه من أولاد العشرة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ.

٢ ـ أخبار آل أبي العباس.

٣ ـ كتاب قبائل العرب، عشرة أجزاء.

٤ ـ الأخوة والأخوات.

٥ ـ الطبقات، عشرة أجزاء.

٦ ـ الأسامي الشاذة، ثلاثة أجزاء.

د ـ علي ابن المديني وعلم الفقه:

الفقه من العلوم الإسلامية العظيمة، التي حظيت باهتمام واعتناء علماء السلف الصالح رضي الله عنهم، من لدن الصحابة الكرام وحتى عصرنا الحالي، وذلك لعلو قدره، وجليل نفعه، ورفعة منزلته، وقبل ذلك لأهميته وضرورته، فبه يعبد المسلم ربه على بصيرة.

وقد تهيأت الفرصة للإمام علي ابن المديني ليبرع في الفقه، فهو الخبير بأصول المدارس الفقهية، وإليه انتهى علمها.

ـ عن أحمد بن يحيى بن الجارود قال: سمعت علي بن عبد الله بن جعفر المديني يقول: «انتهى علم أصحاب رسول الله ﷺ من الأحكام إلى ثلاثة ممن أخذ عنهم وروي عنهم العلم: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس.

وأخذ عن عبد الله بن مسعود، ستة: علقمة بن قيس،

والأسود بن يزيد، وعبيدة السلماني، والحارث بن قيس، ومسروق، وعمرو بن شرحبيل.

قال علي: وانتهى علم هؤلاء إلى إبراهيم النخعي وعامر الشعبي، وانتهى علم هؤلاء إلى أبي إسحاق والأعمش، ثم انتهى علم هؤلاء إلى سفيان بن سعيد.

قال علي: وكان يحيى بن سعيد يميل إلى هذا الإسناد ويعجبه.

قال علي: وأخذ عن زيد بن ثابت أحد عشر رجلاً ممن كان يتبع رأيه، ويقتدى به: قبيصة بن ذؤيب، وخارجة بن زيد، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وعروة بن الزبير، وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، وسعيد بن المسيب، وأبان بن عثمان، وسليمان بن يسار.

قال عليّ: ثم صار علم هؤلاء كلهم إلى ثلاثة: إلى ابن شهاب، وبكير بن عبد الله بن الأشج، وأبي الزناد، ثم صار علم هؤلاء كلهم إلى مالك بن أنس، وكان عبد الرحمن بن مهدي يميل إلى هذا الإسناد ويعجبه.

فأما ابن عباس فصار علمه إلى ستة نفر إلى: سعيد بن جبير، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، ومجاهد، وجابر بن زيد، وطاووس. وصار علم هؤلاء كلهم إلى عمرو بن دينار.

قال علي: وكان سفيان بن عيينة يعجبه هذا الإسناد ويميل إليه»[1].

وبعد أن أوردت هذا النص الذي يدل على معرفة علي ابن المديني بالمدارس الفقهية، والشيوخ الذين تدور عليهم الأحاديث الحكمية، والمسائل الفقهية، يتضح لنا أن علي ابن المديني رحمه الله لم يكن بالفقيه العادي، وإنما كان من المجتهدين في الفقه واستنباط مسائله، على طريقة السلف الصالح الذين كانوا يستمدون أحكامهم من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

وقد سبق الحديث بشيء من التفصيل، عن مذهبه الفقهي في الفصل الثاني من هذا الباب.

هـ ـ علي ابن المديني وعلوم القرآن والتنزيل:

الاهتمام بكتاب الله تعالى، وإعطاؤه الأولوية، حفظاً وفهماً ومعرفة بالقراءات، والاشتغال بعلومه وأسباب نزوله، كان دأب الأئمة والعلماء، ذلك لأنه أصل الإسلام، وعمدة أحكامه، وأساس تشريعاته.

وقد نال هذا العلم عند علي ابن المديني أهمية كبيرة، فلم يكن بالمتقن لقراءة كتاب الله وتدبر أحكامه فقط، بل وكان من

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٨٩)، المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٥٨)، العلل (٤٦ ـ ٤٧).

البارعين في علم القراءات، حتى وصل إلى مرتبة ينقد فيها كبار القراء ممن اشتهرت قراءتهم في الأمصار الإسلامية من أمثال حمزة بن حبيب أبو عمارة الكوفي أحد القراء السبعة:

ـ قال يعقوب بن شيبة: «سمعت علي بن المديني وهو يذم قراءة حمزة، وقال: إنما أنزل القرآن بلغة قريش وهي التفخيم، فقال له بشر بن موسى: حدثنا نوفل، فقال ابن المديني: نوفل ثقة، قال: سمعت عبد الله بن إدريس يقول لحمزة: اتق الله، فإنك رجل تتأله، وهذه القراءة ليست قراءة عبد الله، ولا قراءة غيره.

فقال حمزة: أما إني أتحرج أن أقرأ بها في المحراب، قلت: لم؟ قال: لأنها لم تكن قراءة القوم، قلت: فما تصنع بها إذاً؟.

قال: إن رجعت من سفري لأتركنها.

ثم قال ابن إدريس: «ما أستخير أن أقول لمن يقرأ لحمزة: إنه صاحب سنة».

قال الذهبي معقباً على هذا النص: «اشتهر تحذير ابن إدريس من ذلك، والله يغفر له، وقد تلقى المسلمون حروفه بالقبول، وأجمعوا اليوم عليها»[1].

ـ عن ابن محرز قال: «سمعت علي ابن المديني يكره

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/٤٨).

قراءة هذا الحرف ﴿لَمَا عليها حافظ﴾ في السماء والطارق، والحرف الذي في سورة السجدة ـ سجدة لقمان قوله: ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لَمَا صبروا﴾.

وقال: هذا التخفيف كأنه ينقص الكلام، والإشباع في الحرفين جميعاً أحب إليّ (لَمَّا)»[١].

وقد اهتم علي ابن المديني أيضاً بأسباب النزول لأنها علم يكمل علوم القرآن، بل ويشكل البنية التحتية لعلوم القرآن.

قال طاش كبرى زاده: «علم معرفة سبب النزول: والنزول قسمان ابتدائي، أو عقيب سؤال أو حادثة، صنف فيه علي بن المديني شيخ البخاري»[٢].

إذاً فقد صنف علي ابن المديني في أسباب النزول كتاباً جليلاً أوضح فيه عن اهتمامه بعلوم التنزيل، وأن منزلتها في نفسه لم تكن تقل عن منزلة أي علم من العلوم الأخرى، إن لم تتفوق عليها في المنزلة.

٢ ـ مصنفاته

يعتبر الإمام علي ابن المديني رحمه الله من أوائل العلماء

(١) معرفة الرجال (٢/ ٢٠٦).
(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة (٢/ ٣٤٣).

الذين أثروا المكتبة الإسلامية بمجموعة ضخمة من المصنفات الحديثة، وما يتركه العالم خلفه من المصنفات من أكبر الأدلة على مكانته العلمية، وإبراز شخصيته العلمية بين سائر علماء عصره.

وقد تمتع علي ابن المديني رحمه الله بغزارة مادته، وسعة اطلاعه، ودقة بحثه، وصبره الشديد على تحصيل العلم، وقوة حافظته، وحسن استحضاره لما يحفظ، مع ما يتمتع به من بصيرة واعية، جعلت أئمة أهل العلم يرجعون إليه عند الاختلاف، فيعطي الرأي الصائب فيما فيه يختلفون.

- عن أبي يحيى قال: «كان علي ابن المديني إذا قدم بغداد، وتصدر الحلقة، وجاء أحمد، ويحيى، وخلف، والمعيطي، والناس، يتناظرون، فإذا اختلفوا في شيء تكلم فيه علي»[1].

- عن الأعين قال: «رأيت علي ابن المديني مستلقياً، وأحمد بن حنبل عن يمينه، ويحيى بن معين عن يساره، وهو يملي عليهما»[2].

والعالم المتفحص لبعض كتب علي ابن المديني رحمه الله يلحظ مصداقية ما وصفناه به.

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣).
(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣).

ولقد كانت مصنفات علي ابن المديني موضع ثناء العلماء ممن عاصروه، أو جاؤوا من بعده، فأخذوا عنها الكثير من أقواله وأحكامه رحمه الله، كما فعل الإمام البخاري رحمه الله في «التاريخ الكبير»، و «التاريخ الصغير» و «الجامع الصحيح»، وابن أبي حاتم في كتابه «الجرح والتعديل»، والفسوي في كتابه «التاريخ والمعرفة»، والدارقطني في كتاب «المؤتلف والمختلف»، والذهبي في مصنفاته «تذكرة الحفاظ»، و «سير أعلام النبلاء»، و «ميزان الاعتدال»، وابن حجر العسقلاني في «تهذيب التهذيب»، و «لسان الميزان»، والمزي في «تهذيب الكمال»، وغيرهم الكثير من أهل العلم ممن شحنوا مصنفاتهم بأقواله التي ذكرها في مصنفاته التي بلغت أكثر من مائتي مصنف.

ومما قيل في الثناء على مصنفاته رحمه الله:

- قال النووي: «كان أحد أعلام الأئمة المبرزين في الحديث، صنف فيه مائتي مصنف، لم يسبق إلى معظمها، ولم يلحق في كثير منها»[1].

- قال الخطيب البغدادي رحمه الله بعد أن ذكر أسماء مجموعة من مصنفات علي ابن المديني رحمه الله:

«وجميع هذه الكتب قد انقرضت، ولم نقف على شيء منها إلا على أربعة أو خمسة فحسب، ولعمري أن في انقراضها

(١) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٥٠)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٧).

ذهاب علوم جمة، وانقطاع فوائد ضخمة، وكان علي ابن المديني فيلسوف هذه الصنعة وطبيبها، ولسان طائفة الحديث وخطيبها، رحمة الله عليه، وأكرم مثواه لديه»[1].

ـ قال الذهبي: «برع في هذا الشأن، وصنف وجمع، وساد الحفاظ في معرفة العلل، ويقال إن تصانيفه بلغت مائتي مصنف»[2].

ـ وقال فؤاد سزكين: «يقال إنه ألف حوالي مائتي كتاب في موضوعات مختلفة، واستخدم البخاري هذه الكتب في (٢٩٤) موضعاً»[3].

وقد عجب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من سعة اطلاع علي ابن المديني رحمه الله، حين نظر في كتابه الموسوم (بتسمية من روى عنه من أولاد العشرة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ).

ـ عن أبي علي حنبل بن إسحاق بن حنبل قال: «نظر أبو عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ في هذا الكتاب فعجب من تخليص علي ابن المديني هذه الأسماء، ومعرفته بها»[4].

وفيما يلي قائمة بأسماء ما وصل إلينا من أسماء مصنفاته،

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) النص (١٩١٥).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٣).
(٣) تاريخ التراث العربي (١/ ٢٩٣).
(٤) تسمية من روى عنه من أولاد العشرة (ص ٧٧).

وسأتبع ذكر الأسماء بدراسة تحليلية عن مصنفاته التي وصلت إلينا، وظهرت في عالم التحقيق والطباعة.

ثبت بأسماء مصنفات علي ابن المديني:

ذكرت فيما سبق أن مصنفات علي ابن المديني بلغت قرابة مائتي مصنف، وصل إلينا أسماء المصنفات التالية:

١ ـ علل الحديث ومعرفة الرجال[١].

٢ ـ تسمية من روى عنه من أولاد العشرة وغيرهم من أصحاب رسول الله[٢].

٣ ـ «آراؤه في علماء البصرة الذين وصفهم يحيى بن معين بالقدرية» أو «سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي ابن المديني في الجرح والتعديل»[٣].

٤ ـ أخبار آل أبي العباس[٤].

٥ ـ كتاب الأسامي والكنى، ثمانية أجزاء.

٦ ـ كتاب الضعفاء، عشرة أجزاء.

٧ ـ أول من نظر في الرجال وفحص عنهم ، جزء.

٨ ـ علل المسند، ثلاثون جزءاً.

٩ ـ كتاب الطبقات، عشرة أجزاء.

---

(١) طبع مرة بتحقيق الدكتور الأعظمي، ومرة أخرى بتحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي.

(٢) طبع بتحقيق الدكتور علي محمد جماذ.

(٣) حققه موفق عبد الله عبد القادر وطبع بمكتبة المعارف بالرياض.

(٤) ذكره بكر أبو زيد في كتابه النسابون (ص ٥٩).

١٠ ـ كتاب من روى عن رجل ولم يره، جزء.
١١ ـ كتاب العلل لإسماعيل القاضي، أربعة أجزاء.
١٢ ـ علل حديث ابن عيينة، ثلاثة عشر جزءاً.
١٣ ـ كتاب من لا يحتج بحديثه ولا يسقط، جزءان.
١٤ ـ كتاب الكنى، خمسة أجزاء.
١٥ ـ كتاب الوهم والخطأ، خمسة أجزاء.
١٦ ـ كتاب قبائل العرب، عشرة أجزاء.
١٧ ـ كتاب من نزل من الصحابة بسائر البلدان، خمسة أجزاء.
١٨ ـ كتاب التاريخ، عشرة أجزاء.
١٩ ـ كتاب العرض على المحدث، جزءان.
٢٠ ـ كتاب من حدث ثم رجع عنه، جزءان.
٢١ ـ كتاب يحيى وعبد الرحمن في الرجال، خمسة أجزاء.
٢٢ ـ سؤالات يحيى القطان، جزءان.
٢٣ ـ كتاب الثقات والمتثبتين، عشرة أجزاء.
٢٤ ـ كتاب اختلاف الحديث، خمسة أجزاء.
٢٥ ـ كتاب الأسامي الشاذة، ثلاثة أجزاء.
٢٦ ـ كتاب الأشربة، ثلاثة أجزاء.
٢٧ ـ كتاب تفسير غريب الحديث، خمسة أجزاء.
٢٨ ـ كتاب الأخوة والأخوات، ثلاثة أجزاء[١].

(١) طبع بتحقيق الدكتور باسم فيصل جوابرة، طبع دار الراية، وهو جزء من كتاب تسمية من روى عنه من أولاد العشرة.

٢٩ ـ كتاب من يعرف باسمه دون اسم أبيه، جزءان.

٣٠ ـ كتاب من يعرف باللقب، جزء.

٣١ ـ كتاب العلل المتفرقة، ثلاثون جزءاً.

٣٢ ـ كتاب مذاهب المحدثين، جزءان.

٣٣ ـ كتاب المدلسين، خمسة أجزاء.

٣٤ ـ العلل الكبرى[١].

٣٥ ـ أسباب النزول[٢].

٣٦ ـ الأسانيد الشاذة، جزءان[٣].

٣٧ ـ المسند الكبير[٤].

هذا ما استطعت أن أصل إليه من أسماء مصنفاته رحمه الله.

تعريف موجز ببعض مصنفاته:

١ ـ المسند الكبير:

وهو كتاب كبير ألفه الإمام علي ابن المديني رحمه الله قبل مخرجه في رحلته العلمية إلى اليمن، ولما عاد من سفره وجده

---

(١) ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب (٣/ ٢٩٦) (٥/ ٢٧).

(٢) ذكره صاحب الإتقان (١/ ٨٢)، ومفتاح السعادة ومصباح السيادة (٢/ ٣٤٣).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٦٠).

(٤) ألفه قبل سفره إلى اليمن. انظر تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٢)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٢).

قد تلف، لأن الأرضة قد خالطته، وهو من الكتب التي فقدت في حياة أصحابها، ولم ينشط علي ابن المديني لجمعه مرة أخرى فضاع بذلك علم كثير وفوائد جمة.

- قال يعقوب الفسوي في «تاريخه»: «حدثني بكر بن خلف، قال: قدمت مكة وبها شاب حافظ، كان يذاكرني المسندات بطرقها، فقلت له: من أين لك هذا؟ قال: أخبرك، طلبت إلى علي أيام سفيان أن يحدثني بالمسند، فقال: قد عرفت، إنما تريد بذلك المذاكرة، فإن ضمنت لي أنك تذاكر ولا تسميني، فعلت. قال: فضمنت له، واختلفت إليه، فجعل يحدثني بذا الذي أذاكرك به حفظاً. قال الفسوي: فذكرت هذا لبعض من كان يلزم علي، فقال: سمعت علياً يقول: غبت عن البصرة مخرجي إلى اليمن - أظنه ذكر ثلاث سنين - وأمي حية. فلما قدمت، قالت: يا بني! فلان لك صديق، وفلان لك عدو، قلت: من أين علمت يا أمه؟ قالت: كان فلان وفلان، فذكرت منهم - يحيى بن سعيد - يجيئون مسلمين، فيُعَزُّوني، ويقولون: اصبري، فلو قدم عليك، سرك الله بما ترين. فعلمت أَن هؤلاء أصدقاء، وفلان وفلان إذا جاؤوا يقولون لي: اكتبي إليه، وضيقي عليه ليقدم.

فأخبرني العباس بن عبد العظيم أو غيره، قال: قال علي: كنت صنفت «المسند» على الطرق مستقصى، كتبته في قراطيس وصيرته في قمطر كبير، وخلفته في المنزل، وغبت هذه الغيبة،

قال: فجئت فحركت القمطر، فإذا هو ثقيل بخلاف ما كانت، ففتحتها، فإذا الأرضة قد خالطت الكتب، فصارت طيناً، فلم أنشط بعد لجمعه»[1].

ترتيب المسند بين كتب السنة:

قال ابن حزم: «أولى الكتب الصحيحان، ثم صحيح ابن السكن، والمنتقى لابن الجارود، والمنتقى لقاسم بن أصبغ، ثم بعد هذه الكتب كتاب أبي داود، وكتاب النسائي، ومصنف قاسم بن أصبغ، ومصنف الطحاوي ومسانيد أحمد، والبزار، وابن أبي شيبة أبي بكر، وعثمان، وابن راهويه، والطيالسي، والحسن بن سفيان، والمسندي، وابن سنجر، ويعقوب بن شيبة، وعلي ابن المديني، وابن أبي غزرة، وما جرى مجراها التي أفردت لكلام رسول الله ﷺ صرفاً، ثم بعدها الكتب التي فيها كلامه وكلام غيره»[2].

٢ ـ علل الحديث ومعرفة الرجال:

يعد كتاب «علل الحديث ومعرفة الرجال» من أجل كتب العلل على صغره، إذ أنه ملخص وافٍ فيه ما قل ودل، كثير النفع والفائدة، غزير المادة، وهو نموذج من كتب العلل المؤلفة على نسق المسائل المتفرقة، والأجوبة غير المرتبة، ينتقل فجأة

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٢)، المعرفة والتاريخ (٢/ ١٣٦ ـ ١٣٧)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٢)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩ ـ ٥٠).
(٢) تدريب الراوي (١/ ١١٠).

من موضوع إلى موضوع، ولكن الكتاب بمجموعه يتناول العلل في أربعة أقسام:

القسم الأول: تكلم فيه علي ابن المديني عن مقدمات عامة في العلل وعلم الرجال، بيّن فيها طبقات الرواة في مختلف الأمصار، مع ذكر أول من صنف في الحديث، وفي هذه المقدمات ذكر للمكثرين من الرواة، وإلقاء الضوء على من دار عليه الإسناد منهم من عهد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ إلى زمن ابن المديني، وفيما يلي نص من كلامه:

(قال علي: لم يكن من أصحاب النبي ـ ﷺ ـ أحد له أصحاب يفتون بقوله في الفقه إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس؛ وكان لكل رجل منهم أصحاب يقولون بقوله ويفتون الناس، وكان أصحاب عبد الله الذين يقرأون بقراءته، ويفتون بقوله، ويذهبون مذهبه: علقمة بن قيس، والأسود بن يزيد، ومسروق بن الأجدع، وعبيدة السلماني، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، ستة هؤلاء عدهم إبراهيم النخعي، وكان أعلم أهل الكوفة بأصحاب عبد الله وطريقتهم ومذاهبهم إبراهيم والشعبي، إلا أن الشعبي كان يذهب مذهب مسروق، يأخذ من علي وأهل المدينة وغيرهم، وكان إبراهيم يذهب مذهب أصحابه، أصحاب عبد الله هؤلاء.

وكان أبو إسحاق وسليمان الأعمش أعلم أهل الكوفة بمذهب عبد الله وطريقته، والحكم بعد هذين، وكان سفيان بن

سعيد أعلم الناس بهذين وبحديثهم وطريقهم، ولا يقدم عليهم أحداً)[١].

إنها كلمات معدودة يتابع من خلالها ابن المديني الحركة العلمية ـ والحديث منها خاصة ـ خلال مائة وخمسين سنة، في الكوفة، بدأها بابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وانتهى بسفيان الثوري.

وانتهج هذا الأسلوب في مدرسة المدينة بدءاً بزيد بن ثابت، وفي مدرسة مكة بدءاً بابن عباس وانتهاء بابن جريج، كما تعرض للرواية في الشام، والبصرة، وواسط[٢].

وبهذا الأسلوب القائم على استقصاء طبقات الرواة يكون علي ابن المديني قد أرسى أحد الأسس لعلم العلل خاصة، وعلم الرجال عامة، ومن خلال كلمات علي ابن المديني يصل القارىء إلى التصور الصادق لطرق الرواية، وبيان خطوطها عبر الأجيال افتراقاً واتفاقاً.

القسم الثاني: فيه عملية استقصاء للرواية عن بعض الرواة، وجاء هذا بعد أن ذكر مسارات الرواية في البلدان، وفي هذا القسم يتابع الرواية عن شخص واحد فيذكر من سمع منه، ومن لم يسمع، وقد بدأ بالصحابي الجليل زيد بن ثابت، فذكر من روى عنه من أهل المدينة، ثم من روى عنه من أهل الكوفة، ثم

---

(١) العلل لعلي ابن المديني (ص ٤٩).
(٢) العلل لعلي ابن المديني (ص ٣٩ ـ ٥٠).

من روى عنه ولم يثبت سماعه منه، ثم ذكر بعض الأحاديث كنماذج تطبيقية.

وقد عقد في هذا القسم فصلاً عن الحسن البصري، فجاء كلاماً ضافياً وافياً أظهر فيه قدرة علمية فائقة، فكشف حركة الحديث عن الحسن صحة وعلة، ولعل ابن المديني هو أول من نقل الحديث إلى ميدان الدراسة التحليلية الشاملة المستقصية، ولا بأس أن ننتقل إلى عبارته فلعلها تعطي القارىء مزيد إيضاح وبيان:

ـ قال علي: «سمع الحسن من عثمان بن عفان ـ وهو غلام ـ يخطب، ومن عثمان بن أبي العاص ومن أبي بكرة، ولم يسمع من عمران بن حصين شيئاً، وليس بصحيح، لم يصح عن الحسن عن عمران سماعٌ من وجه صحيح ثابت.

قلت: سمع الحسن من جابر؟ قال: لا.

ـ قلت: سمع الحسن من أبي سعيد الخدري؟ قال: لا، كان بالمدينة أيام كان ابن عباس بالبصرة، استعمله عليها علي. وخرج إلى صفين. وقال في حديث الحسن: خطبنا ابن عباس بالبصرة، إنما هو كقول ثابت: قدم علينا عمران بن حصين، ومثل قول مجاهد: خرج علينا علي، وكقول الحسن: أن سراقة بن مالك بن جعشم حدثهم، وكقولهم: غزا بنا مجاشع.

الحسن لم يسمع من ابن عباس، وما رآه قط، كان ابن عباس بالبصرة، ومن عبد الله بن مغفل، ومن معقل بن يسار،

ومن أنس بن مالك، ومن سمرة بن جندب»[1].

وبالمقارنة بين ما ذكره علي ابن المديني هنا عن الحسن البصري، وبين ما ذكره صاحب تهذيب التهذيب تبين للباحث دقة ابن المديني، وتعميم غيره وتوسعه كأن يقول صاحب التهذيب:

«روى عن أبي بن كعب وسعد بن عبادة وعمر بن الخطاب، ولم يدركهم. وعن ثوبان وعمار بن ياسر وأبي هريرة وعثمان بن أبي العاص، ومعقل بن يسار، ولم يسمع منهم، وعن عثمان وعلي وأبي موسى وعمران بن حصين وجندب البجلي، وابن عمرو، وابن عباس، وابن عمر، ومعاوية، ومعقل بن يسار وجابر وخلق»[2].

وفي هذه العبارة سمى قوماً، وقال: لم يدركهم، وسمى آخرين، وقال: ولم يسمع منهم، وسمى فئة ثالثة، ولم يذكر نفي الإدراك أو السماع، بينما جاء النفي القاطع بعدم سماع الحسن من بعضهم كعمران بن حصين، وابن عباس، وجابر.

القسم الثالث: وهذا القسم ذكر فيه ابن المديني مجموعة من الأحاديث، وبيّن علة كل واحد منها، وعرض طرقه عرضاً مستفيضاً سيراً على أسلوبه الذي سبق وأن أشير إليه في بداية كلامنا على هذا الكتاب، وفيما يلي مثال من هذا القسم:

قال علي: «وحديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (أمرت

---

(١) العلل لابن المديني (ص ٥٤).
(٢) تهذيب التهذيب (٢/ ٢٦٤).

أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلّه إلا الله).

قال: رواه صالح، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة.

ورواه عقيل، فخالفه صالح في إسناده، فرواه عن عبيد الله ابن عبد الله، عن أبي هريرة، عن عمر بن الخطاب.

ورواه ابن عيينة عن أبي هريرة مرسلاً.

ورواه معمر عن الزهري عن عبيد الله مرسلاً.

ورواه سفيان بن حسين عن الزهري عن عبيد الله عن أبي هريرة.

ورواه عمران القطان فخالفهم جميعاً، فرواه عن معمر عن الزهري عن أنس عن أبي بكر، والحديث حديث عبيد الله»[١].

القسم الرابع: وفي هذا القسم تعرض لعدد من الرجال، من حيث العدالة والضعف، وثبوت الرواية عنهم أو انقطاعها كما أن فيه البيان لكثير من الوفيات والكنى:

«قال علي: إسرائيل ضعيف.

قال علي: عنبسة البصري الذي يروي عن الحسن، روى عنه عبد الوهاب الثقفي: ضعيف.

قال علي: غاضرة بن عروة الفقيمي شيخ مجهول، لم يرو عن غير عاصم بن هلال»[٢].

(١) العلل لابن المديني (ص ٨٥ ـ ٨٦).
(٢) العلل لابن المديني (ص ٩٣).

وبعد هذه الجولة في كتاب العلل لابن المديني، أقول: إن هذه المعرفة أساسية لرجل العلل، ومن يستوعبها ويتقنها فلا بد أن يصبح من رجال هذا الفن[1].

وقد طبع هذا الكتاب مرتين أولاهما بتحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، والثانية بتحقيق الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي، ولا تخلو واحدة من هاتين الطبعتين من بعض التصحيفات، لكنهما قد خدما الكتاب خدمة جليلة فجزاهما الله خيراً ونفع بهما.

٣ ـ «سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي ابن المديني في الجرح والتعديل» أو «آراؤه في علماء البصرة الذين وصفهم يحيى بن معين بالقدرية»:

أ ـ تعريف عام:

هذا الكتاب جاء على شكل رسالة صغيرة الحجم.. ومع ذلك فإنها عظيمة الفائدة، حيث أنها اشتملت على (٢٦٠) ترجمة مع التراجم المكررة، وقد جاءت على شكل أسئلة وجهها محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أو غيره من تلاميذ علي ابن المديني حيث نجد محمد بن عثمان تارة يقول: (سألت علياً) وتارة يقول: (سمعت علياً وسئل) وتارة أخرى يقول: (وسئل علي).

---

(١) هذا التلخيص الموجز لكتاب علي ابن المديني هذا أخذته عن كتاب (العلل في الحديث) لأستاذنا وشيخنا الدكتور همام عبد الرحيم سعيد حفظه الله ونفع به من صفحة (٥٧ ـ ٦١).

وقد تضمنت أجوبة علي ابن المديني عن تلك السؤالات عموماً التعريف برجال الحديث وبيان أحوالهم جرحاً وتعديلاً، وبيان أوهامهم في بعض مروياتهم، وأحياناً ينقل محمد بن عثمان مع قول علي ابن المديني قول غيره من الحفاظ حيث قال في الترجمة (٢٠١): «سمعت علياً يقول: يونس بن بكير، وقد كتبت عنه، ولست أحدث عنه»، ثم قال: «قال لي يحيى الحماني لا نستحل الرواية عنه».

وقد تميزت السؤالات بالاختصار، سواء من قبل محمد بن عثمان حين يسأل شيخه أو من قبل علي حين يجيب على السؤال، أو حين يعطي علة إسناد، أو حديث، فالإيجاز وقصر النفس هما السمة البارزة في السؤالات والجواب عليها.

ب ـ مصادر علي ابن المديني في السؤالات:

يعتبر بيان مصادر الناقد من الأمور المهمة في الجرح والتعديل... ورغم المكانة السامية لعلي ابن المديني بين أئمة الجرح والتعديل، فإنه لم يهمل آراء غيره من النقاد، لذا فقد صرح في أكثر من موضع من السؤالات ببيان مصدره في الكلام على الرواة وبيان أحوالهم جرحاً وتعديلاً، وقد يشير إلى مصادره في الحكم على الرجال بالتحديد، أو الإجمال ومثال ذلك:

ترجمة (١٢٦) حين سئل عن عبد الرحمن بن إسحاق المدني فقال: هو عندنا صالح وسط وكان يحيى بن سعيد يضعفه.

ترجمة (١٧٠) حين سئل عن أيوب بن عبيدة فقال: (كان عند أصحابنا ضعيفاً..) وقد يتفق رأيه في الجرح والتعديل مع المصادر التي يشير إليها، وقد يختلف.

جـ - أنواع النقد وألفاظه في السؤالات:

من دراسة السؤالات يتبين لنا أنَّ النقد عند علي ابن المديني جرحاً وتعديلاً، ينقسم إلى قسمين رئيسيين.

أحدهما: النقد المطلق وهو أن يحكم على الراوي بالجرح أو التعديل بصفة عامة مطلقة كقوله في ترجمة (٧): (كان ضعيفاً ضعيفاً)، وفي ترجمة (١٩٠): (ضعيف لا يكتب حديثه، وليس بشيء) وهذا القسم هو الصفة الغالبة على السؤالات.

وأما **القسم الثاني** فهو النقد المقيد وهو أن يحكم على الراوي بالتعديل مع جرحه في جانب معين، مثال ذلك الترجمة (١٤٥) حين قال في مروان بن معاوية: (كان يوثق، وكان يروي عن قوم ليسوا ثقات، ويكني عن أسماءهم..).

وأما ألفاظه في الجرح والتعديل فهي إما مفردة مثل: ضعيف، أو ثقة.

وإما مركبة مثل قوله: (كان ضعيفاً، ضعيفاً)، أو (ثقة مأمون).

د - بيان نسبة الرواة ومواطنهم:

اهتم علي ابن المديني في السؤالات ببيان نسبة الراوي إلى

أصله، أو بلده أو محل نزوله، مثال ذلك الترجمة (١٠٠) قال: (كان حنظلة، وأخوه عمرو بن أبي سفيان مكيين، من بني جمح).

هـ ـ وقد اهتم بأمور أخرى منها:

بيان الاسم واللقب كما في ترجمة (٥٧) و (٥٩)، وبيان من له صلة بالراوي من الأخوة أو الأقارب، وبيان حالهم جرحاً وتعديلاً كما في ترجمة (٩٨)، وبيان الطبقة كما في ترجمة (١٢١)، وبيان شيوخ الرواة وتلاميذهم كما في ترجمة (١٢٠) و (١٥١) و (٢٣٣)، وبيان عقيدة الراوي كما في ترجمة (١٣) و (١٥٣)، وبيانه للأفراد كما في ترجمة (٧٦)، والأفراد هو ما تفرد به الراوي بأي وجه من وجوه التفرد، وهو من فنون علم الرجال يدل على تبحر المتصدي له، وكثيراً ما يقع في الخطأ ممن حكم به»[1].

٤ ـ تسمية من روى عنه من أولاد العشرة وغيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ:

يقول الدكتور أكرم ضياء العمري حفظه الله:

«وقد وصل إلينا كتاب علي ابن المديني (ت ٢٣٤ هـ) المعروف بـ«تسمية أولاد العشرة وغيرهم من أولاد الصحابة» وهو يبدأ بذكر فاطمة بنت النبي ﷺ وأولاد علي منها، ثم

(١) هذا التلخيص الموجز استفدناه من مقدمة الأخ العزيز موفق عبد الله عبد القادر حفظه الله.

أحفادهما، ثم يذكر أولاد أبي بكر، وأولادهم وأحفادهم، ثم أولاد عمر وأولادهم وأحفادهم...، وهكذا يفعل مع بقية العشرة المبشرة، وبعض الصحابة الآخرين، وينتهي بذكر أولاد العباس بن عبد المطلب، فهو لا يقتصر على ذكر الصحابة، بل يتعداهم إلى غيرهم، وهو بذلك يرسم شجرات نسب صغيرة، ويتنوع تنظيمه للمادة، فمرة يعقد موضوعاً في تسمية من سمع من النبي ﷺ، ويقتصر على ذكر أسمائهم دون ترتيبهم على المعجم، أو القبائل بل فقط باعتبار لقائهم بالنبي ﷺ، ثم يعقد موضوعاً آخر في «تسمية الأخوة الذين روي عنهم الحديث»، ثم يعقد موضوعاً يرتب فيه الصحابة على أساس الاشتراك في الاسم «من اسمه هشام» ويسردهم.. «من اسمه معبد»، وهكذا كما رتب قسماً من الصحابة على أساس المدن التي نزلوها يقول «ومن أهل الكوفة» ويذكرهم، «ومن أهل البصرة» ويذكرهم، «ومن الغرباء» ويذكرهم.

وهكذا استعمل في ترتيب المادة وعرضها تقسيمات متباينة، فمرة على النسب، وأخرى على المدن، وثالثة على أساس اللقيا بالنبي ﷺ فقط، وقد استفاد أبو داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥ هـ) في تصنيف رسالته التي أسماها «تسمية الأخوة من أهل الأمصار» مما قرأه في كتاب علي بن المديني بخطه»[١].

(١) بحوث في تاريخ السنة المشرفة (ص ٦٦).

وقد كان هذا الكتاب موضع إعجاب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله:

ـ قال حنبل بن إسحاق بن حنبل: نظر أبو عبد الله ـ يعني أحمد بن حنبل ـ في هذا الكتاب فعجب من تخليص علي ابن المديني هذه الأسماء، ومعرفته بها[1].

وهذا يدل على أن الكتاب كان مؤلفاً ومكتوباً في ذلك الوقت، والكتاب كله من تأليف ابن المديني، إلا أن حنبل بن إسحاق أضاف في آخره إضافات أخرى نسب بعضها للإمام أحمد، وأكثرها ليحيى بن معين ثم أتبع ذلك بذكر بضعة أحاديث ختم بها الكتاب، وهي أحاديث لا علاقة لها بموضوع الكتاب. والدليل على أن ذلك من تصرف حنبل بن إسحاق أنه لم يرد شيء من ذلك في النسخة الأخرى التي رواها ابن أبي الدميك».

---

(١) طبع الكتاب بتحقيق الدكتور علي محمد الجماز حفظه الله.

الفَصل الخامِس

مَكانَتُهُ العِلْمِيَّةُ وَثَنَاءُ العُلَمَاءِ عَلَيْهِ

لقد تبوأ الإمام علي ابن المديني مكانة عالية جداً بين العلماء، ووصل ارتفاع شأنه مرتبة لم يصلها إلا القليل من نوابغ العلماء، وأذكياء الزمان، وهكذا سنة الحياة، فما علا نجم إلا وقد وصف، وما ظهر عَلَمٌ إلا وقد عرف، ولقد عرف العلماء قدر علي بن المديني وفضله وعلمه، فأثنوا عليه الثناء الذي يعبر عن إمامته.

أثنى عليه أساتذته وشيوخه بما عرفوه من علم وفضل، وأثنى عليه أقرانه ومعاصروه من أساطين العلماء بما يستحق من الذكر الجميل، الذي عرفوه منه من خلال صحبتهم الطويلة له، وأثنى عليه تلامذته بما عرفوا فيه من علم غزير، وخصال حميدة، وأثنى عليه الأكابر من أهل العلم الذين جاؤوا من بعدهم، وبالغوا في إطرائه، وتبجيله وتفخيم أمره، ثناءاً يدل على إمامته في علم الحديث والعلل.

وسأورد فيما يلي نبذاً من أقوال هؤلاء العلماء على النحو التالي:

١ ـ ثناء مشايخه وأساتذته عليه.

٢ ـ ثناء أقرانه ومعاصريه عليه.

٣ ـ ثناء تلامذته ومن بعدهم من الأئمة عليه.

أولاً ـ ثناء مشايخه وأساتذته عليه:

ومن أبرز شيوخه الذين أثنوا عليه ثناءً جميلاً:

١ ـ سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ).

ـ قال محمد بن قدامة: «قال سفيان: إني لأرغب عن مجالستكم، ولولا علي ابن المديني ما جلست»[١].

ـ وقال خلف بن الوليد الجوهري: «خرج علينا ابن عيينة يوماً، ومعنا علي ابن المديني فقال: لولا علي لم أخرج إليكم»[٢].

ـ قال عباس العنبري: «كان ابن عيينة يسمي ابن المديني حية الوادي، وإذا استثبت سفيان، أو سئل عن شيء يقول: لو كان حية الوادي»[٣].

ـ عن ابن ناجية وغيره قالوا: «حدثنا أبو رفاعة عبد الله بن

---

(١) تاريخ بغداد (١١/٤٥٩)، سير أعلام النبلاء (١١/٤٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٠)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٦).

(٢) تاريخ بغداد (١١/٤٥٩)، سير أعلام النبلاء (١١/٤٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٤)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٩)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٩).

محمد العدوي، حدثنا إبراهيم بن بشار، سمعت ابن عيينة يقول: حدثني علي ابن المديني، عن أبي عاصم، عن ابن جريج، عن عمرو بن دينار فذكر حديثاً ثم قال سفيان:

«يلومونني على حب علي، والله كنت أتعلم منه أكثر مما تعلم مني»[1].

- قال حفص بن محبوب: «كنا عند ابن عيينة، فقام علي ابن المديني، فقام سفيان وقال: إذا قامت الخيل لم نجلس مع الرجالة»[2].

٢ - عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨ هـ):

- قال الساجي: «سمعت العباس بن عبد العظيم يقول: سمعت روح بن عبد المؤمن، سمعت ابن مهدي يقول:

علي ابن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ، وخاصة بحديث ابن عيينة»[3].

٣ - يحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨ هـ):

(١) ميزان الاعتدال (٣/١٣٨ - ١٣٩)، تاريخ بغداد (١١/٤٥٩)، سير أعلام النبلاء (١١/٤٤)، تهذيب التهذيب (٧/٣٥٠)، شرح علل الترمذي (١/٤٨٤ - ٤٨٥)، الكامل (١/١٢٩).

(٢) تهذيب التهذيب (٧/٣٥١)، تهذيب الأسماء واللغات (١/٣٥١)، تاريخ بغداد (١١/٤٦٠).

(٣) تهذيب التهذيب (٧/٣٥١)، سير أعلام النبلاء (١١/٤٥)، تاريخ بغداد (١١/٤٦٠)، شذرات الذهب (٢/٨١)، طبقات الشافعية (٢/١٤٦).

ـ قال عباس العنبري: «كان يحيى القطان ربما قال: لا أحدث شهراً، ولا أحدث كذا، فحدثت أنه حدث ابن المديني قبل انقضاء الشهر. قال: فكلمت يحيى في ذلك، فقال: إني أستثني علياً، ونحن نستفيد منه أكثر مما يستفيد منا»[1].

ـ قال عبيدالله القواريري: «سمعت يحيى يقول: يلومونني في حب علي ابن المديني، وأنا أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني»[2].

٤ ـ أبو داود الطيالسي (ت ٢٠٣ هـ):

ـ عن إبراهيم بن الأصبهاني قال: «كان أبو داود الطيالسي بأصبهان، فلما أراد الرجوع أخذ يبكي، فقالوا له: يا أبا داود إن الرجل إذا رجع إلى أهله فرح واستبشر، وأنت تبكي؟.

ـ فقال: إنكم لا تعلمون إلى من أرجع، إنما أرجع إلى شياطين الإنس، علي ابن المديني، وابن الشاذكوني، وابن بحر السقاء ـ يعني عمرو بن علي ـ»[3].

وهذا القول من أبي داود هو ثناء على الإمام ابن المديني،

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١).

(٢) شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٥)، الكامل (١/ ١٢٩)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٠)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٩)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥).

(٣) تاريخ بغداد (٨/ ٤٢)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨١).

وهو في معرض بيان حفظ علي ابن المديني وأنه من كبار الحفاظ الذين يرهب جانبهم لكثرة بحثهم وتنقيبهم عن علل الأحاديث.

٥ - عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢٠٨ هـ):

- قال عبد الرزاق: «رحل إلينا من العراق أربعة من رؤساء الحديث: الشاذكوني وكان أحفظهم للحديث، وابن المديني وكان أعرفهم باختلافه، ويحيى بن معين وكان أعلمهم بالرجال، وأحمد بن حنبل وكان أجمعهم لذلك»[١].

- قال أبو خالد يزيد بن الهيثم بن طهمان عن محمد بن سهل بن عسكر - ذكر - يعني عبد الرزاق، يحيى بن معين فقال:

«ما رأيت مثله، ولا أعلم بالحديث منه من غير سرد، فأما علي ابن المديني فحافظ سراد، وأما أحمد بن حنبل فما رأيت أفقه منه ولا أورع»[٢].

ثانياً ــ ثناء معاصريه عليه:

ومن أبرز معاصريه الذين أثنوا عليه خيراً:

١ - يحيى بن معين (ت ٢٠٣ هـ):

- سئل يحيى بن معين عن علي ابن المديني والحميدي أيهما أعلم؟ فقال: «ينبغي للحميدي أن يكتب عن آخر عن علي ابن المديني»[٣].

---

(١) شرح علل الترمذي (١/ ١٨١).

(٢) تهذيب الكمال (١/ ٤٥٠).

(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٢ - ٣٥٣)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠)، =

ـ قال ابن الجنيد عن يحيى بن معين قال: «علي من أروى الناس عن يحيى القطان، أرى عنده أكثر من عشرة آلاف، عنده عنه أكثر من مسدد، كان يحيى يدني علياً، وكان صديقه، وكان علي يلزمه»[1].

عن علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت يحيى بن معين يقول: «وقال له إنسان علي ابن المديني فقال يحيى: علي من أهل الصدق»[2].

وقال ابن الجنيد: «ذكر علي ابن المديني عند يحيى بن معين، فحملوا عليه، فقلت: يا أبا زكريا، ما علي عند الناس إلا مرتد، فقال: ما هو بمرتد، وهو على إسلامه، رجل خاف فقال! ما عليه؟ رأيته لو وجدت قوة لخرجت إلى البصرة فبلت على قبر عمرو بن علي»[3].

وهذا منه رحمه الله شدة على من قال عن علي ابن المديني ما قال، وأشاع عنه ما أشاع، وإلا فهو لن يفعل ذلك بقبر عمرو بن علي.

٢ ـ أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ):

= تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٤).

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥ ـ ٤٦)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١).

(٢) الجرح والتعديل (١/ ٣٢٠).

(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٥).

ـ عن عبد الله بن أبي زياد القطواني قال: «سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام يقول: انتهى العلم ـ يعني علم الحديث ـ إلى أحمد بن حنبل، وعلي بن عبد الله، ويحيى بن معين، وأبي بكر بن أبي شيبة، فكان أحمد أفقههم به، وكان علي أعلمهم به، وكان يحيى بن معين أجمعهم له، وكان أبو بكر بن أبي شيبة أحفظهم له..»[1].

ـ وقال أبو عبيد: «ربانيو الحديث أربعة: فأعلمهم بالحلال والحرام أحمد بن حنبل، وأحسنهم سياقاً للحديث وأداءً له علي ابن المديني، وأحسنهم وضعاً لكتاب ابن أبي شيبة، وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه يحيى يعني ابن معين»[2].

٣ ـ أحمد بن حنبل (ت ٢٣٨ هـ):

ـ قال أبو حاتم: «كان علي ابن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل، وكان أحمد بن حنبل لا يسميه (إنما يكنيه أبا الحسن) تبجيلاً له، وما سمعت أحمد سماه قط»[3].

---

(١) طبقات الشافعية (٢/ ١٤٧)، الجرح والتعديل (١/ ٣١٩)، تهذيب الكمال (١/ ٤٥٤)، تاريخ بغداد (٩/ ٤٢) (١١/ ٤٦٥)، السنن الأبين (ص ٧٥)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣) (٧/ ٣٥٣)، الكامل (١/ ١٢٩).

(٢) طبقات الحفاظ (ص ١٨٨).

(٣) الجرح والتعديل (٦/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٣)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٨)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٦)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨)، شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٥).

ـ عن حنبل بن إسحاق قال: «سمعت أبا عبد الله يقول: كان أعلمنا بالرجال يحيى بن معين، وأحفظنا للأبواب سليمان الشاذكوني وكان علي أحفظنا للطوال، وكأنه أومأ إلى نفسه أنه أفقههم»[1].

ثالثاً ــ ثناء تلامذته ومن بعدهم من الأئمة:

١ ـ عباس بن عبد العظيم العنبري (ت ٢٤٠ هـ):

ـ عن عبد الله بن محمد بن سيار قال: «سئل عباس العنبري أيهما أعلم بالحديث؟ ـ يعني الشاذكوني ـ أو علي ابن المديني فقال: ابن الشاذكوني بصغير الحديث، وعلي بجليله»[2].

ـ وقال: «كان علي ابن المديني بلغ ما لو قضي له أن يتم على ذاك ـ لعله كان تقدم على الحسن البصري ـ كان الناس يكتبون قيامه، وقعوده، ولباسه، وكل شيء يقول، ويفعل، أو نحو ذلك»[3].

٢ ـ محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ):

ـ قال البخاري: «ما استصغرت نفسي عند أحد، إلا عند

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٤١)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٧٩)، شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٦).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٨٠)، تاريخ بغداد (٩/ ٤١).
(٣) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١).

علي ابن المديني، وربما كنت أغرب عليه»[1].

- وعن البخاري أنه قيل له: «ما تشتهي؟ قال: أن أقدم العراق وعلي ابن المديني حي فأجالسه» سمعها أبو العباس السراج من البخاري[2].

- وقال البخاري في كتاب رفع اليدين: «كان علي أعلم أهل عصره، كان أعلم زمانه»[3].

٣ ـ محمد بن مسلم بن وارة الرازي (ت ٢٦٠ هـ):

- سئل الحافظ ابن وارة عن ابن المديني وابن معين أيهما أحفظ؟ قال: «كان علي أسرد وأتقن»[4].

وقال عبد الرحمن: «سمعت محمد بن مسلم بن وارة يقول: كتب إليّ سعيد بن سليمان: إذا اتخذت صديقاً فاتخذ مثل أبي الوليد، وعلي ابن المديني»[5].

٤ ـ هارون بن إسحاق الهمذاني أبو القاسم الكوفي (ت ٢٥٨ هـ):

---

(١) هدي الساري (٤٨٣)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٨٦)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٧)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٢)، شذرات الذهب (٢/ ٨١)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٢٨)، شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٥)، الكامل لابن عدي (١/ ١٢٩).

(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٢)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٧).

(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦)، رفع اليدين (ص ٣٤).

(٤) شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٥)، الجرح والتعديل (١/ ٣١٤، ٣٢٠).

(٥) الجرح والتعديل (١/ ٣٢٠).

ـ قال: «الكلام في صحة الحديث وسقيمه لأحمد بن حنبل، وعلي بن المديني»[1].

٥ ـ أبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازي (ت ٢٦٤ هـ):

ـ قال الترمذي: «وسمعت أبا زرعة عبيد الله بن عبد الكريم يقول: لم أر بالبصرة أحفظ من هؤلاء الثلاثة: علي ابن المديني، وابن الشاذكوني، وعمرو بن علي الفلاس»[2].

ـ قال أبو زرعة عن علي: «لا يُرتاب في صدقه»[3].

ـ وسئل أبو زرعة عن علي ابن المديني ويحيى بن معين أيهما كان أحفظ؟ قال: «كان علي أسرد وأتقن، ويحيى أفهم بصحيح الحديث وسقيمه، وأجمعهم أبو عبد الله أحمد بن حنبل، كان صاحب حفظ، وصاحب فقه، وصاحب معرفة»[4].

٦ ـ أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي السجستاني (ت ٢٧٠ هـ):

ـ قال أبو حاتم: «الذي كان يعرف صحيح الحديث وسقيمه وعنده تمييز ذلك، ويحسن علل الحديث، أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني، وبعدهم أبو زرعة

(١) شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٥)، الجرح والتعديل (١/ ٣٢٠).
(٢) أخرجه الترمذي في سننه (١/ ٢٧١) بعد حديث رقم (١٤٤).
(٣) الجرح والتعديل (١/ ٣٢٠)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦).
(٤) شرح علل الترمذي (١/ ٤٨١ ـ ٤٨٢)، الجرح والتعديل (١/ ٢٩٤).

كان يحسن ذلك، قيل له: فغير هؤلاء تعرف أحداً اليوم؟ قال: لا»[1].

- قال أبو حاتم: «كان علي ابن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل، وكان أحمد بن حنبل لا يسميه، (إنما يكنيه أبا الحسن) تبجيلاً له، وما سمعت أحمد سماه قط»[2].

- سئل أبو حاتم الرازي عن أحمد وعلي ابن المديني أيهما كان أحفظ؟ قال: «كانا في الحفظ متقاربين، وكان أحمد أفقه»[3].

٧ - أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ):

- قال أبو عبيد الآجري: «قيل لأبي داود: أحمد بن حنبل أعلم أم علي؟ فقال: علي أعلم باختلاف الحديث من أحمد»[4].

---

(١) شرح علل الترمذي (١/ ٤٩٣)، الجرح والتعديل (١/ ١/ ٣٣).
(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨)، الجرح والتعديل (٦/ ١٩٣ - ١٩٤)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٣)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٤٨)، الجرح والتعديل (١/ ٣١٩)، طبقات الشافعية (٢/ ٢٤٦)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٠)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٨ - ٤٥٩).
(٣) شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٢، ٤٨٥)، الجرح والتعديل (١/ ٢٩٤ - ٣١٩).
(٤) شذرات الذهب (٢/ ٨١)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٧)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٤)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٢).

ـ وقال أبو داود: «علي ابن المديني خير من عشرة آلاف مثل الشاذكوني»[1].

٨ ـ إسماعيل بن إسحاق القاضي (ت ٢٨٢ هـ):

ـ قال الشيرازي: «إن القاضي إسماعيل يقول: أفخر على الناس برجلين بالبصرة، بابن المعذل يعلمني الفقه، وابن المديني يعلمني الحديث»[2].

٩ ـ صالح بن محمد الأسدي جزرة (ت ٢٩٣ هـ):

ـ قال عبد المؤمن النسفي: «سألت صالح بن محمد: هل كان يحيى بن معين يحفظ؟ فقال: لا، إنما كان عنده معرفة، قلت: فعلي؟ قال: كان يحفظ ويعرف»[3].

ـ وقال صالح بن محمد: «أعلم من أدركت بالحديث وعلله علي ابن المديني، وأعلمهم بتصحيف المشايخ يحيى بن معين، وأحفظهم عند المذاكرة أبو بكر بن أبي شيبة»[4].

ـ وقال: «أعلم من أدركت بالحديث وعلله علي ابن المديني، وأفقههم فيه أحمد، وأمهرهم به الشاذكوني»[5].

---

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٣)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٤).

(٢) ترتيب المدارك (٢/ ١٦٨).

(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٣)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٤).

(٤) تهذيب التهذيب (٦/ ٤).

(٥) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٣).

١٠ ـ أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ):

ـ عن الوليد بن القاسم، سمعت أبا عبد الرحمن النسائي يقول: «كأن الله خلق ابن المديني لهذا الشأن»[١].

ـ وقال النسائي: «ثقة مأمون أحد الأئمة في الحديث، وقال: خلق للحديث»[٢].

١١ ـ ابن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ):

ـ ولد بالبصرة سنة ١٦٢ هـ، وكان من أعلم أهل زمانه بعلل حديث رسول الله ﷺ، رحل، وجمع، وكتب، وصنف، وذاكر، وحفظ[٣].

١٢ ـ أبو الشيخ عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهاني (ت ٣٦٠ هـ):

ـ قال أبو الشيخ في ترجمة أبو بكر البزار: «كان أحد حفاظ الدنيا رأساً، وحكي أنه لم يكن بعد علي ابن المديني أعلم بالحديث منه»[٤].

١٣ ـ عبد الله بن محمد بن يسار الفرهياني (توفي حوالي

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٦)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٥٨).
(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦).
(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٧)، الثقات لابن حبان (٨/ ٤٦٩).
(٤) لسان الميزان (١/ ٢٣٨).

النيف وثلاثمائة هجرية):

- قال الإسماعيلي: «سئل الفرهياني عن يحيى، وعلي، وأحمد، وأبي خيثمة، فقال: أما علي فأعلمهم بالحديث والعلل، ويحيى أعلمهم بالرجال، وأحمد أعلمهم بالفقه، وأبو خيثمة من النبلاء»[1].

١٤ ـ عبد الغني بن سعيد المصري (ت ٤٠٩ هـ):

- قال عبد الغني: «أحسن الناس كلاماً على حديث رسول الله ﷺ ثلاثة: علي ابن المديني في وقته، وموسى بن هارون في وقته، والدارقطني في وقته»[2].

١٥ ـ أبو يعلى الخليلي (ت ٤٤٦ هـ):

- قال الخليلي: «كان أسرد أقرانه للأحاديث، وأكثرهم تصانيف»[3].

١٦ ـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ):

- قال الخطيب عنه: «أحد أئمة الحديث في عصره، والمقدم على حفاظ وقته»[4].

- وقال: «كان علي ابن المديني فيلسوف هذه الصنعة

---

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٢)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٤).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٥٠)، تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٩٤)، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٦)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٤).
(٣) الإرشاد (٢/ ٥٩٧، ٥٩٨).
(٤) تاريخ بغداد (١١/ ٤٥٨).

وطبيبها، ولسان طائفة الحديث وخطيبها، رحمة الله عليه وأكرم مثواه لديه»[1].

١٧ ـ يحيى بن زكريا النووي (ت ٦٧٦ هـ):

ـ قال النووي: «علي ابن المديني الإمام، كان أحد أئمة الإسلام المبرزين في الحديث، صنف فيه مائتي مصنف لم يسبق إلى معظمها ولم يلحق في كثير منها»[2].

١٨ ـ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨ هـ):

ـ قال الذهبي: «أحد الأعلام الأثبات، وحافظ العصر»[3].

ـ وقال أيضاً: «حافظ العصر وقدوة أرباب هذا الشأن»[4].

ـ وقال أيضاً: «الشيخ الإمام الحجة أمير المؤمنين في الحديث، برع في هذا الشأن، وصنف وجمع، وساد الحفاظ في معرفة العلل»[5].

ـ وقال أيضاً في ترجمة الدارقطني: «إن كان كتاب العلل قد أملاه الدارقطني من حفظه كما دلت عليه هذه الحكاية، (قول

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) النص (١٩١٥).
(٢) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٥٠).
(٣) الميزان (٣/ ١٣٨).
(٤) تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١ ـ ٤٣).

أبي بكر البرقاني: كان الدارقطني يملي عليَّ العلل من حفظه)، فهذا أمر عظيم يقضي فيه للدارقطني أنه أحفظ أهل الدنيا، وإن كان قد أملى بعضه من حفظه فهذا ممكن، [وقد جمع قبله كتاب العلل علي ابن المديني حافظ زمانه]»[1].

١٩ ـ ابن رجب الحنبلي (ت ٨٩٥ هـ):

ـ قال ابن رجب: «علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح المديني السعدي البصري أبو الحسن، أحد الأئمة الحفاظ، المبرزين في علم الحديث وعلله»[2].

٢٠ ـ تاج الدين بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ):

ـ قال السبكي: «أبو الحسن ابن المديني، الحافظ أحد أئمة الحديث، ورفعائهم، ومن انعقد الإجماع على جلالته، وإمامته، وله التصانيف الحسان»[3].

٢١ ـ أبو عمرو الطالقاني:

ـ قال: «رأيتهم يقولون الناس عندنا أربعة: أحمد بن حنبل، ومحمد بن عبد الله بن نمير، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين».

ـ وسمعتهم يقولون: «محمد بن نمير ريحانة الكوفة،

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٦/ ٤٥٥).
(٢) شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٤).
(٣) طبقات الشافعية (١/ ٤٨٤).

وأحمد قرة عين الإسلام، وابن المديني أعلم علماء آثار رسول الله ﷺ، وابن معين أعلم بروايته وأكثر علمه آثار رسول الله ﷺ»[1].

٢٢ ـ ابن الأخرم:

ـ قال الحاكم: «سمعت ابن الأخرم يذكر فضل علي ابن المديني وتقدمه وتبحره في هذا العلم.

ـ فقال له بعض أصحابنا: قد تكلم فيه عمرو بن علي!.

ـ فتكلم في عمرو بن علي بكلام سيىء»[2].

٢٣ ـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ):

ـ قال ابن حجر: «علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم أبو الحسن ابن المديني البصري، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلله، حتى قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عنده، وقال فيه شيخه ابن عيينة: كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلمه مني»[3].

ـ وقال أيضاً: «لا ريب في تقديم البخاري، ثم مسلم على أهل عصرهما، ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعلل ـ فإنهم لا يختلفون في أن علي ابن المديني كان أعلم

(١) شرح علل للترمذي (١/ ٤٩٠).
(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦).
(٣) التقريب (٢/ ٣٩).

أقرانه بعلل الحديث، وعنه أخذ البخاري ذلك، حتى كان يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي ابن المديني، ومع ذلك فكان علي ابن المديني إذا بلغه ذلك عن البخاري يقول: دعوا قوله، فإنه ما رأى مثل نفسه»[1].

٢٤ ـ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ):

ـ قال السيوطي: «أحد الأئمة الأعلام، وحفاظ الإسلام»[2].

٢٥ ـ ابن تغري بردي (ت ٨٧٤ هـ):

ـ قال: «كان إمام عصره في الجرح والتعديل، والعلل، وهو أحد الأعلام وصاحب التصانيف»[3].

٢٦ ـ ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩ هـ):

ـ قال: «هو الإمام أحد الأعلام أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم البصري الحافظ صاحب التصانيف»[4].

هذا الثناءالكثير ما استحقه علي ابن المديني إلا لكونه أحد أئمة الحديث ورفعائهم، ومن انعقد الإجماع على جلالته وإمامته، فقد كان مقدماً على حُفَّاظ وقته، وأحد الأعلام

(١) هدي الساري (ص ٣٤٧).
(٢) طبقات الحفاظ (ص ١٨٧).
(٣) النجوم الزاهرة (٢/ ٢٧٧).
(٤) شذرات الذهب (٢/ ٧).

الأثبات، وحافظ عصره، دان له الأئمة الأعلام، وأخذوا عنه، وقعدوا منه مقعد التلميذ من الأستاذ الكبير، فهو مرجعهم في أمور العلل إذا اختلفوا، فإذا قال كانت كلمته القول الفصل بينهم، وكان الجلوس بين يديه أمنية من أغلى أماني شيخ المحدثين وإمامهم بلا منازع، الإمام محمد بن إسماعيل البخاري حين سئل:

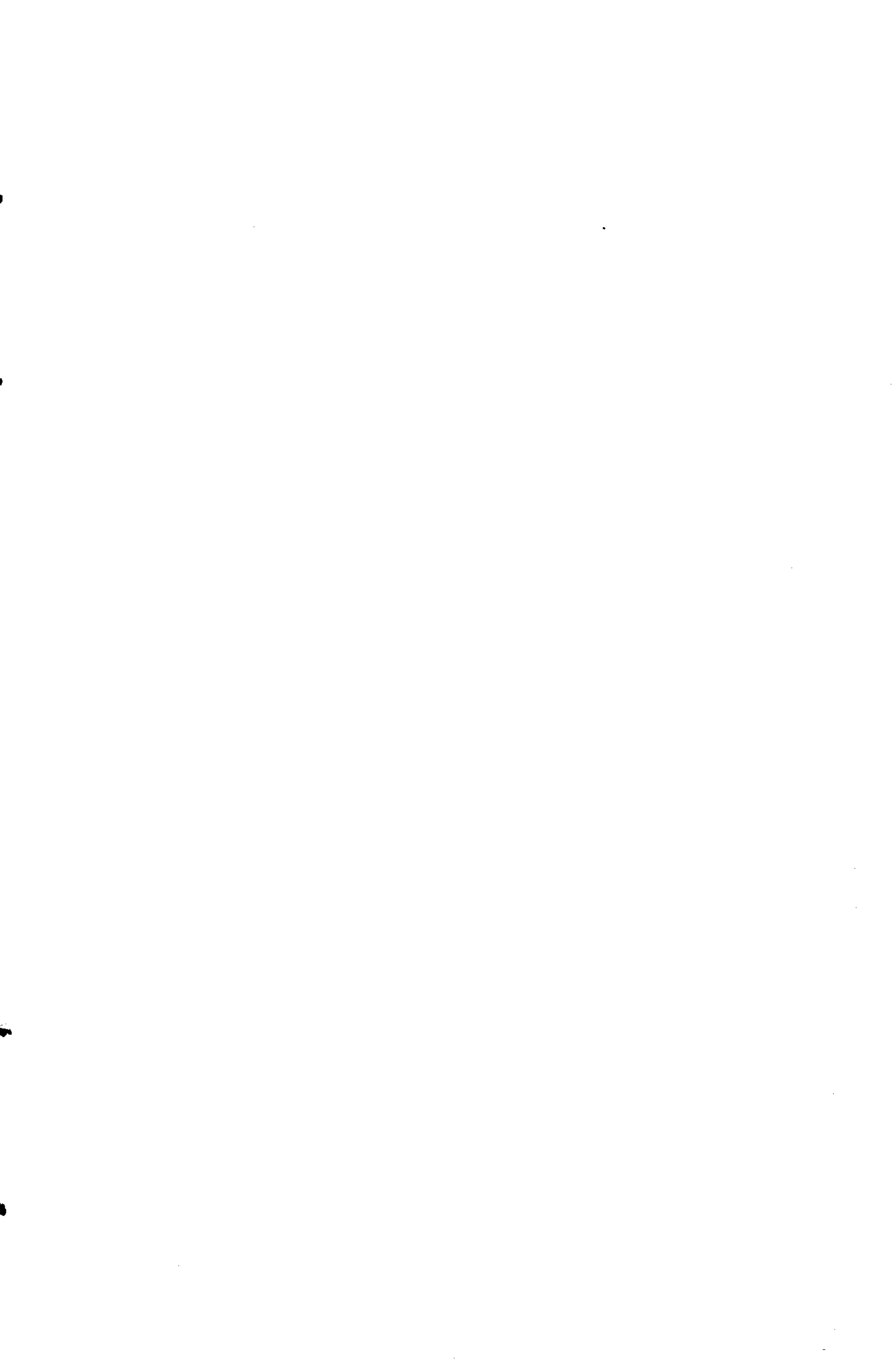
«ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي أن أقدم العراق، وعلي بن عبد الله حي فأجالسه»[1].

وقد أوردت هذه الأقوال كنبذة يسيرة في الثناء على علي ابن المديني، لأن حصر الأقوال أمر صعب المنال، كما قال الحافظ السخاوي حين ذكر من أثنى على شيخه ابن حجر:

«فأما ثناء الأئمة عليه، فاعلم أن حصر ذلك لا يستطاع، وهو في مجموعه كلمة إجماع، لكني أثبت ما حضرني من ذلك الآن على حسب الإمكان»[2].

---

(١) تاريخ بغداد (١١/٤٦٣).
(٢) الجواهر والدرر للسخاوي (ص ٢٠٤ ـ ٢٦٧).



الفَصلُ السَادِسُ

ذَكَاؤُهُ وَحِفْظُهُ، أَخْلَاقُهُ وَسَجَايَاهُ

أ - ذكـاؤه وحفظــه

إذا كان الذكاء منحة يهبها الله تعالى لمن يشاء من عباده، فإن الإمام علي ابن المديني كان من بين من وهبهم الله منه، قسطاً كبيراً، وحظاً عظيماً، إذ كان يتمتع بقدر كبير من الذكاء، وقوة الذاكرة، وسعة الفطنة والإدراك.

قال أحمد بن سعيد الرباطي، قال ابن المديني: «ما نظرت في كتاب شيخ، فاحتجت إلى السؤال به عن غيري»[1].

وأما قوة حفظه فإنه مما لا ريب فيه أن من أوتي هذا الذكاء الفذ، وتوفرت عنده الرغبة الصادقة، والهمة العالية في طلب العلم وتحصيله، فإنه سيكون أعجوبة في الحفظ والإتقان والضبط، وهذا هو ما كان عليه حال الإمام علي ابن المديني الذي هيأ الله له تلك الأسباب، فكان ممن يشار إليه في هذا الباب بالحفظ والإتقان والضبط، بل وأصبح في مكانة يستفهمه

---

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٩)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٤)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠).

فيها العلماء عما يغيب عنهم فيتكلم فيه بداهة، وبما أنه لا بد لكل دعوى من دليل، فإني أورد مجموعة من الأدلة على ما ذكرت:

- قال أبو قدامة السرخسي: سمعت علياً يقول: «رأيت كأن الثريا تدلت حتى تناولتها».

قال أبو قدامة: «صدق الله رؤياه، بلغ في الحديث مبلغاً لم يبلغه أحد»[1].

- عن سهل بن زنجلة: «كنا عند ابن عيينة وعنده رؤساء أصحاب الحديث، فقال: الرجل الذي روينا عنه أربعة أحاديث الذي يحدث عن الصحابة؟.

فقال ابن المديني: زياد بن علاقة، فقال: نعم»[2].

- عن محمد بن يونس قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: تركت من حديثي مائة ألف حديث، منها ثلاثون ألفاً لعباد بن صهيب»[3].

- قال عبد المؤمن بن خلف: «سألت أبا علي صالح بن

---

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٦)، المعرفة والتاريخ (٢/ ١٣٦)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١).
(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٠)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٠ ـ ٣٥١).
(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٢)، تارخ بغداد (١١/ ٤٦٣)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٨).

محمد قلت: يحيى بن معين هل يحفظ؟

قال: لا، إنما كان عنده معرفة.

قال: قلت: علي ابن المديني كان يحفظ؟ قال: نعم ويعرف»[١].

- سئل أبو زرعة عن علي ابن المديني ويحيى بن معين أيهما كان أحفظ؟ قال: كان علي أسرد وأتقن، ويحيى أفهم بصحيح الحديث وسقيمه، وأجمعهم أبو عبد الله أحمد بن حنبل، كان صاحب حفظ، وصاحب فقه، وصاحب معرفة»[٢].

- سئل أبو حاتم الرازي عن أحمد وعلي ابن المديني أيهما كان أحفظ؟ كانا في الحفظ متقاربين، وكان أحمد أفقه[٣].

- سئل ابن وارة الحافظ عن ابن المديني وابن معين أيهما أحفظ؟

قال: «كان علي أسرد وأتقن»[٤].

- قال أبو عبد الله: «كان أعلمنا بالرجال يحيى بن معين، وأحفظنا للأبواب سليمان الشاذكوني، وكان علي أحفظنا للطوال»[٥].

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٤)، تدريب الراوي (١/ ٤٩).
(٢) شرح علل الترمذي (١/ ٤٨١)، الجرح والتعديل (١/ ٢٩٤).
(٣) شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٢)، الجرح والتعديل (١/ ٢٩٤).
(٤) شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٥)، الجرح والتعديل (١/ ٣٢٠).
(٥) تاريخ بغداد (٩/ ٤١).

وقد بلغ من الحفظ مرتبة عالية جداً، ومن الضبط والإتقان الذروة والمكان السامق، ومن قلة الخطأ بل وندرته مكانة لا يوصل إليها.

ـ فقد جاء عن كثير بن الشحاج أبو بكر الإردبيلي البزاز سنة إحدى وسبعين ومائتين:

«أن علي ابن المديني روى حديث بُسر بن راعي العَيْر فقال: بشر بن راعي العنز، فبلغ يحيى بن معين، فحلف ألا يروي حديثاً بعدما غلط علي ابن المديني، فلم يحدث حتى مات»[1].

ـ عن جعفر بن درستويه قال: «قعد علي ابن المديني بسامرا على منبر فقال: يقبح بمن جلس هذا المجلس أن يحدث من كتاب، فأول حديث حدث من حفظه غلط فيه، ثم حدث سبع سنين من حفظه لم يخطىء في حديث واحد»[2].

ب ـ أخلاقه وسجاياه

كانت أخلاقه رحمه الله، أخلاق أفاضل أهل العلم، وأكابر أهل الفضل، فكان يجل أساتذته ويوقرهم، ويحترم زملاءه وأقرانه ويقدرهم، ويحنو على تلاميذه ويتعهدهم.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٨٧) النص (٦١٥).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٣) النص (١٠٣٦).

١ ـ عبادته وتقواه:

عن أبي العباس بن عقدة قال: «خرج أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني إلى الكوفة، إلى أبي نعيم، فدلَّس عليه يحيى بن معين أربعة أحاديث، فلما فرغوا رفس يحيى بن معين حتى أقلبه، ثم قال: أما أحمد فيمنعه ورعه من هذا، وأماهذا ـ يعني علياً ـ فتحنيثه يمنعه من ذلك، وأما أنت فهذا من عملك، قال يحيى: فكانت تلك الرفسة أحب إليَّ من كل شيء»[1].

التحنيث: التعبد، والتقوى.

٢ ـ جرأته في الحق:

ـ عن يحيى بن معين: «كان علي ابن المديني إذا قدم علينا الكوفة أظهر السنة، وإذا ذهب إلى البصرة أظهر التشيع»[2].

ـ قال ابن حبان: «سئل علي ابن المديني عن أبيه فقال: اسألوا غيري. فقالوا: قد سألناك. فأطرق ثم رفع رأسه، وقال: هذا هو الدين أبي ضعيف»[3].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/١٣٦) النص (١٥٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/٤٧)، تهذيب التهذيب (٧/٣٥٣)، تاريخ بغداد (١١/٤٦٣).

(٣) المجروحين (٢/١٤ ـ ١٥).

٣ ـ حبه للنبي ﷺ:

عن ابن سنان قال: «سمعت عباساً العنبري وعلي ابن المديني يقولان: ما تركنا الصلاة على النبي ﷺ في كل حديث سمعناه، وربما عجلنا فنبيض الكتاب في كل حديث حتى نرجع إليه»[1].

٤ ـ صبره على العلم والبحث وحبه له:

ـ قال أبو أُمية الطرسوسي: «سمعت علياً يقول: ربما أذكر الحديث في الليل، فآمر الجارية تسرج السراج فأنظر فيه»[2].

ـ عن الحميدي قال: «قال علي ابن المديني: يحملني حبي لهذا الحديث، أن أحج حجة فأسمع من محمد بن حسن»[3].

ـ عن أبي صالح بن محمد البغدادي قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: ربما أدركت علة حديث بعد أربعين سنة»[4].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٧٢) النص (٥٦٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣).
(٣) الكامل (١/ ١٣٠).
(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٥٧) النص (١٧٧٨).

٥ ـ علاقة المحبة بينه وبين شيوخه وتلاميذه وأقرانه:

أ ـ هيبته لشيوخه واحترامه وتوقيره لهم:

ـ عن إسحاق الشهيدي قال: «كنت أرى يحيى القطان يصلي العصر، ثم يستند إلى أصل منارة مسجده، فيقف بين علي ابن المديني، والشاذكوني، وعمرو بن علي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم يسألونه عن الحديث ـ وهم قيام على أرجلهم ـ إلى أن تحين صلاة المغرب لا يقول لواحد منهم اجلس، ولا يجلسون هيبةً وإعظاماً»[1].

ب ـ حب مشايخه له وافتخارهم بتلمذته عليهم:

ـ قال محمد بن قدامة: قال سفيان: «إني لأرغب عن مجالستكم، ولولا علي ابن المديني ما جلست»[2].

ـ قال إبراهيم بن بشار: «سمعت ابن عيينة يقول: يلومونني على حب علي، والله كنت أتعلم منه أكثر مما تعلم مني»[3].

ـ قال عبيد الله القواريري: «سمعت يحيى يقول: يلومونني في حب علي ابن المديني، وأنا أتعلم منه أكثر مما

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١٨٥) النص (٢٩٩).

(٢) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٠)، طبقات الشافعية (٢/١٤٦)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٥).

(٣) ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨ ـ ١٣٩)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٠)، الكامل (١/ ١٢٩).

يتعلم مني»[1].

ـ قال عباس العنبري: «كان يحيى القطان ربما قال: لا أحدث شهراً، ولا أحدث كذا، فحدثت أنه حدث ابن المديني قبل انقضاء الشهر. قال: فكلمت يحيى في ذلك.

فقال: إني أستثني علياً، ونحن نستفيد منه أكثر مما يستفيد منا»[2].

ـ قال أبو العباس محمد بن إسحاق الثقفي: «لما انصرف قتيبة بن سعيد إلى الري، سألوه أن يحدثهم فامتنع، وقال: أحدثكم بعد أن حضر مجالسي أحمد بن حنبل، وعلي ابن المديني، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن أبي شيبة وأبو خيثمة؟ فقالوا له: فإن عندنا غلاماً يسرد كل ما حدثت به مجلساً، مجلساً، فقام أبو زرعة فسرد كل ما حدث به قتيبة، فحدثهم قتيبة»[3].

جـ ـ هيبة مشايخه له لقوة حفظه وذكائه:

ـ قال إبراهيم بن الأصبهاني: «كان أبو داود الطيالسي بأصبهان، فلما أراد الرجوع أخذ يبكي فقالوا له: يا أبا داود، إن الرجل إذا رجع إلى أهله فرح واستبشر، وأنت تبكي؟

فقال: إنكم لا تعلمون إلى من أرجع، إنما أرجع إلى

(١) شرح علل الترمذي (١/ ٤٨٥)، الكامل (١/ ١٢٩)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٠).
(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦١)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥١).
(٣) شرح علل الترمذي (١/ ٤٩١).

شياطين الإنس، علي ابن المديني، وابن الشاذكوني، وابن بحر السقاء ـ يعني عمرو بن علي ـ»[1].

د ـ علاقته الودية بأقرانه:

ـ قال علي ابن المديني: «قلت لمحمد بن إدريس الشافعي أجب عبد الرحمن بن مهدي عن كتابه، فقد كتب إليك يسألك وهو متشوق إلى جوابك، قال: فأجابه الشافعي، وهو كتاب الرسالة التي كتبت عنه بالعراق، وإنما هي رسالته إلى عبد الرحمن بن مهدي»[2].

ـ قال أبو العباس السراج: سمعت أبا يحيى ـ يعني صاعقة ـ يقول: كان علي ابن المديني إذا قدم بغداد تصدر الحلقة، وجاء يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، والمعيطي، والناس يتناظرون، فإذا اختلفوا في شيء تكلم فيه علي»[3].

ـ قال الأعين: «رأيت علي ابن المديني مستلقياً، وأحمد عن يمينه، وابن معين عن يساره وهو يملي عليهما»[4].

ـ قال أبو حاتم: «كان علي ابن المديني علماً في الناس في

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٤٢).
(٢) الانتقاء لابن عبد البر (ص ٧٢ ـ ٧٣).
(٣) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٢)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٩)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٣).
(٤) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٢)، الكامل (١/ ١٣١)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٠).

معرفة الحديث والعلل، وكان أحمد بن حنبل لا يسميه (إنما يكنيه أبا الحسن) تبجيلاً له، وما سمعت أحمد سماه قط»[1].

هـ ـ علاقته بتلاميذه المبنية على الود والاحترام:

ـ قال الفربري: «قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي، وربما كنت أغرب عليه»[2].

ـ ذكر لعلي ابن المديني: قول محمد بن إسماعيل ما تصاغرت نفسي عند أحد إلا عند علي ابن المديني، فقال: «ذروا قوله ما رأى مثل نفسه»[3].

ـ عن يوسف بن ريحان، سمعت محمد بن إسماعيل يقول: «كان علي ابن المديني يسألني عن شيوخ خراسان إلى أن قال: كل من أثنيت عليه فهو عندنا الرضى»[4].

و ـ عرض العلماء مصنفاتهم عليه لإبداء رأيه فيها:

ـ قال العقيلي: «لما ألف البخاري كتابه الصحيح، عرضه على ابن المديني ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، فامتحنوه وكلهم قال: كتابك صحيح إلا أربعة أحاديث».

---

(١) الجرح والتعديل (٦/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٨)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٦).

(٢) تهذيب التهذيب (٩/ ٥٠).

(٣) تهذيب التهذيب (٩/ ٥٠).

(٤) تهذيب التهذيب (٩/ ٥٠).

وقال العقيلي: «والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة»[1].

ـ قال جعفر بن محمد بن علي ابن المديني: «سمعت أبي يقول: خرج أبي إلى أحمد بن حنبل يعوده وأنا معه، فدخل إليه، وعنده يحيى بن معين وجماعة، فدخل أبو عبيد، فقال له يحيى: اقرأ علينا كتابك الذي عملته للمأمون «غريب الحديث» فقال: هاتوه، فجاؤوا بالكتاب، فأخذه أبو عبيد فجعل يبدأ يقرأ الأسانيد، ويدع تفسير الغريب، فقال أبي: دعنا من الإسناد، نحن أحذق بها منك.

فقال يحيى بن معين لأبي: دعه يقرأ على الوجه، فإن ابنك معك، ونحن نحتاج أن نسمعه على الوجه.

فقال أبو عبيد: ما قرأته إلا على المأمون، فإن أحببتم أن تقرؤوه، فاقرؤوه.

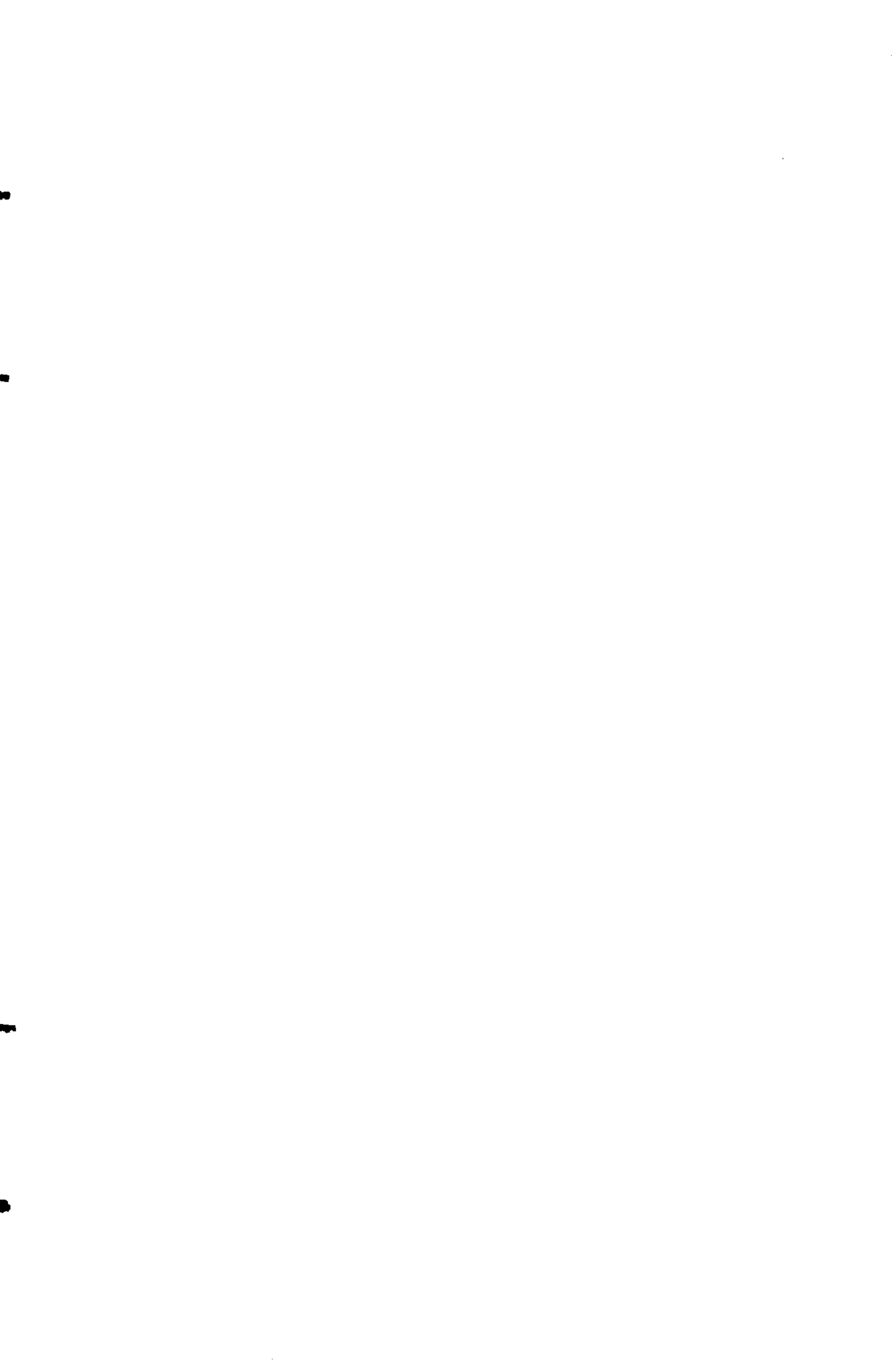
فقال له ابن المديني: إن قرأته علينا، وإلاّ لا حاجة لنا فيه، ولم يعرف أبو عبيد علي ابن المديني.

فقال ليحيى: من هذا؟ فقال: هذا عليُّ ابنُ المديني. فالتزمه، وقرأه علينا. فمن حضر ذلك المجلس، جاز أن يقول: حدثنا، وغير ذلك، فلا يقول»[2].

---

(١) تهذيب التهذيب (٩/ ٥٤).

(٢) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٧، ٤٠٨)، طبقات الحنابلة (١/ ٢٦١، ٢٦٢)، إنباه الرواة (٣/ ١٧، ١٨)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٧).



الفصل السابع

مِحنةُ القَوْلِ بِخَلْقِ القُرآنِ وَوَفَاتُهُ

أ ـ محنة القول بخلق القرآن

لقد اجتاحت البلاد الإسلامية في سنة ٢١٨ هـ فتنة عمياء، شغلت المسلمين حوالي ستة عشر عاماً، تلك هي فتنة القول بخلق القرآن، وقد بدأت في عهد المأمون حين زين له المعتزلة ـ وعلى رأسهم أحمد بن أبي دؤاد ـ أن يحمل العلماء على القول بخلق القرآن، فطلب من ولاته أن يستدعوا العلماء ويمتحنوهم، ومن لم يجب منهم ألقي في غياهب السجون، وعذب وضرب حتى يجيب.

واستقبلت الأمة أياماً عصيبة، ومحنة قاسية، وفتنة عارمة شملت أنحاء البلاد، اصطلى بنارها العلماء، وتباينت منها مواقفهم: بين الوقوف في وجه السلطة والثبات على الحق، وبين الخوف من وعيدها وإرهابها وتهديدها بالإيذاء والقتل، وبين الانسياق في تيارها، إما جهلاً، وإما سعياً وراء مغنم.

وكما تباينت مواقف العلماء والمحدثين والفقهاء من التهديد والوعيد، تباينت كذلك مواقف السلطة منهم، وهذا ما يثير الاستغراب، فقد اكتفت بالتهديد بالنسبة لفريق منهم، وبالحرمان من الجرايات بالنسبة لفريق آخر، وبالحبس والتعذيب لآخرين، وقتلت البعض منهم، وتجاهلت البعض الآخر.

فما الذي حدا بالسلطة أن تقف هذه المواقف المختلفة من هؤلاء المتمنعين والمتمردين على الفكرة التي أرادت فرضها بالقوة، ولو نفر الناس وأبوا أن ينصاعوا لها؟.

يبدو أن هناك اعتبارات اجتماعية وسياسية جعلت السلطة تقف هذه المواقف.

- فعفان بن مسلم يعارض ويأبى الرضوخ لهذه الفكرة، فما كان من السلطة إلا أن هددته بقطع الجراية عنه، وكان جوابه: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾، وتذكر المراجع أنه أول من امتحن[1].

- وتأخذ السلطة سبعة من المحدثين والفقهاء في عنف وخشونة وإرهاب، وتحملهم من بغداد إلى الخليفة بالرقة، فيجيبون خوفاً وخشية، ومن هؤلاء السبعة يحيى بن معين[2].

- ويؤخذ بعض العلماء مكبلين بالحديد في وقت متقارب

---

(١) طبقات الشافعية (٢/ ٤٣).
(٢) تاريخ الطبري (٨/ ٦٣٤).

مع هؤلاء السبعة، فيرفض أحدهم الاستجابة لمطالب الخليفة، فيعرض على السيف فيستجيب، ومع هذا يُبقى في الأغلال، ويوضع في السجن حتى يموت فيه وهو أبو مسهر رحمه الله[1].

ويموت البويطي وهو مكبل بالحديد في سجن بغداد، ومثله يحصل مع محمد بن نوح فيموت وهو مقيد بالحديد أيضاً[2].

- وعومل بعض العلماء بمنتهى القسوة والشدة، مثل أحمد بن نصر الخزاعي فقد حاجهم وأفحمهم، ومع ذلك قتله الواثق بيده صبراً بحجة التقرب إلى الله بذلك.

والحقيقة أنه ألب الناس عليهم، حتى بايعه الناس في بغداد، وأرادوا الخروج على الواثق، فقتله لذلك متستراً بقضية خلق القرآن[3].

- وسجن الإمام أحمد رحمه الله وضرب وعذب، ومكث في السجن سنتين وأربعة أشهر، إذا يئست السلطة من نيل مرادها منه، وخشيت أمر العامة واضطرب الأمن تخاذلت وأفرجت عنه[4].

---

(١) تاريخ بغداد (١٢/ ٧٢)، طبقات الشافعية (٢/ ٤٢).
(٢) تاريخ بغداد (١٤/ ٣٠٢)، طبقات الشافعية (٢/ ٤٤)، تهذيب التهذيب (١١/ ٤٢٨).
(٣) تاريخ الطبري (٩/ ١٣٥).
(٤) تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢)، البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٥).

ـ وهناك فئات من ضعاف النفوس وجدت في ذلك الحماس فرصة للوصول إلى ما تريد من مناصب أو مغنم، فارتضت لنفسها ولدينها بالذل والهوان، وهؤلاء هم علماء السوء في كل زمان ومكان[1].

لقد كانت تلك الفترة من أحلك الفترات التي لم تعرف الأمة الإسلامية لها مثيلاً في تاريخها، كما كان لها من النتائج بين صفوف العلماء أسوأ من المحنة نفسها، فقد أوقدت نار القطيعة بينهم بعد أن كانوا يداً واحدة تجاه أعدائهم.

وأمام هذه الفتنة الهوجاء ضعف كثير من العلماء وأجابوا خوفاً من التعذيب الذي لا يحتملونه، والناس في ذلك درجات وطاقات، وكان من هؤلاء علي ابن المديني الذي أجاب رغماً عنه، حتى ينجو بنفسه من العذاب الذي صب على العلماء صباً، ولم يكن يرى في نفسه المقدرة على احتمال التعذيب، فانحاز بعيداً عن العاصفة حتى تمر.

وكان علي ابن المديني فيما بينه وبين نفسه يكبر الإمام أحمد في موقفه، ويتمنى أن لو كان له مثل صبره وقدرته على الاحتمال، وكان في قرارة نفسه ينكر على المعتزلة وعلى ابن أبي دؤاد موقفهم هذا، ولكنه كان يجاريهم خشية العذاب، والوقوع تحت تأثير السياط.

(١) تاريخ بغداد (٩/١٢٧).

- عن علي بن الحسين بن الوليد قال: حين ودعت عليٍ بن عبد الله بن جعفر قال: «بلغ أصحابنا عني أن القوم كفار ضُلاَّل، ولم أجد بداً من متابعتهم، لأني جلست في بيت مظلم ثمانية أشهر، وفي رِجلي قيد ثمانية أمنان، حتى خفت على بصري، فإن قالوا: يأخذ منهم، فقد سُبقت إلى ذلك، فقد أخذ من هو خير مني»(١).

- قال مسدد بن يوسف القلوسي: «قلت لعلي ابن المديني: مثلك في علمك يجيب إلى ما أجبت إليه، فقال لي: يا أبا يوسف: ما أهون عليك السيف!! خفت أن أقتل، ولو ضربت سوطاً واحداً»(٢).

- وقال ابن عمار: «يقول لي ابن المديني: ما يمنعك أن تكفر الجهمية، وكنت أنا أولاً لا أكفرهم؟

فلما أجاب علي إلى المحنة، كتبت إليه أذكره ما قال لي وأذكره الله، فأخبرني رجل عنه: أنه بكى حين قرأ كتابي، ثم رأيته بعد ، فقال لي : ما في قلبي مما قلت، وأجبت إليه شيء، ولكني خفت أن أُقتل، وتعلم ضعفي، وإني لو ضربت سوطاً واحداً لمت، أو نحو هذا».

قال ابن عمار: «ودفع عني علي امتحان ابن أبي دؤاد إياي،

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٧١)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٥).

(٢) الكامل (١/ ١٣٠)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٧)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٧١)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٨)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٥).

شفع فيَّ، ودفع عن غير واحد من أهل الموصل من أجلي، فما أجاب ديانة، إلا خوفاً»[1].

ومن هذا يتبين أن علي ابن المديني كان ضعيف البدن، ليست له قدرة على احتمال التعذيب، أما عقيدته فعقيدة سليمة صحيحة، لا زيغ فيها ولا انحراف، وإنما كان يمالىء القوم ويجاريهم دفعاً لأذاهم، واتقاء شرهم، وكان قلبه يتمزق ألماً لإخوانه العلماء الذين يسامون الخسف والهوان، والعسف والاضطهاد، لا سيما وأنه مر بطرف من هذه المحنة، وعاش مقيداً بالسلاسل والأغلال الثقيلة ثمانية أشهر في سجن مظلم.

فلماذا يطالب الناس بما هو فوق طاقاتهم واحتمالاتهم؟ والله تعالى يقول: ﴿لا تُكَلَّفُ نفسٌ إلا وسعها﴾.

دفاع العلماء عنه رحمه الله:

إن مكانة علي ابن المديني رحمه الله في قلوب العلماء كانت مكانة مرموقة، ولذلك فقد دافعوا عنه دفاعاً كبيراً، ومن هؤلاء:

١ ـ يحيى بن معين:

ـ قال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد: سمعت يحيى بن معين وذُكر عنده علي ابن المديني، فحملوا عليه، فقلت: ما هو عند الناس إلا مرتد، فقال: ما هو بمرتد، هو على إسلامه،

---

(١) تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٥)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٧).

رجل خاف فقال! ما عليه؟»[1].

- وقال جعفر بن أبي عثمان: «ـ كنت عند يحيى بن معين فذكر علي ابن المديني عنده، فقال بعضهم ممن عنده: يكذب ـ فغضب وقال: لأن يخر من السماء إلى الأرض، فتخطفه الرماح بأسنتها، أحب إليه من أن يكذب في حديث رسول الله ﷺ»[2].

٢ ـ أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ (ابن الأخرم):

- قال الحاكم: «سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ يذكر فضل ابن المديني وتقدمه، فقيل له: قد تكلم فيه عمرو بن علي، فقال: والله لو وجدت قوة، لخرجت إلى البصرة، فبلت على قبر عمرو».

وجاءت بلفظ آخر: «قال الحاكم: سمعت ابن الأخرم يذكر فضل علي ابن المديني وتقدمه، وتبحره في هذا العلم.

فقال له بعض أصحابنا: قد تكلم فيه عمرو بن علي!

فتكلم في عمرو بن علي بكلام سيىء»[3].

٣ ـ أبو حاتم الرازي:

قال ابن أبي حاتم: «كتب عنه أبي وأبو زرعة، وترك

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٧٢)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٧)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٥).

(٢) الكامل (١/ ٣١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٨)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٧٢)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٥ ـ ٣٥٦).

أبو زرعة الرواية عنه من أجل ما كان منه في المحنة، وكان أبي يروي عنه لنزوعه عما كان منه»[1].

حقيقة إن الناس بحاجة في كل زمان ومكان إلى أمثلة رائعة من الصبر والثبات، والتضحية والفداء، والإقدام والبذل، وهم يتوقعون دائماً من العلماء أن يكونوا في مقدمتهم، ولم يخل الله ـ عز وجل ـ جيلاً ولا عصراً من تلك الأمثلة المؤمنة التي تحفظ على الناس دينهم، وتمسك عليهم إيمانهم، ولكن ليس من المألوف أن يكون الناس جميعاً كذلك، فتلك سنة الله في خلقه، خلقهم متفاوتين في الصبر والاحتمال والثبات، وليس معنى ذلك أن من عجز عن مواصلة السير أخرج من دائرة المسلمين، أو زمرة العلماء.

وقد كان في صحابة رسول الله ﷺ من ثبت على الإيمان وصبر على التعذيب، وأبى أن يجيب إلى الشرك، ولو بطرف لسانه، كبلال بن رباح الذي دعي وهو تحت سياط العذاب أن ينطق بكلمة الكفر، فقال: «والله لا أُدنس لساني بكلمة الكفر بعد أن طهره الله بكلمة التوحيد».

وكان فيهم من لم يقدر على ذلك كعمار بن ياسر الذي عذب عذاباً فوق طاقته واحتماله فنطق لسانه، ولكن قلبه مطمئن بالإيمان، فرفع عنه العذاب، وذهب إلى رسول الله ﷺ باكياً

(١) الجرح والتعديل (٣/ ١/ ١٩٣)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨).

حزيناً، وأخبره بما حدث، فقال له: «كيف تجد قلبك يا عمار؟ قال: مطمئن بالإيمان».

فقال له النبي ﷺ: «إن عادوا فعد». وفيه نزل قول الله تعالى: **﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾**[1].

وهكذا كان ابن المديني ـ رحمه الله ـ أراد أن يدفع عن نفسه التعذيب والتنكيل، ورأى أنه لا طاقة له ولا احتمال، وأنه لو ضرب سوطاً واحداً لمات فترخص، وكان ذلك اجتهاده ورأيه الذي لا يخرجه عن دائرة الإسلام، ولا عن زمرة العلماء الأعلام، وكلاً وعد الله الحسنى.

رد خبر باطل وتهمة كاذبة:

اتهم علي ابن المديني رحمه الله ـ كما روى الحسين بن فهم ـ بأنه طعن على قيس بن أبي حازم التابعي الجليل الذي روى عن تسعة من العشرة المبشرين بالجنة، والذي قيل إنه صحابي، وذلك استجابة منه لابن أبي دؤاد في تضعيف حديث الرؤية الذي رواه قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي، قال: كنا مع النبي ﷺ في ليلة أربع عشرة من الشهر، فنظر إلى البدر فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون البدر لا تضامون في رؤيته»، وسأله ابن أبي دؤاد عن هذا الحديث،

---
(١) سورة النحل، آية ١٠٦.

فقال: صحيح، قال: فهل عندك فيه شيء؟ وأدرك ابن المديني غرض ابن أبي دؤاد فقال: يعفيني القاضي من هذا. فقال له: يا أبا الحسن، هذه حاجة الدهر، ثم أمر له بثياب وطيب، ومركب بسرجه ولجامه، ولم يزل به حتى قال له: «في هذا الإسناد من لا يعول عليه، ولا على ما يرويه، وهو قيس بن أبي حازم، إنما كان أعرابياً بوالاً على عقبيه، وطار بها ابن أبي دؤاد، واتخذ من هذا الذي نسب إلى ابن المديني سوطاً يلهب به ظهر الإمام أحمد بن حنبل، وأعلن ذاك في مجلس المعتصم في اليوم التالي.

وتلك تهمة يبرأ منها ابن المديني، فهو أكرم وأسمى من أن يتناول قيس بن أبي حازم، وأقل ما يقال فيه: إنه تابعي كبير جليل القدر، أجمع العلماء على توثيقه وعدالته وصدقه»[1].

الدفاع عن ابن المديني:

قد تولى دحض هذه التهمة وبيان بطلانها جماعة من العلماء على رأسهم الخطيب البغدادي رحمه الله فقال:

«أما ما حكي عن علي ابن المديني في هذا الخبر من أن قيس بن أبي حازم لا يعول على ما يرويه لكونه أعرابياً بوّالاً على عقبيه فهو باطل. وقد نزه الله علياً عن قول ذلك، لأن أهل الأثر ـ وفيهم علي ـ مجمعون على الاحتجاج برواية قيس بن أبي حازم وتصحيحها، إذ كان من كبراء تابعي أهل الكوفة، وليس في

(١) قصة هذه التهمة جاءت في تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧).

التابعين من أدرك العشرة المتقدمين، وروى عنهم غير قيس، مع روايته عن خلق من الصحابة سوى العشرة، ولم يحك أحد ممن ساق خبر محنة أبي عبد الله أحمد بن حنبل أنه نوظر في حديث الرؤية، فإن كان هذا الخبر المحكي عن ابن فهم محفوظاً، فأحسب أن ابن أبي دؤاد تكلم في قيس بن أبي حازم بما ذكر في الحديث، وعزا ذلك إلى علي ابن المديني والله أعلم»[١].

وقد زل العقيلي زلة كبرى حين ذكر ابن المديني في كتاب الضعفاء وعرض به، وقد رد الذهبي قوله هذا، ودافع عن ابن المديني دفاعاً مجيداً، واعتذر عنه فقال: «وذكره العقيلي في كتاب الضعفاء، فبئس ما صنع، فقال: «جنح إلى ابن أبي دؤاد والجهمية، وحديثه مستقيم إن شاء الله».

ثم قال الذهبي: «وقد بدت منه هفوة ثم تاب منها، وهذا أبو عبد الله البخاري ـ وناهيك به ـ قد شحن صحيحه بحديث علي ابن المديني، وقال: ما استصغرت نفسي بين يدي أحد إلاّ بين يدي علي ابن المديني، ولو تركت حديث علي، وصاحبه محمد، وشيخه عبد الرزاق، وعثمان بن أبي شيبة، وإبراهيم بن سعد، وعفان، وأبان العطار، وإسرائيل، وأزهر السمان، وبهز بن أسد، وثابت البناني، وجرير بن عبد الحميد، لغلقنا الباب، وانقطع الخطاب، ولماتت الآثار، واستولت الزنادقة، ولخرج الدجال.

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٧).

أفمالك عقل يا عقيلي، أتدري فيمن تتكلم، وإنما تبعناك في ذكر هذا النمط لنذب عنهم، ولنزيِّفَ ما قيل فيهم، كأنك لا تدري أن كل واحد من هؤلاء أوثق منك بطبقات، بل وأوثق من ثقات كثيرين لم توردهم في كتابك، فهذا مما لا يرتاب فيه محدث، وأنا أشتهي أن تعرفني من هو الثقة الثبت الذي ما غلط ولا انفرد بما لا يتابع عليه، بل الثقة الحافظ إذا انفرد بأحاديث كان أرفع له، وأكمل لمرتبته، وأدل على اعتنائه بعلم الأثر، وضبطه دون أقرانه لأشياء ما عرفوها، اللهم إلا أن يتبين غلطه ووهمه في الشيء فيعرف ذلك، فانظر أول شيء إلى أصحاب رسول الله ﷺ الكبار والصغار، ما فيهم أحد إلا وقد انفرد بسنة، فيقال له: هذا الحديث لا يتابع عليه، وكذلك التابعون كل واحد عنده ما ليس عند الآخر من العلم، وما الغرض هذا، فإن هذا مقرر على ما ينبغي في علم الحديث.

وإن تفرد الثقة يعد صحيحاً غريباً، وإن تفرد الصدوق ومن دونه يعد منكراً، وإن إكثار الراوي من الأحاديث التي لا يوافق عليها لفظاً أو إسناداً يصيره متروك الحديث، ثم ما كل أحد فيه بدعة أو له هفوة أو ذنوب يقدح فيه بما يوهن حديثه، ولا من شرط الثقة أن يكون معصوماً من الخطايا والخطأ، ولكن فائدة ذكرنا كثيراً من الثقات الذين فيهم أدنى بدعة أو لهم أوهام يسيرة في سعة علمهم أن يعرف أن غيرهم أرجح منهم وأوثق إذا عارضهم أو خالفهم، فزن الأشياء بالعدل والورع.

وأما علي ابن المديني فإليه المنتهى في معرفة علل الحديث النبوي، مع كمال المعرفة بنقد الرجال، وسعة الحفظ والتبحر في هذا الشأن، بل لعله فرد زمانه في معناه[1].

وقال الذهبي في تذكرة الحفاظ: «مناقب هذا الإمام جمة لولا ما كدرها بتعلقه بشيء من مسألة القرآن وتردده إلى أحمد بن أبي دؤاد، إلا أنه تنصل وندم وكفر من يقول بخلق القرآن فالله يرحمه ويغفر له»[2].

هذا هو حال علي ابن المديني رحمه الله فهو إمام أجبر على أن يقول شيئاً وهو له كاره، تحت التهديد والسجن فخشي على نفسه فأجاب، وهو في قرارة نفسه يتألم لما يصيب إخوانه من المحدثين والعلماء من الأذى والاضطهاد[3].

نزوعه عن هذا الذي اتهم به (القول بخلق القرآن):

قد جاء ما يؤكد أنه رجع عما اتهم به من القول بخلق القرآن، في عدة روايات تؤكد بعضها بعضاً:

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ١٤٠).

(٢) تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٨).

(٣) قد استفدت في هذا البحث مما كتبه الدكتور سعدي الهاشمي حفظه الله في كتابه (أبو زرعة الرازي) وما كتبه الدكتور علي محمد جماز حفظه الله في تحقيق كتاب (تسمية من روى عنه من أولاد العشرة، وما كتبه الدكتور أحمد نور سيف حفظه الله في مقدمته على «تاريخ ابن معين»).

- عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة أنه قال: سمعت علياً على المنبر يقول:

«من زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر، ومن زعم أن الله لا يرى فهو كافر، ومن زعم أن الله لم يكلم موسى على الحقيقة فهو كافر»[1].

- وعن عثمان بن سعيد الدارمي أنه قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: هو كفر - يعني من قال القرآن مخلوق»[2].

- وعن عثمان بن أبي شيبة أنه قال: «سمعت علي ابن المديني يقول - قبل أن يموت بشهرين -: القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر»[3].

ب - وفاة علي ابن المديني رحمه الله

إن من قدر الله أن النجم سيصير بعد عُلو إلى أفول، وأن الزهر بعد نضرة سيصير إلى ذبول، وأن الشباب يعود إلى ضعف واكتهال، وهكذا الحياة.

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ٤٧٢)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٤١)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٨).

(٢) ميزان الإعتدال (٣/ ١٤١)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٧٢)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٩).

(٣) طبقات الشافعية (٢/ ١٤٨)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٤١)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٦)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٧٢).

وبعد هذه الحياة العامرة يموت علي ابن المديني، ليومين بقيا من ذي القعدة يوم الاثنين من سنة أربع وثلاثين ومائتين، في مدينة سر من رأى في العسكر، وله ثلاث وسبعون سنة.

وقد جاءت عدة أقوال في تأريخ وفاته أصحها ما أوردته هنا:

فقد قال بما ذكرت الإمام البخاري رحمه الله[1]، والحارث بن محمد[2]، والبغوي[3]، والذهبي[4]، والخطيب البغدادي[5] وغيرهم الكثير من جماهير المحدثين.

وقد وهم كل من يعقوب بن سفيان الفسوي[6]، وعبيد بن محمد بن خلف البزار[7] حين أرخا وفاته بأنها عام (٢٣٥ هـ) وكذا الخليلي في الإرشاد حين أرخ وفاته (٢٣٨ هـ) وقد ذكر ابن النديم أنه مات بسامرا عام (٢٥٨ هـ) وهو تصحيف بين[8].

وقد خالف حنبل بن إسحاق جماهير المؤرخين، حين أرخوا لمكان وفاته، حيث قال إنه مات بالبصرة[9]، والصواب أنه مات بسامرا والله أعلم.

---

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) الميزان (٣/ ١٤١)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٩)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٩)، تاريخ بغداد (١١/ ٤٧٣)، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٧).

(٦) (٧) تاريخ بغداد (١١/ ٤٧٣)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٩).

(٨) الفهرست لابن النديم (ص ٢٣١)، الإرشاد (٢/ ٥٩٩).

(٩) سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٩).

ولئن كان علي ابن المديني قد مات فقد بقي ذكره الطيب، وعلمه النافع، فما ذكر علم علل الحديث إلا وذكره الأكابر على أنه فارسه الذي لا يشق له غبار، وما تذاكر علماء مصطلح الحديث مسائله إلا واستشهدوا بأقواله عليه رحمة الله، وهكذا الحياة يموت الرجال وتبقى أعمالهم فيها، يخلدها الله على مر الأزمان بإخلاص أولئك وتفانيهم في طلب العلم، وحرصهم على نشره فما أخلصوا لله إلا وأبقى الله ذكرهم، وحفظ علمهم، وكانوا كما قال مالك رحمه الله، ما كان لله يبقى.

البَابُ الثَّانِي

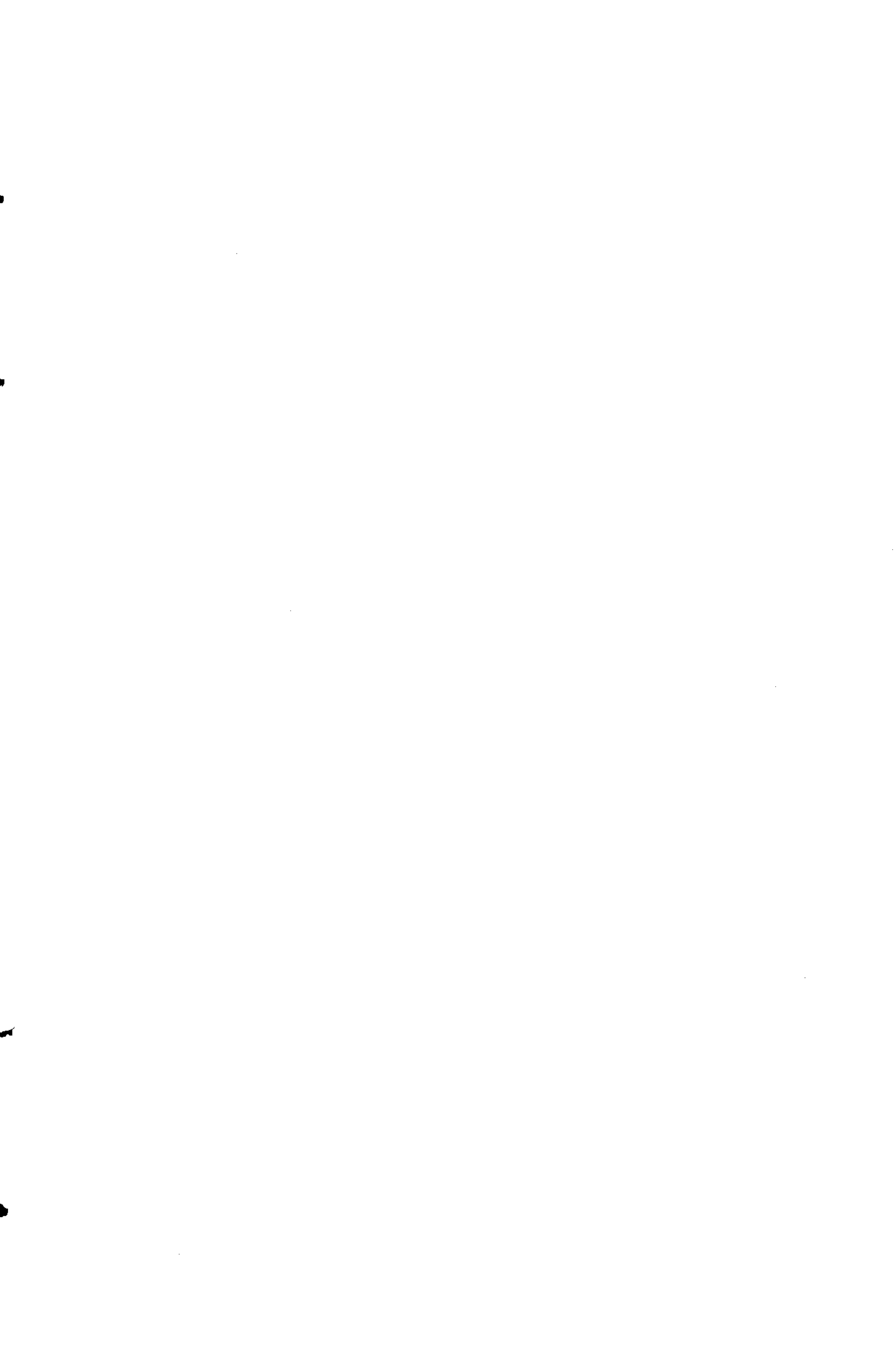
جُهُودُ عَلِي ابْنِ المَدِينِي فِي خِدْمَةِ السُّنَّةِ المُشَرَّفَةِ

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: علي ابن المديني وعلم العلل.

الفصل الثاني: علي ابن المديني وآراؤه في علم مصطلح الحديث.

الفصل الثالث: نماذج من نقده الحديثي، ومروياته.



الفَصل الأول

عَليّ ابْنُ المَدِيْنِيّ وَعِلْمُ العِلَلِ

تعريف العلة في اللغة: وهي المرض، وصاحبها مُعْتَل، قال ابن الأعرابي: «عَلَّ المريض يعل فهو عليل»، ويقال: «معلول» وهي صحيحة أيضاً مأخوذة من «علّ» ومعناها في اللغة: الشربة الثانية، ووجه العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي: أن العلة ناشئة عن إعادة النظر في الحديث مرة بعد مرة»[1].

تعريف العلة في الاصطلاح: «هو الخبر الذي ظاهره السلامة، اطلع فيه بعد التفتيش على قادح»[2].

قال الإمام السخاوي: « هذا النوع من أغمض الأنواع، ولذا لم يتكلم فيه ـ كما سلف ـ إلا الجهابذة أهل الحفظ والخبرة والفهم الثاقب، مثل ابن المديني، وأحمد، والبخاري، ويعقوب بن شيبة، وأبي حاتم، وأبي زرعة، والدارقطني»[3].

---

(١) العلل في الحديث، د. همام سعيد (١٥ ـ ١٧)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ١٣ ـ ١٥).
(٢) فتح المغيث للسخاوي (١/ ١٠٥)، العلل في الحديث (ص ١٨).
(٣) فتح المغيث للسخاوي (١/ ٢٣٥).

إن ميدان علم العلل حديث الثقات، وغايته كشف ما يعتري هؤلاء الثقات من الخطأ والوهم. وهذا النقد أوسع من الجرح والتعديل، لأن الجرح والتعديل ينتهي بكلمة أو سطر أو صفحة، أو مجموعة من الأقوال، في الرجل موضع الجرح أو التعديل، وأما هذا العلم فإنه يواكب الثقة في حله وترحاله، وأحاديثه عن كل شيخ من شيوخه، ومتى ضبط، ومتى نسي، وكيف تحمل، وكيف أدى.

ولذلك نجد علي ابن المديني يخرج علل ابن عيينة في ثلاثة عشر جزءاً[1].

وسفيان بن عيينة ثقة ثبت، ولكن هذا لا يعني سلامة حديثه كله فهو بشر يخطىء ويصيب، وإن كان خطؤه نادراً، ولكن كم يكون حجم هذا النادر من بين ألوف الأحاديث التي يرويها؟.

وبالرغم من أن علم العلل قسم من أقسام علم الحديث دراية، إلا أن العلماء ركزوا عليه وأعطوه الأهمية القصوى حتى قال الحاكم: «معرفة علل الحديث وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل»[2].

هذا العلم يعتبر رأس علوم الحديث وأوسعها وأخفاها

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم (٧١).
(٢) معرفة علوم الحديث للحاكم (١١٢).

وأدقها وأهمها، ولولاه لاختلط الصحيح بالسقيم لأن الأصل في أحاديث الثقات الاحتجاج بها والالتزام بقبولها، وما يدخل عن طريق الثقات والحفاظ لا يدخل عن طريق الضعفاء والمجروحين لأنه كما يقول الحاكم أبو عبد الله: «فإن حديث المجروحين ساقط واه، وعلة الحديث تكثر في حديث الثقات أن يحدثوا بحديث له علة، فيخفى عليهم علمه فيصير الحديث معلولاً»[1].

وأما اتساع هذا العلم فإن معظم علوم الحديث يدخل في العلل، فقد يعلل الحديث بالانقطاع أو الإرسال أو الإعضال أو الإدراج أو القلب، أو الاضطراب، ولكن الذي يميز علم العلل من هذه الفروع، هو ما تتضمنه العلة من الخفاء إذ يقع الإرسال أو الانقطاع أو الإدراج في حديث الثقات ويصعب تمييزه والحكم عليه، وينطلي على أكثر المحدثين، حتى يتنبه جهابذتهم ونقادهم إلى هذا القادح الذي يتصف بالخفاء.

أشهر علماء العلل:

لقد قيّض الله لميدان علم العلل أعلاماً عبدوا مساربه كان منهم:

١ ـ شعبة بن الحجاج أبو بسطام العتكي (ت ١٦٠ هـ).

٢ ـ يحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨ هـ).

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم (١١٢/١١٣).

٣ ـ عبد الرحمن بن مهدي (ت ١٩٨ هـ).
٤ ـ يحيـى بن معين أبو زكريا المري (ت ٢٣٣ هـ).
٥ ـ علي بن جعفر المديني (ت ٢٣٤ هـ).
٦ ـ أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ).
٧ ـ محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ).
٨ ـ مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١ هـ).
٩ ـ أبو زرعة الرازي (ت ٢٦٤ هـ).
١٠ ـ أبو حاتم الرازي (ت ٢٧٧ هـ).
١١ ـ ابن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ).
١٢ ـ يعقوب بن شيبة السدوسي (ت ٢٦٣ هـ).
١٣ ـ أبو عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ).
١٤ ـ البزار أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت ٢٩٢ هـ).
١٥ ـ علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ).
١٦ ـ عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ).
١٧ ـ أحمد بن علي بن حجر (ت ٨٥٢ هـ).

وغيرهم من علماء الحديث، وإن كانوا قلة بالنسبة لكثرة علماء الحديث رحمهم الله جميعاً.

مواصفات عالم العلل ومدى انطباقها على ابن المديني:

إن كتب العلل تحمل في طياتها صورة كاملة شاملة لما ينبغي أن يكون عليه رجل هذا الفن، وأنه وإن كان حصر جوانب هذه المعرفة لا يمكن في مبحث صغير فإن ذكر هذه الجوانب

يسير ومعقول، وسأبرز هنا بعض هذه الجوانب ومدى انطباقها على إمامنا علي ابن المديني رحمه الله من خلال الأمور التالية مع إيراد نص واحد أو نصين للدلالة على ذلك:

١ ـ معرفة المدارس الحديثية:

نشأتها، ورجالها، ومذاهبها العقائدية والفقهية، وأثرها وتأثيرها في غيرها، وما تميزت به من غيرها، فقد نشأت للحديث مدارس في المدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام ومصر واليمن.

وبهذه المعرفة يعالج الباحث أسانيد كثيرة فيكشف عن علتها، فإذا كان الحديث كوفياً، احتمل التدليس، أو الرفض، وإن كان بصرياً احتمل النصب ـ العداء لآل البيت ـ وتأثر إسناده بالإرجاء أو الاعتزال.... وهكذا.

أصحاب نافع:

قسمهم ابن المديني تسع طبقات:

الطبقة الأولى: أيوب، وعبيد الله بن عمر، ومالك، وعمر بن نافع.

قال: فهؤلاء أثبت أصحابه، وأثبتهم ـ عندي ـ أيوب. قال: وسمعت يحيى يقول: ليس ابن جريج بدونهم فيما سمع من نافع.

الطبقة الثانية: عبد الله بن عون، ويحيى الأنصاري، وابن جريج.

الطبقة الثالثة: أيوب بن موسى، وإسماعيل بن أمية، وسليمان بن موسى، وسعد بن إبراهيم.

الطبقة الرابعة: موسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وداود بن الحصين.

الطبقة الخامسة: محمد بن عجلان، والضحاك بن عثمان، وأسامة بن زيد الليثي، ومالك بن مغول.

الطبقة السادسة: ليث بن سعد، وإسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، وسليمان بن ساحق، وابن غنج المصري.

الطبقة السابعة: عبد الرحمن بن السراج، وسعيد بن عبد الله بن حرب، وسلمة بن علقمة، وعلي بن الحكم، والوليد بن أبي هشام.

الطبقة الثامنة: أبو بكر بن نافع، وخليفة بن غلاب، ويونس بن يزيد، وجويرية بن أسماء، وعبد العزيز بن أبي رواد، ومحمد بن ثابت العبدي، وأبو علقمة الفروي، وعطاف بن خالد، وعبد الله بن عمر، وحجاج بن أرطأة، وأشعث بن سوار، وثور بن يزيد.

الطبقة التاسعة: لا يكتب عنهم، عبد الله بن نافع، وأبو أمية بن يعلى، وعثمان البري، وعمر بن قيس سندل[1].

(١) تهذيب التهذيب (١/ ٢٧٢)، شرح علل الترمذي (٢/ ٦١٥ ـ ٦١٨).

أصحاب محمد بن سيرين رحمه الله تعالى:

ـ قال ابن المديني: «أحاديث هشام بن حسان عن محمد صحاح، قال: ونسخت من كتاب: ليس أحد أثبت في ابن سيرين من أيوب وابن عون إذا اتفقا، وإذا اختلفا فأيوب أثبت.

وهشام أثبت من خالد الحذاء في ابن سيرين، وكلهم ثبت، وكذلك سلمة بن علقمة، وعاصم الأحول، وليس في القوم مثل أيوب وابن عون، وهشام الدستوائي ثبت»[١].

وهناك نصوص أخرى كثيرة، بيّن فيها ابن المديني كثيراً من المدارس الحديثية[٢].

٢ ـ معرفة من يدور عليهم الإسناد:

وأوثق الناس فيهم، وتمييز أصح الأسانيد وأضعفها، وممن اهتم بهذا، وأرسى قواعده علي ابن المديني رحمه الله، فنراه يقول:

ـ «نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة، فلأهل المدينة: ابن شهاب: وهو محمد بن مُسْلم بن عُبَيْدِ الله بن عبد الله بن شهاب، ويُكنى: أبا بكر مات سنة أربع وعشرين ومائة.

---

(١) شرح علل الترمذي (٢/ ٦٨٨).

(٢) انظر شرح علل الترمذي (٢/ ٦٧٨، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٩٠، ٧٠٣) ومواطن مختلفة من كتابه العلل ومعرفة الرجال.

ولأهل مكة عمرو بن دينار مولى جمح، ويكنى: أبا محمد مات سنة ست وعشرين ومائة.

ولأهل البصرة قَتَادة بن دِعامة السَدُوسي، وكنيته أبو الخطاب مات سنة سبع عشرة ومائة، ويحيى بن أبي كثير ويكنى: أبا نصر مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة باليمامة.

ولأهل الكوفة أبو إسحاق واسمه عَمْرو بن عبد الله بن عَبدُوُد، مات سنة سبع وعشرين ومائة، وسليمانِ بن مِهرَان مولى بني كاهل من بنيِ أسد ويُكنى: أبا محمد مات سنة ثمان وأربعين ومائة كان جميلاً.

ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف ممن صنف:

فلأهل المدينة مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، عداده في بني تيم الله، ومات سنة تسع وسبعين ومائة، وسمع من ابن شهاب، ومحمد بن إسحاق بن يسار مولى بني مَخرمة، وَيكنى أبا بكر مات سنة اثنتين وخمسين ومائة. وسمع من ابن شهاب والأعمش.

ومن أهل مكة عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج مولى لقريش، ويكنى أبا الوليد مات سنة إحدى وخمسين ومائة، وَسُفيان بن عُيَيْنة بن ميمون مولى محمد بن مزاحم أخو الضحاك بن مزاحم الهلالي، ويكنى أبا محمد، مات سنة ثمان وتسعين ومائة، سفيان لقي ابن شهاب، وعمرو بن دينار، وأبا إسحاق، والأعمش.

ومن أهل البصرة سعيد بن أبي عروبة مولى بني عدي، وهو سعيد بن مهران، ويكنى أبا النضر، مات سنة ثمان أو تسع وخمسين ومائة، وحماد بن سلمة قال: أحسبه مولى لبني سليمان ويُكنى أبا سلمة مات سنة ثمان وستين ومائة.

وأبو عوانة واسمه الوضاح مولى يزيد بن عطاء الواسطي مات سنة خمس وسبعين ومائة.

وشعبة بن الحجاج أبو بسطام مولى الأشافر، مات سنة ستين ومائة.

ومعمر بن راشد ويكنى أبا عروة مَولى حدَّان، ومات باليمن سنة أربع وخمسين ومائة، سمع من ابن شهاب وعمرو بن دينار وقتادة، ومن يحيى بن أبي كثير، ومن أبي إسحاق السبيعي.

ومن أهل الكوفة سفيان بن سعيد الثوري، ويكنى أبا عبد الله ومات سنة إحدى وستين ومائة.

ومن أهل الشام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ويكنى أبا عمرو ومات سنة إحدى وخمسين ومائة.

ومن أهل واسط هشيم بن بُشَيْر مولى بني سُلَيم ويُكنَى أبا معاوية، مات سنة ثلاث وثمانين ومائة.

حدث إبراهيم الهروي، حدثنا: هشيم بن بُشَيْر بن

القاسم بن دينار مولى خزيمة بن حازم أمير المؤمنين في الحديث يُكنى أبا معاوية.

ثم صار علم هؤلاء الستة، وعلم الاثني عشر إلى ستة:

إلى يحيى بن سعيد القطان ويكنى أبا سعيد، وهو مولى لبني تيم، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة في صغره.

ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، ويكنى أبا سعيد مولى لهمدان مات سنة اثنتين وثمانين ومائة.

ووكيع بن الجراح بن مُليح بن عدي بن فرس ويكنى: أبا سفيان مات سنة تسع وتسعين ومائة.

ثم صار علم هؤلاء الثلاثة إلى:

عبد الله بن المبارك وهو حنظلي، ويكنى: أبا عبد الرحمن، ومات سنة إحدى وثمانين ومائة بِهَيْت.

وعبد الرحمن بن مهدي الأسدي ويكنى أبا سعيد مات سنة ثمان وتسعين ومائة.

ويحيى بن آدم ويكنى: أبا زكريا وهو مولى خالد بن عبد الله بن أسيد ـ بالظن من علي ـ ومات سنة ثلاث ومائتين.

قال علي: وما بدَّد في الإسلام أحد حديثه في الأمصار، تبديد الثوري، فإنه حدث بالبصرة ما لم يحدث بالكوفة، وحدث بالشام ما لم يحدث بالعراق، وحدث بالعراق، وحدث باليمن

ما لم يحدث بالعراق ولا بالشام، وحدث بالري ما لم يحدث بغيرهما من الأمصار.

قال علي: «وما جمع أحد علم الأقطار في الرواية عنهم كمعمر بن راشد فإنه روى عن الستة الذين دار عليهم الحديث في الصدر الأول، وهم الزهري وعمرو بن دينار بالحجاز، والسبيعي والأعمش بالكوفة، وقتادة ويحيى بن أبي كثير بالبصرة»[(١)].

من خلال هذا النص رأينا علي بن المديني كيف مضى في تأصيل هذه الخبرة الإسنادية وتفريعها، ومع ذكر الراوي فإنه يذكر أصحابه، ويبين أوثقهم فيه وأكثرهم في الرواية عنه، وهذا جزء هام من علم العلل.

وعن طريق هذه المعرفة الإسنادية تتشكل صورة واحدة لخريطة الأسانيد، وتظهر على هذه الصورة محطات كبيرة، تشكل جانباً لا بد لرجل العلل من معرفته، هذه المحطات هي من يدور عليهم الإسناد من العلماء في كل زمان ومكان، ولا بد له كذلك من معرفة قواعد التمييز بين هذه الأسانيد، فيعرف الصحيح، والضعيف، والمشهور والغريب، حتى يصل الأمر برجل العلل أن يقول فلان عن فلان خمسة أحاديث، وهكذا فإنه يذكر مع كل إسناد ما صح به من الحديث وما دخل عليه من الوهم والخطأ.

---

(١) العلل ومعرفة الرجال (ص ١٧ ـ ٤٠)، الكامل لابن عدي (١/ ١٦٦ ـ ١٦٧)، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي (ص ٦١٤ ـ ٦٢٠).

٣ ـ معرفة الأبواب:

ورجل العلل الحافظ العارف الفهم، لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بعد أن جمع الأحاديث في الأبواب. فأحاديثه وإن قَلَّت: إنها مرتبة على الأسانيد فهي أيضاً مرتبة على الأبواب: باب الطهارة.. الصلاة.. الزكاة.. وهكذا، والعملية النقدية عنده هي عرض ما يسمعه على أبوابه وأصوله، وبعد هذا العرض يذكر نتيجة من النتائج الكثيرة عنده... معروف... منكر... مشهور... غريب... شاذ... لا أصل له...

ـ قال علي ابن المديني: «الباب إذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه»[(١)].

ـ عن محمد بن شعيب قال: «سمعت علي ابن المديني يقول: إذا رأيت الحَدث أول ما يكتب الحديث يجمع حديث الغسل، وحديث من كذب، فاكتب على قفاه: لا يفلح»[(٢)].

يقول علي ابن المديني هذا في معرض حثه على جمع الأبواب الحديثية والعناية بها.

٤ ـ معرفة المتشابه من الأسماء والكنى والألقاب:

وكتب العلل مليئة بهذا النوع كمعرفة عامة أو تطبيقية تخدم موضوع العلة.

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ٨٢)، الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢١٢) النص (١٦٤١).

(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٣٠١) النص (١٩١٢).

- عن محمد بن عبد الرحيم صاعقة قال: قال علي ابن المديني: «اسم أبي العوام الذي يروي عنه حماد بن سلمة: فائد بن كيسان.

وأبو العوام السدوسي اسمه شيبان روى عنه قتادة.

وأبو العوام الباهلي عبد العزيز بن ربيع روى عنه وكيع وغير واحد من البصريين.

اسم أبي شيخ خيوان بن خالد الهنائي.

وقالوا: حيان اسم أبي مدينة الذي روى عنه ثابت البناني، زعم علي أنه غير الذي روى عنه قتادة»[1].

- قال علي: «قال سفيان: قلت لأبي الزناد: يا أبا عبد الرحمن.

قال علي: كنيته أبو عبد الرحمن كان يغضب من أبي الزناد.

اسم أبي الصديق الناجي بكر.

اسم أبي صادق عبد الله بن ناجد وهو أخو ربيعة بن ناجد.

أبو الجويرية الجرمي حطان بن خفاف.

اسم أبي مريم صاحب نعيم بن حكيم: عبيدة.

اسم أبي مريم الأنصاري: عبد الغفار بن القاسم روى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وشعبة ومحمد بن إسحاق»[2].

---

(١) المعرفة والتاريخ (٣/ ٦٧).
(٢) المعرفة والتاريخ (٣/ ٦٧).

ـ قال علي: «اسم أبي ثعلبة الخشني جرهم بن ناشم.

اسم أبي الأسود ظالم بن عمرو، وأبو حرب هو ابنه.

واسم أبي الجوزاء أوس بن عبد الله، وأبو حبرة شيحة بن عبد الله.

واسم أبي رجاء العطاردي عمران بن تيم، وقالوا ملحان.

واسم أبي العشراء أسامة بن مالك بن قهطم، وقالوا: عطارد بن برز، وقال: سيار أو أبو سيار بن بلز.

وغالب أبو الهذيل هو ابن هذيل.

وأبو الشعثاء هذا هو مولى ابن معمر وليس بجابر بن زيد.

وهشام الدستوائي أبو بكر واسم أبيه سنبر»[1].

والباحث يعجب حين يرى التشابه في الاسم بين الكثير من الرواة، مما يجعل معرفة هذا الجانب ضرورية لرجل العلل حتى لا تشتبه عليه الأمور.

وكما تتشابه الأسماء تتشابه الكنى، ولا بد من معرفتها من قبل صاحب هذا الشأن.

وإلى جانب التشابه في الكنى نجد الكثير من الكنى التي لم يشتهر أصحابها بها، فاستغلها المدلسون ستاراً لتدليسهم، ولكن المعرفة الواسعة التي يتمتع بها الناقد تقف لكل ذلك بالمرصاد.

٥ ـ معرفة مواطن الرواة:

قال الحاكم أبو عبد الله: «وهو علم قد زلق فيه جماعة من

(١) المعرفة والتاريخ (٢/١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢) (٣/٢٧، ٣٤).

كبار العلماء بما يشتبه عليهم فيه»[1].

وقد ثبت هذه المعرفة في كتاب العلل لارتباطها وعلاقتها الوثيقة به.

ـ قال علي ابن المديني:

«عبد الله بن مسلم بن هرمز كان ضعيفاً ضعيفاً عندنا؟ وهو مكي.

طلحة بن عمرو: هو مكي ضعيف ليس بشيء.

إبراهيم بن عقبة: كان ذاك من أهل المدينة وكان عندنا ثقة.

أنس بن عياض: كان من أهل المدينة وكان عندنا ثقة.

عباد بن كثير: لم يكن بشيء وهو من أهل البصرة، إلا أنه كان ينزل مكة.

يعقوب بن محمد بن طحلاء: كان صالحاً وكان من أهل المدينة.

عبد الوهاب بن الورد، كان عابداً، وكان من أهل مكة، وكان أصحابنا يوثقونه.

إسماعيل بن جعفر، وأخوه محمد بن جعفر المدينان ثقتان.

حماد الخياط: كان عندنا ثقة؟ وكان من أهل المدينة[2].

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم (ص ١٩٠).

(٢) سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي ابن المديني (ص ١٠٢، ١١٢، ١١٨، ١٢٥ ـ ١٢٦، ١٣٢، ١٣٧، ١٤٢).

٦ ـ معرفة الوفيات والولادات:

وعن طريق هذه المعرفة ـ مضافاً إليها غيرها ـ يتأكد الناقد من السماع والمعاصرة أو ينفيهما، وتجد الكثير من هذه المعرفة مبثوثاً في كتب العلل:

قال علي ابن المديني:

«مات أيوب بن أبي تميمة السختياني سنة إحدى وثلاثين ومائة في الطاعون.

ومات يونس سنة تسع وثلاثين ومائة، مات عبد الله بن عون سنة خمسين ومائة، ومات هشام بن حسان سنة ثمان وأربعين ومائة.

مات إبراهيم النخعي سنة خمس وتسعين، وقتل سعيد بن جبير سنة خمس وتسعين، وفيها مات الحجاج.

مات هشام بن سعد سنة ستين ومائة، مات أبو عوانة الوضاح بن خالد سنة خمس وسبعين ومائة، ومات بشر بن المفضل، ومحمد بن سواء، وفضيل بن عياض، ومعتمر سنة سبع وثمانين ومائة.

مات أبو معاوية سنة خمس وتسعين ومائة، مات ابن عمر بعد موت معاوية بسبع عشرة سنة.

مات قتادة سنة سبع عشرة ومائة وهو ابن ست وخمسين.

مات مالك وهو ابن أربع وثمانين، مات سنة تسع وسبعين ومائة.

وأبو الأحوص، وحماد بن زيد، وولد مالك سنة خمس وتسعين.

ومات طاووس سنة أربع ومائة.

مات يزيد بن زريع، وسفيان بن حبيب سنة ثنتين وثمانين ومائة.

مات الثوري سنة إحدى وستين ومائة.

مات شعبة سنة ستين ومائة.

مات يحيى بن زكريا بن أبي زائدة سنة اثنتين وثمانين ومائة.

مات حماد بن سلمة سنة ست وسبعين ومائة»[1].

وقال علي ابن المديني:

«مات داود بن أبي هند سنة أربعين ومائة في طريق مكة.

ومات همام بن يحيى العوذي سنة اثنين وستين ومائة.

مات سليمان بن جعفر سنة ثمانين ومائة.

مات إبراهيم بن سعد سنة ثلاث وثمانين ومائة مات وهو ابن ثلاث وسبعين.

ومات يحيى بن سعيد وله ثمان وسبعون ومات سنة ثمان وتسعين ـ يعني ومائة ـ في أولها، وعبد الرحمن بن مهدي بعده بأربعة أشهر، وابن عيينة بعد عبد الرحمن بسبعة أيام، وأبو الوليد الطيالسي أكبر من عبد الرحمن بثلاث سنين، وغندر أسن من يحيى بن سعيد.

وحج سفيان ثنتين وسبعين حجة، مات عطاء سنة خمس عشرة ومائة، وحج سفيان بعد موته بسنة وهو ابن تسع سنين،

(١) العلل ومعرفة الرجال (ص ٨٩ ـ ٩٠).

فلم يزل يحج إلى أن مات، وأقام بمكة سنة اثنتين وعشرين ومائة إلى سنة ست وعشرين ومائة ثم خرج إلى الكوفة.

ومات يحيى بن سعيد القطان سنة ثمان وتسعين ومائة وولد سنة عشرين ومائة، ومات عبد الرحمن بن مهدي سنة ثمان وتسعين وهو ابن ثلاث وستين سنة، ويكنى أبا سعيد ولد سنة خمس وثلاثين ومائة»[1].

ومعرفة الولادات جانب آخر يحدد اللقاء وفترته بين الراويين:

- قال علي ابن المديني:

«طلحة بن يحيى (التيمي) سنه وسن عمر بن عبد العزيز واحد، ولد أيام قتل الحسين بن علي بن أبي طالب»[2] أيام يزيد بن معاوية.

والأعمش وهشام بن عروة ولدا في سنة إحدى أو اثنتين وستين[3].

- وقال علي:

«مات يحيى بن سعيد القطان سنة ثمان وتسعين ومائة، وولد سنة عشرين ومائة، ومات عبد الرحمن بن مهدي سنة ثمان وتسعين وهو ابن ثلاث وستين سنة، ويكنى أبا سعيد ولد سنة

(١) المعرفة والتاريخ (١/ ١٢٣، ١٥٠، ١٧١، ١٧٤، ١٨٨).
(٢) ريد أنهما ولدا في سنة واحدة هي سنة ٦١ هـ.
(٣) تهذيب التهذيب (٥/ ٢٨).

خمس وثلاثين ومائة»[1].

٧ ـ معرفة من أرسل ومن دلس ومن اختلط:

وقد اعتنت كتب العلل اعتناءً كبيراً بهذه المعرفة، وكثيراً ما تجد فيها علل الإرسال والتدليس والاختلاط، كما نجد تحديدات دقيقة للاختلاط وتفاوت المراسيل وما دلس من الأسانيد.

ومعرفة ابن المديني رحمه الله بالإرسال كانت معرفة واسعة تدل على طول باع في علم العلل:

ـ قال علي ابن المديني:

«مرسلات مجاهد أحب إليّ من مرسلات عطاء بكثير، كان عطاء يأخذ عن كل ضرب».

«إبراهيم النخعي لم يلق أحداً من أصحاب النبي ﷺ.

قلت له ـ يعني محمد بن أحمد بن البراء ـ: فعائشة؟

قال: هذا شيء لم يروه غير سعيد بن أبي عروبة، عن أبي معشر، عن إبراهيم، وهو ضعيف، وقد رأى أبا جحيفة، وزيد بن أرقم، وابن أبي أوفى ـ يعني عبد الله ـ، ولم يسمع منهم».

«إسماعيل بن أبي خالد رأى أنساً رؤية، ولم يسمع منه، ولم يرو عن أبي وائل شيئاً».

«لم يسمع إسماعيل بن أبي خالد من إبراهيم التيمي».

(١) المعرفة والتاريخ (١/١٨٨).

«لم يرو حبيب بن أبي ثابت عن عاصم بن ضمرة إلا حديثاً واحداً».

«الحسن لم يسمع من ابن عباس، وما رآه قط، كان الحسن بالمدينة أيام كان ابن عباس بالبصرة، استعمله عليها علي رضي الله عنهما، وخرج إلى صفين».

«الحسن لم ير علياً، إلا أن يكون رآه بالمدينة وهو غلام».

«لم يسمع الحسن من أبي هريرة الدوسي شيئاً».

«الحسن لم يسمع من جابر بن عبد الله شيئاً».

«الحسن لم يسمع من أبي موسى الأشعري».

«لم يسمع ابن أبي عروبة لا من حماد بن أبي سليمان، ولا من هشام بن عروة، ولا من أبي بشر، ولا من يحيى بن سعيد».

«لم يسمع أبو قلابة من هشام بن عامر، وروى عنه، ولم يسمع من سمرة بن جندب».

«عبد الكريم الجزري لم يسمع من البراء».

«عمرو بن أبي قرة لم يلق سلمان، وإنما أبوه لقي سلمان»[1].

ـ وقال علي ابن المديني:

«لم يلق أبو مخلدة سمرة ولا عمران».

---

(١) المراسيل لابن أبي حاتم (ص ٤، ٩، ١٢، ٢٨، ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٧٨، ١٠٩، ١٣٤، ١٤٨).

«وقيل له: إن وهيباً روى عن ابن طاووس عن أبيه أنه لقي أبا موسى فذكر الفتنة. فقال: ليس من ذا شيء لم يلق أبا موسى، ولا سمع من عائشة».

«أبو يزيد المدني لم يسمع من جابر ولكنه رأى ابن عمر، ولم يسمع من أبي هريرة».

وقيل له: «روى يونس بن نافع، قال: قد روى عنه، لا أدري سمع منه أو لا، ولا أحسبه سمع منه»[1].

وأما معرفته بالمدلسين فكانت أيضاً معرفة تدل على عقلية نافذة، واطلاع واسع، وشمولية في النظرة:

- تدليس التسوية: أن يروي عن شيخ له ثقة، عن رجل ضعيف، عن ثقة، فيسقط الضعيف.

أ- ابن جريج: كان يدلس أحاديث صفوان، عن ابن أبي يحيى، وكذلك أحاديث ابن جريج، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب.

- قال ابن المديني:

«لم يسمع منه، وإنما أخذ حديثه عنه عن ابن أبي يحيى».

- وقال أيضاً:

«كل ما في كتاب ابن جريج أخبرت عن داود بن الحصين، وأخبرت عن صالح مولى التوأمة، فهو من كتب إبراهيم بن يحيى»[2].

---

(١) المعرفة والتاريخ (٢/ ١٢٨، ١٢٩).

(٢) شرح علل الترمذي (٢/ ٨٢٥).

ب ـ حبيب بن أبي ثابت: عن عاصم بن ضمرة:

ـ قال ابن المديني: «أحاديث حبيب عن عاصم بن ضمرة لا تصح، إنما هي مأخوذة عن عمرو بن خالد الواسطي»[1].

جـ ـ الأعمش: لم يسمع من مجاهد إلا أربعة أحاديث.

ـ وحكى الكرابيسي أنه سمع علي ابن المديني يقول: «لم يصح عندنا سماع الأعمش من مجاهد إلا نحواً من ستة أو سبعة»[2].

وأما معرفته رحمه الله بأحوال الرواة، ومن اختلط منهم، ومتى اختلط، ومتى تقبل منه الرواية، ومتى ترد رواية الراوي، فكان أيضاً من تمام معرفته كعالم فذ بارز في علم العلل، مهد سبله وطرقه الصعبة، وسهل للعلماء من بعده كيفية التعامل مع النصوص، بعين الفاحص الناقد المتبصر:

١ ـ يحيى بن يمان العجلي:

قال ابن المديني: «صدوق إلا أنه تغير حفظه»».

٢ ـ أبو جعفر الرازي:

قال ابن المديني: «ثقة كان يخلط».

وقال مرة أخرى: «هو نحو موسى بن عبيدة وهو يخلط».

٣ ـ سليمان بن موسى الأموي الدمشقي:

---

(١) شرح علل الترمذي (٢/ ٨٢٨).

(٢) شرح علل الترمذي (٢/ ٨٥٣).

ذكر العقيلي عن ابن المديني قوله: «كان من كبار أصحاب مكحول، وكان خولط قبل موته بيسير»[1].

هذا الشرط يبرز لنا الاطلاع الواسع الذي يجب أن يتمتع به عالم العلل، والقدرة الواسعة على التمييز والنقد، حتى تكون أحكامه أقرب إلى الصواب.

٨ ـ معرفته بأهل البدع والأهواء:

هذه المعرفة جزء من معرفة المدارس الحديثية ولكنها هنا تهتم بالرواة كإفراد كل على حدة، وقد يكون الغالب على مدرسة ما التشيع، ولكن فيها الناصبي، والخارجي، والمعتزلي ـ وغير ذلك. . .

وفيما يلي مجموعة من النصوص تبين معرفة علي ابن المديني رحمه الله بهذا النوع من المعرفة:

ـ وسألت علياً عن عباد بن منصور؟ فقال: «ضعيف عندنا، وكان قدرياً وكان قاضياً على البصرة».

ـ وسألت علياً عن عمرو بن فايد القرشي الأسواري، فقال: «كان ذلك عندنا ضعيفاً، وكان يقول: بالقدر».

ـ وسمعت علياً يقول: «محمد بن جحادة، كان يتهم بشيء من القدر».

ـ وسألته عن عبد الله بن أبي نجيح المكي؟ فقال: «أما الحديث فهو فيه ثقة، وأما الرأي، فكان قدرياً، معتزلياً».

---

(١) الكواكب النيرات (ص ٤٣٧، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٦٩).

- وسألت علياً عن عبد الحميد بن جعفر الأنصاري؟ فقال: «كان يقول بالقدر، وكان عندنا ثقة، وكان سفيان الثوري يضعفه».

- وسمعت علياً يقول: «إبراهيم بن أبي يحيى، كذاب، وكان يقول بالقدر»[1].

هذه بعض جوانب المعرفة التي لا بد منها للمشتغل بالعلل، وهناك جوانب أخرى، إذ أن أكثر علوم الحديث مستمد من علم العلل، والظاهر أن أقدم المحاولات وبواكيرها في هذا الميدان، هي كتب علي ابن المديني رحمه الله، وغيره من العلماء من أمثال أحمد والترمذي وأبي زرعة وأبي حاتم، وهي كتب شاملة تطبيقية.

ولعل من أبرز ثمرات هذا الموضوع القناعة التامة بأن علم العلل عماده المعرفة المستفيضة أفقياً وعمودياً، وهو ما يعبر عنه بعلم الرواية والدراية، ومن تتوافر له هذه المعرفة تنكشف له العلاقات بين الروايات، فيصبح مجال الحديث، سنداً ومتناً، بمتناول بصيرته، وعند التعليل يستفيد من كل هذه الجوانب[2].

---

(١) سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ص ٥٢، ٦٩، ٨٠، ٩٧، ١٠٠، ١٢٤).

(٢) استفدنا في كثير من هذه العناوين في جوانب المعرفة عند رجل العلل من كتاب أستاذنا الدكتور همام سعيد «العلل في الحديث» حفظه الله ونفع به المسلمين.

«أقوال العلماء عن علي ابن المديني وعلمه بالعلل»:

لقد عرف العلماء لعلي ابن المديني مكانته البارزة في علم العلل، فأثنوا عليه بما هو أهله في هذا العلم وسأذكر منها ما يلي:

- قال أبو حاتم: «كان ابن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل»[1].

- قال صالح جزرة: «أعلم من أدركت بالحديث وعلله علي بن المديني»[2].

- قال هارون بن إسحاق الهمذاني: «الكلام في صحة الحديث وسقيمه لأحمد بن حنبل وعلي بن المديني»[3].

- قال عبد الرزاق: «رحل إلينا من العراق أربعة من رؤساء الحديث: الشاذكوني وكان أحفظهم للحديث، وابن المديني وكان أعرفهم باختلافه، ويحيى بن معين وكان أعلمهم بالرجال، وأحمد بن حنبل وكان أجمعهم لذلك كله»[4].

- قال حنبل بن إسحاق: سمعت عمي أحمد بن حنبل يقول:

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٨)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٠).

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٦٤)، ميزان الاعتدال (٣/ ١٣٩)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٣).

(٣) شرح علل الترمذي (ص ١٤٣).

(٤) شرح علل الترمذي (ص ١٤١).

«أحفظنا للطوالات الشاذكوني، وأعرفنا بالرجال يحيى بن معين، وأعلمنا بالعلل علي ابن المديني، وكأنه أومأ إلى نفسه بأنه أفقههم»(١).

ـ قال الذهبي رحمه الله:

«وأما علي ابن المديني فإليه المنتهى في معرفة علل الحديث النبوي، مع كمال المعرفة بنقد الرجال، وسعة الحفظ والتبحر في هذا الشأن، بل لعله فرد زمانه في معناه»(٢).

كما أن الناظر في ثبت أسماء مصنفاته، يجد أن أكثرها لها علاقة بعلم العلل، بل أكاد أجزم أنه تحتوي على علم العلل في طيات صفحاتها، فللّه در هذا الإمام الذي سلك طرقاً لم تكن مسلوكة، وفتح أبواباً لم تكن قبله مفتوحة، ورحم الله الإمام النووي حين قال واصفاً كتب علي ابن المديني ومصنفاته:

«كان أحد أعلام الأئمة المبرزين في الحديث، صنف فيه مائتي مصنف، لم يسبق إلى معظمها، ولم يلحق في كثير منها»(٣).

وقد احتوت هذه المصنفات على علوم جمة، وفوائد ضخمة من علوم الحديث وعلم العلل، ونقد الأحاديث وتمييزها:

---

(١) شرح علل الترمذي (ص ١٤٣).

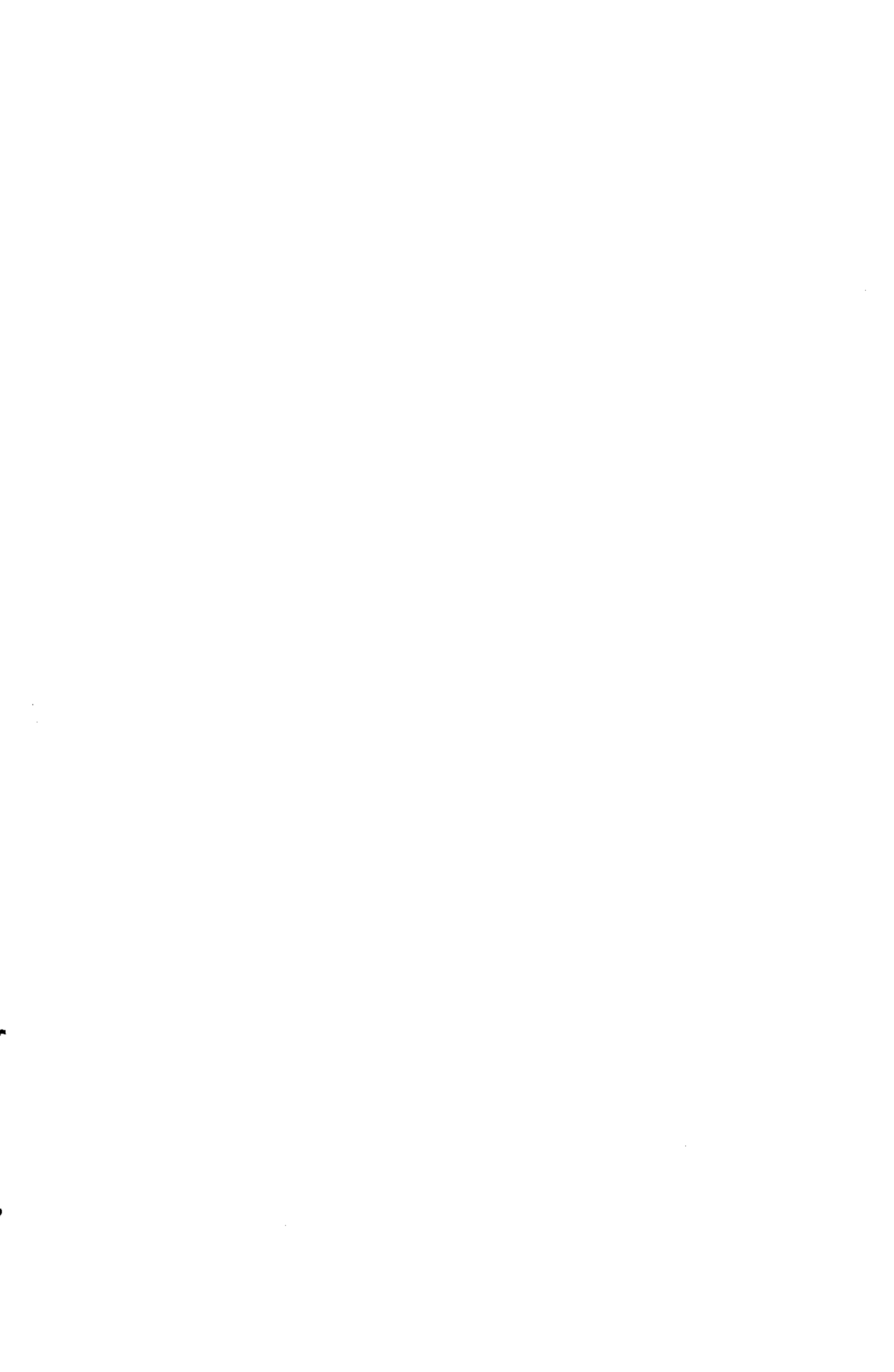
(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ١٤١).

(٣) تهذيب الأسماء واللغات (١/ ٣٥٠)، تهذيب التهذيب (٧/ ٣٥٧).

يقول الخطيب البغدادي رحمه الله:

«وجميع هذه الكتب قد انقرضت، ولم نقف على شيء منها، إلا على أربعة أو خمسة فحسب، ولعمري أن في انقراضها ذهاب علوم جمة، وانقطاع فوائد ضخمة، وكان علي ابن المديني فيلسوف هذه الصنعة وطبيبها، ولسان طائفة الحديث وخطيبها، رحمة الله عليه، وأكرم مثواه لديه»[1].

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) النص (١٩١٥).



الفصل الثاني

علي ابن المديني وعلم مصطلح الحديث

بالإضافة إلى كل ما سبق ذكره عرفنا أثر الإمام علي بن المديني رحمه الله ـ الواضح في خدمة السنة النبوية، فقد أثر علي ابن المديني في نشأة علم ـ مصطلح الحديث ـ تأثيراً واضحاً كبيراً.

إذ روي عنه الكثير من المواد والأقوال في هذا العلم، الذي جمعه المحدثون فيما بعد وكونوا من خلال أقوال إمامنا وأقوال غيره من الأئمة من السلف، ودونوها واصطلحوا على تسميتها: بمصطلح الحديث، ليكون علماً على العلم: الذي تعرف به حقيقة الرواية وشروطها وأنواعها وأحكامها، وأحوال الرواة وشروطهم، وأصناف المرويات وما يتعلق بها.

وسأتحدث فيما يلي عن أهم ما روي عنه من مواد هذا العلم، بذكر العنوان ثم النصوص المروية عنه ـ رحمه الله ـ لنرى من خلالها الأثر البارز له في هذا العلم، وتمهيد مسالكه الصعبة، وتذليل الطريق أمام من جاء بعده من أهل العلم، فرحمه الله وجزاه عن العلم وأهله خيراً.

أولاً: قواعد في مصطلح الحديث:

١ ـ أصح الأسانيد عنده:

ـ قال علي ابن المديني: «أصحها محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي»[1].

ـ وقال علي ابن المديني: «من أصح الأسانيد حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه »[2].

٢ ـ أهمية الإسناد في الحديث:

ـ قال ابن المديني: قال أبو سعيد الحداد: «الإسناد مثل الدرج ومثل المراقي، فإذا زلّت رجلك عن المرقاة سقطت»[3].

ويروي عن شيخ من شيوخه أيضاً في أهمية الإسناد ويقره عليه بسكوته عنه:

ـ قال علي ابن المديني: قال يحيى: قال هشام بن عروة: «إذا حدثك رجل بحديث فقل عمن هو؟ وممن سمعته؟ فإن الرجل يحدث عن آخر دونه». قال يحيى: «فعجبت من فطنته»[4].

---

(١) الباعث الحثيث (ص ٢٢)، مقدمة ابن الصلاح (ص ١٢).
(٢) النكت على مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٥٤)، الكفاية في علم الرواية (ص ٣٩٨).
(٣) شرح علل الترمذي (ص ٣٦١)، الكفاية (ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣).
(٤) شرح علل الترمذي (ص ٣٦١).

٣ ـ رأيه في الإسناد النازل:

ـ عن إسماعيل بن إسحاق قال: سمعت علي ابن المديني يقول: «النزول شؤم»[١].

٤ ـ موقفه من الإسناد المعنعن:

كان علي ابن المديني رحمه الله يشترط في الإسناد المتصل: أن تحصل اللقيا بين الرواة، وثبوت السماع.

وهذا الذي ذهب إليه علي ابن المديني رحمه الله هو ما ذهب إليه البخاري رحمه الله، وجمهور المتقدمين من العلماء.

بل وحكي عن أبي المظفر السمعاني: أنه اعتبر لاتصال الإسناد اللقي، وطول الصحبة، وعن أبي عمرو الداني: أن يكون معروفاً بالرواية عنه.

وهذا أشد من شرط البخاري وشيخه، الذي أنكره مسلم، وما قاله ابن المديني والبخاري هو مقتضى كلام أحمد وأبي زرعة وأبي حاتم وغيرهم من أعيان الحفاظ، بل كلامهم يدل على اشتراط ثبوت السماع[٢].

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١٢٣) النص (١١٩)، مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٣٨).

(٢) في المسألة تفصيل كثير انظر: شرح العلل لابن رجب (٢/ ٥٨٩ ـ ٥٩١)، النكت على مقدمة ابن الصلاح (٢/ ٥٩٥)، وهناك فصل نفيس أعده شيخنا العلامة عبد الفتاح أبو غدة حفظه الله في تعليقه المفيد على=

وقد رد الإمام مسلم هذا المذهب في مقدمة صحيحه بكلمات قاسية تبدو شديدة خشنة جافية، ويستغرب من الإمام مسلم المحدث والمستن بسنة النبي ﷺ أن يقول هذه العبارات في حق شيخه ابن المديني، أو شيخه البخاري رحمة الله تعالى عليهم أجمعين.

٥ ـ التشدد في السماع أثناء الكتابة:

ـ قال علي ابن المديني: «كنا عند جرير فجعلنا نتشدد في شيء من السماع، فقال: أنتم أفقه من ابن المبارك لقد كنت أقرأ عليه، وما ينظر في الكتاب وهو ينسخ شيئاً آخر»[١].

٦ ـ ترك الاحتجاج بمن عرف بالتساهل في سماع الحديث:

ـ قال علي ابن المديني: «قال لي ابن وهب: هات كتاب عمرو بن الحارث حتى أقرأه عليك، فتركته على عمد عين، كان رديء الأخذ»[٢].

٧ ـ متى يُترك الرجل عند علي:

ـ عن يعقوب بن شيبة أنه قال: «أن علي ابن المديني لا يترك حديث رجل حتى يجتمع على تركه ابن مهدي ويحيى القطان، فإن حدث عنه أحدهما وتركه الآخر حدث عنه»[٣].

= كتاب (الموقظة) (ص ١١٥ ـ ١٤٠) فانظره.

(١) الكفاية في علم الرواية (ص ٦٧).

(٢) الكفاية في علم الرواية (ص ١٥١ ـ ١٥٢).

(٣) شرح علل الترمذي (ص ٩٢ ـ ٩٣).

- قال ابن رجب: «يترك حديث طبقة ممن هم أهل صدق وحفظ، ولكن يقع الوهم في حديثهم كثيراً، لكن ليس هو الغالب عليهم، وهم الذين تركهم يحيى بن سعيد القطان، ويميل إلى ذلك ابن المديني وصاحبه البخاري»[1].

- قال علي ابن المديني: «ما رأيت أعلم بالرجال من يحيى القطان، ولا رأيت أعلم بصواب الحديث والخطأ من ابن مهدي، فإذا اجتمعا على ترك رجل تركته، وإذا أخذ عنه أحدهما حدثت عنه»[2].

- «كان ابن المهدي لا يترك حديث رجل إلا رجلاً متهماً بالكذب، أو رجلاً الغالب عليه الغلط»[3].

٨ - مذهبه في الرواية عن أهل البدع:

- قال علي ابن المديني: «لو تركت أهل البصرة للقدر، وتركت أهل الكوفة للتشيع لخربت الكتب»[4].

٩ - متى ترتفع جهالة الرجل عن علي ابن المديني:

يرى علي ابن المديني أن الرجل إذا اشتهر بين العلماء، وكثر حديثه ونحو ذلك، تزول الجهالة عنه، ولا عبرة بمجرد رواية الجماعة من الناس عنه لتزول عنه الجهالة:

---

(١) شرح علل الترمذي (ص ٩٢).
(٢) تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٧).
(٣) الكفاية في علم الرواية (ص ٢٢٧).
(٤) شرح علل الترمذي (ص ٦٤).

ـ فهو يقول عمن روى عنه يحيـى بن أبي كثير وزيد بن أسلم معاً: إنه مجهول.

ويقول: فيمن يروي عنه شعبة وحده أنه مجهول.

وقال: فيمن يروي عنه ابن المبارك ووكيع وعاصم هو معروف.

وقال: فيمن يروي عنه عبد الحميد بن جعفر وابن لهيعة: ليس بالمشهور.

وقال: فيمن يروي عنه ابن وهب وابن المبارك: معروف.

وقال: فيمن يروي عنه المقبري وزيد بن أسلم: معروف.

وقال في يسيع الحضرمي: معروف، وقال مرة أخرى: مجهول. روى عنه ذر وحده.

وقال: فيمن روى عنه مالك وابن عيينة: معروف.

وقد قسم المجهولين من شيوخ أبي إسحاق إلى طبقات متعددة.

وقال في داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص: «ليس بالمشهور، مع أنه روى عنه جماعة»[1].

ومن هذا يتبين أن العبرة عند علي ابن المديني رحمه الله لزوال الجهالة عن الرواة ليست بتعدد الرواة عن الرجل، وإنما العبرة بالشهرة ورواية الحفاظ الثقات.

(١) شرح علل الترمذي (ص ٨٠ ـ ٨١).

١٠ ـ الكتابة عن الضعفاء للمعرفة:

ـ عن أبي غسان الكوفي قال: «جاءني علي ابن المديني وكتب عني أحاديث إسحاق بن أبي فروة من حديث عبد السلام ابن حرب، فقلت: ما تصنع بكتاب هذه؟ قال: نعرفها، لا تقلب علينا»[١].

١١ ـ مذهبه في رواية أهل الصلاح مع سوء حفظهم وكثرة غفلتهم:

ـ قال أبو قلابة، عن علي ابن المديني، سئل يحيى بن سعيد عن مالك بن دينار، ومحمد بن واسع، وحسان بن أبي سنان، فقال:

«ما رأيت الصالحين أكذب منهم في الحديث، لأنهم يكتبون عن كل من يلقون لا تمييز لهم فيه»[٢].

١٢ ـ عدم الاحتجاج بحديث غير الحفاظ المتقنين:

ـ مال علي ابن المديني وصاحبه الإمام البخاري إلى رأي يحيى بن سعيد في عدم الاحتجاج بحديث غير الحفاظ المتقنين[٣].

١٣ ـ الاحتجاج برواية المدلس الثقة إذا صرح بالسماع:

ـ الذي استقر عليه عمل الأكثرين الاحتجاج بما رواه

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٩٢) النص (١٥٧١).
(٢) شرح علل الترمذي (١/ ٣٨٩).
(٣) شرح علل الترمذي (١/ ٣٩٨).

المدلس الثقة بلفظ صريح في السماع، بهذا أجاب علي ابن المديني رحمه الله[1].

١٤ ـ موقفه من الحديث المرسل:

ـ قال علي ابن المديني: «ليس ينبغي لأحد أن يكذب بالحديث إذا جاءه عن النبي ﷺ، وإن كان مرسلاً فإن جماعة كانوا يدفعون حديث الزهري قال: قال رسول الله ﷺ: (من احتجم في يوم السبت أو الأربعاء فأصابه وضح فلا يلومن إلا نفسه). فكانوا يفعلونه فبُلُوا، منهم عثمان البتي فأصابه الوضح، ومنهم عبد الوارث ـ يعني ابن سعيد التنوري ـ فأصابه الوضح، ومنهم أبو داود فأصابه الوضح، ومنهم عبد الرحمن فأصابه بلاء شديد»[2].

١٥ ـ مذهبه في الحديث المعضل:

ـ قال علي ابن المديني فمن بعده من أئمتنا: «أن المعضل من الروايات أن يكون بين المرسل إلى رسول الله ﷺ أكثر من رجل وأنه غير المرسل، فإن المراسيل للتابعين دون غيرهم»[3].

١٦ ـ رأي في صفة رواية الحديث وشرط أدائه:

فتحت باب في المحدث، يروي حديثاً عن شيخ ينسبه فيه، ثم يروي بعده عن ذلك الشيخ أحاديث يسميه فيها فلا ينسبه.

---

(١) جامع التحصيل (ص ١١٤).

(٢) معرفة الرجال (٢/ ١٩٠) النص (٦٢٨).

(٣) معرفة علوم الحديث (ص ٣٦)، النكت على مقدمة ابن الصلاح (٢/ ٥٨٠).

أجاز أكثر أهل العلم ذلك منهم من قال الأولى أن يقول إذا أراد أن ينسب الشيخ (يعني ابن فلان) وممن ذهب إليه أحمد بن حنبل وعلي ابن المديني.

- عن علي ابن المديني قال: «إذا حدثك الرجل فقال: ثنا فلان ولم ينسبه، فأحببت أن تنسبه فقل: «حدثنا فلان أن فلان بن فلان حدثه» والله أعلم»[1].

١٧ - رأي في المدنيين الذين لم يرو عنهم مالك:

- قال علي ابن المديني: «كل مدني لم يحدث عنه مالك ففي حديثه شيء»[2].

وهذا القول على إطلاقه فيه نظر، فإن مالكاً لم يحدث عن سعد بن إبراهيم وهو ثقة جليل متفق عليه.

١٨ - الحديث الحسن عند علي ابن المديني:

يعتبر علي ابن المديني رحمه الله من أوائل من أطلق الحُسن على الأحاديث، قبل أن يستعمل الترمذي رحمه الله هذا المصطلح.

- قال الإمام ابن حجر: «وأما علي ابن المديني فقد أكثر من وصف الأحاديث بالصحة والحسن في مسنده وفي علله، فظاهر عبارته قصد المعنى الاصطلاحي وكأنه الإمام السابق لهذا المصطلح، وعنه أخذ البخاري ويعقوب بن شيبة وغير واحد،

(١) مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٠٢)، الكفاية في علم الرواية (ص ٢١٥).
(٢) شرح علل الترمذي (ص ٤٠٢).

وعن البخاري أخذ الترمذي»[1].

ومن أمثلة ذلك:

- قال ابن المديني في كتاب العلل: «عقب حديث ابن عمر: «إني ممسك بحجزكم عن النار»: هذا حديث حسن الإسناد»[2].

١٩ - التصحيف من وجهة نظر علي ابن المديني:

- قال الحافظ علي ابن المديني: «أشد التصحيف، التصحيف في الأسماء»[3].

٢٠ - طرق التحمل في الرواية:

- في حالة الشك في شيء عند المحدث أنه من قبيل «حدثنا أو أخبرنا» أو من قبيل «حدثني أو أخبرني» لتردده في أنه كان عند التحمل والسماع وحده، أو مع غيره فيحتمل أن نقول: «حدثني أو أخبرني» لأن عدم غيره هو الأصل:

- ذكر علي بن عبد الله المديني الإمام عن شيخه يحيى بن سعيد القطان الإمام فيما إذا شك أن الشيخ قال: «حدثني فلان» أو قال: «حدثنا فلان» أنه يقول حدثنا»[4].

٢١ - في كتابة الحديث وكيفية ضبط الكتاب وتقييده:

---

(١) النكت على مقدمة ابن الصلاح (١/ ٤٢٦).
(٢) العلل ومعرفة الرجال (ص ١٠٢).
(٣) تصحيفات المحدثين (١/ ١٧).
(٤) مقدمة ابن الصلاح (ص ١٢٧).

فرع: المحافظة على كتابة الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ عند ذكره.

ـ قال علي ابن المديني وعباس بن عبد العظيم العنبري قالا: «ما تركنا الصلاة على رسول الله ﷺ في كل حديث سمعناه، وربما عجلنا فنبيض الكتاب في كل حديث حتى نرجع إليه»[1].

تبييض الكتاب: ترك موضع الصلاة بياضاً ثم يعاد إلى كتابتها بعد الفراغ.

٢٢ ـ معرفة آداب طالب الحديث:

من خلال الاستقراء للأقوال التي ينقلها علي ابن المديني عن شيوخه، نجد أن علي ابن المديني إما يسكت فيكون مقراً لما نقل، أو معارضاً فيبين وجهة نظره دون وجل، أو مستوضحاً عن أمر من الأمور فإذا تبين له الوجه فيه فإما يقره أو يعارضه.

ومن الآداب التي نقلها وأقرها: التبكير إلى مجالس الحديث وإلى رؤية الشيوخ:

ـ عن أحمد بن يحيى بن الجارود قال: قال علي ابن المديني: «أن شريكاً قال: صليت مع أبي إسحاق ألف غداة»[2].

ـ عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، نا علي بن

(١) المقدمة لابن الصلاح (ص ١٦٧).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١٥٠) النص (١٩٠).

عبد الله بن جعفر المديني قال: «سمعت يحيى بن سعيد القطان ـ وذكروا طلب الحديث ـ فقال: كنت أخرج من البيت قبل الغداة، فلا أرجع إلى العتمة»(١).

٢٣ ـ معرفة مدارس الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:

ـ عن علي ابن المديني قال: «لم يكن من أصحاب النبي ﷺ أحد له أصحاب يقومون بقوله في الفقه إلا ثلاثة: عبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وابن عباس رضي الله عنهم، كان لكل رجل منهم أصحاب يقومون بقوله ويفتون الناس»(٢).

ثانياً ـ قضايا متفرقة في المصطلح:

١ ـ التحديث من كتاب:

ـ عن يحيى بن محمد بن يحيى قال: سمعت علي ابن المديني يقول: «عهدي بأصحابنا وأحفظهم أحمد بن حنبل ـ فلما احتاج أن يحدث، لا يكاد يحدث إلا من كتاب»(٣).

ـ عن الحسين بن الحسن الرازي قال: سمعت علي ابن المديني يقول: «ليس في أصحابنا أحفظ من أبي عبد الله أحمد بن حنبل، وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتاب، ولنا فيه أسوة»(٤).

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ١٥٠ ـ ١٥١) النص (١٩٢).
(٢) مقدمة ابن الصلاح (ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٢) النص (١٠٣١).
(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٢) النص (١٠٣٠).

- عن سهل بن المتوكل البخاري قال: سمعت علي ابن المديني يقول: «قال لي سيدي أحمد بن حنبل لا تحدثني إلا من كتاب»[1].

٢ - رأي في أصناف الكذابين:

- عن أبي قلابة قال: سمعت علي ابن المديني يقول: «أكذب الناس ثلاثة: القصاص، والسُّؤَّال، والوجوه، قلت: فما بال الوجوه؟ قال: يكذبون في مجالسهم ولا يُرَدُّ عليهم»[2].

٣ - الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ:

- عن ابن سنان قال: سمعت عباساً العنبري، وعلي ابن المديني يقولان: «ما تركنا الصلاة على النبي ﷺ في كل حديث سمعناه، وربما عجلنا فنبيض الكتاب في كل حديث حتى نرجع إليه»[3].

٤ - رسم علامة على ما ينتخب من الأحاديث:

- عن محمد بن إسحاق السراج أبو العباس قال: نا قتيبة، نا الليث، عن أبي الزبير، عن أبي الطفيل، عن معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ بمثله.

قال أبو العباس السراج: «رأيت على هذا الحديث في كتاب قتيبة ست علامات، منها علامة أحمد بن حنبل،

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٢) النص (١٠٣٢).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٦٥) النص (١٥٠١).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٧٢) النص (٥٦٨).

ويحيى بن معين، وعلي ابن المديني، وأبي بكر بن أبي شيبة، وغيرهم»[1].

٥ ـ السماع للاستيعاب وليس للانتخاب:

ـ عن أحمد بن محمد العثري قال: سمعت عثمان بن سعيد يقول: سمعت علي ابن المديني يقول: «سمعنا مصنفات وكيع، وأخرج الزيادات بعد فخرجنا إلى الكوفة، فجعلنا نتتبع تلك الزيادات، ويحيى بن معين يكتب على الوجه، لئلا يسقط عليه حديث»[2].

٦ ـ الإكثار من الرواية وكتابة الأحاديث:

ـ عن محمد بن إسحاق السراج قال: سمعت محمد ابن يونس يقول: سمعت علي ابن المديني يقول: «تركت من حديثي مائة ألف حديث، فيها ثلاثون ألفاً لعباد بن صهيب»[3].

٧ ـ كتابة الأحاديث المعادة والحث على فقه معاني الأحاديث:

ـ عن محمد بن إسماعيل البخاري قال: سمعت علي ابن المديني يقول: «التفقه في معاد الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم»[4].

٨ ـ الصبر على البحث والتنقيب عن علل الأحاديث:

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٥٨) النص (١٤٨٠).
(٢) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٨٨) النص (١٥٦٩).
(٣) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٧٦) النص (١٥٣١).
(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢١١)، المحدث الفاصل(ص ٣٢٠).

من الأحاديث ما تخفى علته، فلا يوقف عليها إلا بعد النظر الشديد، ومضي الزمن.

- عن أبي علي صالح بن محمد البغدادي قال: سمعت علي ابن المديني يقول: «ربما أدركت علة حديث بعد أربعين سنة»[1].

٩ - رأي في السن الذي إذا بلغه الطالب صلح لطلب العلم وتحمله:

- قال علي ابن المديني: «حفظ المسور بن مخرمة وهو ابن ثمان سنين، وقال: حفظ عمر بن أبي سلمة عن النبي ﷺ وهو ابن سبع سنين، وكذلك السائب بن يزيد، وكذلك سهل بن أبي حثمة، وثابت بن الضحاك الأشهلي، هؤلاء أبناء ثمان سنين، فأما عبد الله بن حنظلة الراهب فإن الرسول ﷺ توفي وهو ابن سبع سنين وله رواية»[2].

١٠ - معرفته بأول من فتش عن الرجال وانتقدهم:

- قال يعقوب: سمعت علي ابن المديني يقول: «كان ممن ينظر في الحديث ويفتش عن الإسناد، ولا نعلم أحداً أول منه: محمد بن سيرين، ثم كان أيوب السختياني، وابن عون، ثم كان شعبة، ثم كان يحيـى بن سعيد وعبد الرحمن.

قلت لعلي: فمالك بن أنس؟

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٥٧) النص (١٧٧٨).

(٢) المحدث الفاصل بين الراوي والواعي (ص ١٩٠).

فقال: أخبرني سفيان بن عيينة قال: ما كان أشد انتقاد مالك للرجال»[1].

١١ ـ طريقة في الاستعانة على صعوبة علم الحديث:

ـ عن يعقوب بن أسد قال: سمعت علي ابن المديني يقول: «إذا ذهبت تغلب هذا الأمر ـ يعني الحديث ـ يغلبك، فاستعن عليه، بأظن، وأرى»[2].

١٢ ـ وجوب تأدية الحديث على الصواب وإن كان المحدث قد لحن فيه:

ـ قال علي ابن المديني ـ ذكر وكيعاً واللحن ـ فقال: «كان وكيع يلحن، ولو حدثت عنه بألفاظه، لكانت عجباً، كان يقول: حثنا مسعر عن عيشة»[3].

١٣ ـ رأي في الطائفة المنصورة:

ـ عن أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري قال: كنا ثلاثة أو أربعة على باب علي بن عبد الله فقال:

«إني لأرجو أن تأويل هذا الحديث (عن النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي على الحق، لا يضرهم من خذلهم أو من خالفهم)، وإني لأرجو أن تأويل هذا الحديث أنتم، لأن التجار قد شغلوا أنفسهم بالتجارات، وأهل الصنعة قد شغلوا أنفسهم

---

(١) شرح علل الترمذي (ص ٦٣).
(٢) الكامل (١/ ١٥٤).
(٣) الكفاية في علم الرواية (ص ١٩٧).

بالصناعات، والملوك قد شغلوا أنفسهم بالمملكة، وأنتم تحيون سنة النبي ﷺ»[1].

١٤ ـ وسائل الترجيح في الإسناد:

أ ـ اعتبار مكان الرواية وأثبت التلاميذ عن شيوخهم:

ـ قال علي ابن المديني: «أيهما ترون أثبت، عروة أو إبراهيم في الأسود ـ أي الأسود بن يزيد النخعي ـ؟

ثم أجاب ابن المديني نفسه فقال: أهل الحجاز أثبت».

وقال البيهقي: يريد علي: رواية عروة وأمثاله من أهل الحجاز، أصح من رواية أهل الكوفة[2].

ب ـ ميزان الترجيح بالفقه والعلم:

ـ قال علي ابن المديني: «سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول: ليس أحد أحب إليّ، من شعبة، ولا يعدله أحد عندي، وإذا خالفه سفيان أخذت بقول سفيان»[3].

---

(١) شرف أصحاب الحديث (ص ٥٢) حديث رقم (١٠٧).
(٢) السنن الكبرى للبيهقي (٧/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥).
(٣) الجرح والتعديل (١/ ٦٣)، المدخل إلى السنن (ص ٩٧).



الفَصل الثالث

نَمَاذِجُ مِنْ نَقْدِهِ الحَدِيْثَ وَمَرويَّاتُهُ

١ ـ نماذج من نقده الحديثي:

لقد اشتهر علي ابن المديني رحمه الله كرجل متخصص في علم العلل، واختلاف الحديث، ومن خلال البحث في شخصيته كرجل ناقد متخصص في هذا الباب، عرفنا قدرته الفائقة على النقد الحديثي، ساعده في ذلك معرفة واسعة، واطلاع واسع على المدارس الحديثية، ومن يدور عليهم الإسناد، كل هذا أعطاه دقة في الأحكام التي يصدرها على الأحاديث، ومن أجل توضيح هذا بالأمثلة أحببت أن أعرض بعض النماذج فيما يلي:

١ ـ روى الإمام علي ابن المديني في مسنده: عن سفيان بن عيينة، وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، ويزيد بن هارون، كلهم عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن علقمة بن وقاص الليثي قال: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(إنما الأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ـ عز وجل ـ فهجرته إلى ما هاجر إليه، ومن كانت

هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه).

ـ قال علي: «هذا حديث صحيح جامع، وهو أصح حديث روي عن عمر مرفوعاً، ولا نرويه من وجه من الوجوه، إلا من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري»[1].

٢ ـ قال علي ابن المديني: «حدثنا بهذا الحديث أصحابنا، عن محمد بن عبد الوهاب الكوفي ـ وكان رجلاً صالحاً ثقة ـ عن مسعر، عن إسماعيل، عن يحيى بن طلحة، عن سعدى بنت عوف المُرية امرأة طلحة، عن طلحة، عن عمر أنه قال له:

«ما لي أراك قد شعثت واغبررت منذ توفي رسول الله ﷺ، لعلك ساءك يا طلحة إمارة ابن عمك؟

قال: معاذ الله، إني لأحذركم أن لا أفعل، إني سمعت نبي الله ﷺ يقول:

(إني لأعلم كلمة لا يقولها رجل عند حضرة الموت، إلا وجد روحه لها رَوحاً حين تخرج من جسده، وكانت له نوراً يوم القيامة) فلم أسأل رسول الله ﷺ عنها، ولا أخبرني بها فذلك

---

(١) مسند الفاروق لابن كثير (١/١٠٧).
والحديث أخرجه البخاري في صحيحه (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٣٥)، مسلم برقم (١٩٠٧)، أبو داود (٢٢٠١)، الترمذي (١٦٤٧)، النسائي (١/٥٨، ٦٠)، ابن ماجه (٤٢٢٧)، وأحمد (١/٢٥، ٤٣)، الحميدي (٢٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٨٣٧) من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري به.

الذي دخلني، فقال عمر: فأنا أعلمها، فقال: فللّه الحمد، قال: فما هي؟ قال: هي الكلمة التي قالها لعمه: «لا إلّه إلا الله» قال: صدقت.

قال علي: ورواه عن شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن رجل، عن سعدى، امرأة طلحة، عن طلحة أن عمر مر به... فذكر نحوه.

- قال: وكذا حدثناه يحيى، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي به.

- قال: وحدثناه محمد بن عبيد، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن رجل عن الشعبي وأرسله.

- قال علي: وإنما أراد محمد، عن الشعبي، عن رجل، فقال: عن رجل، عن الشعبي، لأن يحيى من أثبت من روى عن ابن أبي خالد، وكان يتتبع السماع من الفقهاء، ويشده رواية شعبة أيضاً كذلك.

- ثم رواه علي، عن المعلى الرازي ومحمد بن الهيثم كلاهما عن مطرف، عن الشعبي، عن يحيى بن طلحة، عن طلحة، قال: مر بي عمر... فذكره.

- ورواه عن جرير بن عبد الحميد، عن مطرف، عن عامر، عن ابن لطلحة، أن عمر مر على طلحة فذكره»[1].

---

(١) مسند الفاروق لابن كثير (١/ ٢٢٦).

وقد أخرجه أحمد (١/ ٢٨، ٦٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة =

٣ ـ روى علي ابن المديني، عن يحيـى بن سعيد القطان، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ: «أنه سأله أنه نذر أن يعتكف يوماً، فقال النبي ﷺ:

(أوف بنذرك).

قال علي: وعن سفيان بن عيينة، عن أيوب، عن نافع عنه، وحدثناه حفص بن غياث، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، عن عمر به.

قال علي: ولم أسمعه عن عمر إلا من هذا الوجه، فإن كان حفص حفظه فهو من مسند عمر، وإلا فإن يحيـى قد خالفه، هكذا قال»[1].

٤ ـ قال علي ابن المديني: حدثنا يحيـى بن سعيد، حدثنا حسين المعلم، حدثنا عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(ما أحرز الوالد أو الولد فهو لعصبته من كان).

قال علي: «هذا من صحيح ما يروي عن عمرو بن شعيب،

= (١١٠٩) وإسناد الحديث صحيح. ولمزيد من التخريج انظر مسند أبي يعلى رقم (٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٥٥).

(١) مسند الفاروق (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩).

وقد أخرجه البخاري (٢٠٣٢)، مسلم (١٦٥٦)، أبو داود (٣٣٢٥)، الترمذي (١٥٣٩)، النسائي (٧/ ٢٢)، ابن ماجه (٢١٢٩)، أحمد في المسند (١/ ٣٧) جميعاً من طرق عن عبيد الله بن عبد الله به.

ورواه حسين المعلم، وهو حديث فيه كلام كثير ولست أحفظ الكلام كله، وإنما هذا مختصر منه.

قال: وإنما صار هذا الحديث عندي متصل الإسناد، لأن هذه القصة كانت فيهم، خاصم فيها عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، وحدث بها عن النبي ﷺ.

وهو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، وإنما روى هذه الأحاديث عن عبد الله بن عمرو، ولم يرو محمد بن عبد الله بن عمرو عن أبيه شيئاً، وليس يحفظ في هذا الوجه وغيره»[1].

٥ ـ قال علي ابن المديني: حدثنا جرير بن عبد الحميد، وعن وهب بن جرير، عن أبيه، كلاهما عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة قال:

«خطب عمر بن الخطاب الناس بالجابية، فقال: إن رسول الله ﷺ قام في مثل مقامي هذا فقال:

(أحسنوا إلى أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل على اليمين قبل أن يستحلف، ويشهد على الشهادة قبل أن يستشهد عليها، فمن أحبَّ أن ينال منكم بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ألا لا يخلون رجل بامرأة،

---
(١) مسند الفاروق (١/ ٣٧٠).

فإن ثالثهما الشيطان، ألا ومن كان منكم تسوؤه سيئته وتسره حسنته فهو مؤمن).

قال علي: وخالفهما زائدة ومعمر فروياه عن عبد الملك بن عمير، عن رجل، عن ابن الزبير.

ورواه ابن عيينة عن عبد الملك بن عمير مرسلاً.

ـ ثم ساقه علي من هذه الطرق ولم يحكم فيه بشيء ـ ولكن قال: قلت لسفيان فيه، فقال: حدثنا ابن أبي لبيد، عن ابن سلمان بن يسار، عن أبيه، أن عمر خطب، فلما حفظته من ابن أبي لبيد لم أهتم بحديث عبد الملك بن عمير.

قال علي: ووجدناه في كتاب ابن أبي شيبة عن شيخ ضعيف الحديث، فقال: يحيى بن يعلى التيمي جعله عن عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر، وليس هذا عندنا بمحفوظ، لأنه لم يقله أحد من الحفاظ، وإنما كتبناه ليعرف»[1].

٦ ـ قال علي: في حديث سعد عن النبي ﷺ: (من يرد هوان قريش يهنه الله).

---

(١) مسند الفاروق (٢/ ٥٥٤).

وقد أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٦)، الطيالسي رقم (٧)، ابن ماجه (٢٣٦٣)، النسائي كما في تحفة الأشراف (٨/ ١٥)، وأبو يعلى في مسنده (١٤١، ١٤٢، ١٤٣) جميعاً عن عبد الملك بن عمير، وأما طريق ابن أبي لبيد فقد أخرجه الحميدي برقم (٣٢).

فهذا حديث مدني في إسناده رجلان لا أعلم أحداً، روى عنهما شيئاً من العلم.

حدثناه يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن محمد بن أبي سفيان، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من يهن قريشاً يهنه الله).

فترك يعقوب بن إبراهيم أحد الرجلين اللذين وصفنا أنه لا يروى عنهما، فسمى محمد بن أبي سفيان وترك الآخر.

وعن محمد بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: (من يرد هوان قريش يهنه الله) فسمى أبو أيوب الهاشمي الرجل الذي لم يسمه يعقوب بن إبراهيم بن سعد، وهو يوسف أبو الحجاج بن يوسف»[(١)].

٧ ـ قال علي: في حديث ابن مسعود: «أن النبي ﷺ كان لا يجلس إلا بمقدار ما يقول: (اللهم أنت السلام...)».

رواه عاصم الأحول عن رجل يقال له عوسجة بن الرماح، ولا نعلم أحداً روى عن عوسجة هذا إلا عاصم الأحول، وما أظنه إلا كذاباً لأنه يروي عن ابن أبي الهذيل، وابن أبي الهذيل كوفي من أصحاب عبد الله، واسمه عبد الله بن أبي الهذيل، ويكنى أبا المغيرة، ولا أحفظ هذا عن عبد الله بن

---

(١) العلل ومعرفة الرجال (ص ١٢١)، والحديث المشار إليه أخرجه أحمد في المسند (١/ ١٧١، ٦٤، ١٧٦، ١٨٣).

مسعـود إلا مـن هـذا الطـريـق، وقـد روي عـن عـائشـة عـن النبي ﷺ»[1].

٨ ـ قال علي: في حديث ابن مسعود في ليلة الجن، رواه غير واحد عن عبد الله، منهم: علقمة، وأبو عثمان النهدي، وعمرو البكائي، وأبو عثمان بن سَنَّة الخزاعي، وأبو زيد مولى عمرو بن حريث.

فأما علقمة: فكان منكراً أن يكون ابن مسعود معه ليلة الجن، وكان أعلمهم بعبد الله.

وأما أبو عثمان النهدي، فرواه التيمي عن أبي عثمان، ولم يرفعه، ورواه أبو تميمة المسعى عن أبي عثمان عن عبد الله، ورواه عن جعفر بن ميمون: يحيى، ورواه عن أبي تميمة عن أبي عثمان عن عبد الله، فكان عندي أنه أبو عثمان النهدي لرواية التيمي عن أبي عثمان عن ابن مسعود بعض الحديث.

ورواه سليمان التيمي من طريق آخر عن أبي تميمة عن عمرو البكائي أنه رواه على غير لفظ أبي عثمان.

ورواه ابن شهاب عن أبي عثمان بن سنة الخزاعي عن ابن مسعود، وبلفظ غير لفظ عمرو البكائي.

ورواه سفيان عن أبي فزارة عن أبي زيد مولى عمرو بن حريث عن عبد الله بن مسعود، فخفت أن لا يكون أبو زيد سمعه من عبد الله لأني لم أعرفه ولم أعرف لقبه، فرواه شريك عن

(١) العلل ومعرفة الرجال (ص ١٢٤).

أبي فزارة، عن أبي زيد قال: حدثنا عبد الله بن مسعود فجوده بقوله: حدثنا عبد الله بن مسعود»[1].

٩ ـ قال علي: حديث سليمان في «الغسل يوم الجمعة» رواه ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري: أخبرني أبي عن عبد الله ابن وديعة عن سلمان، وقد خالف ابن أبي ذئب ابن عجلان، فرواه عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن وديعة، عن أبي ذر.

والحديث عندي حديث سلمان، لأنه رواه عن ابن أبي معشر، عن سعيد المقبري عن ابن وديعة عن سلمان ولم يقل عن أبيه، وتابع ابن أبي ذئب، ورواه منصور ومغيرة عن إبراهيم عن علقمة، عن القرين عن سلمان»[2].

١٠ ـ قال علي: وحديث أبي هريرة: «أن النبي ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إلّه إلا الله».

قال: رواه صالح عن ابن شهاب عن ابن المسيب عن أبي هريرة.

ورواه عقيل فخالفه صالح في إسناده، فرواه عن عبيد الله بن عبد الله عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب.

ورواه ابن عيينة عن أبي هريرة مرسلاً.

ورواه معمر عن الزهري عن عبيد الله مرسلاً.

(١) العلل ومعرفة الرجال (ص ١٢٥ ـ ١٢٧).
(٢) العلل ومعرفة الرجال (ص ١١٠ ـ ١١١).

وروواه سفيان بن حسين عن الزهري عن عبيد الله عن أبي هريرة.

وروواه عمران القطان فخالفهم جميعاً، فرواه عن معمر عن الزهري عن أنس عن أبي بكر»[1].

١١ ـ قال علي: حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: (لا يحرم من الرضاع: المصة والمصتان).

رواه يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه، عن ابن إسحاق، عن هشام بن عروة، عن أبيه عن عبد الله بن الزبير، عن الحجاج بن أبي الحجاج، عن أبي هريرة، وهذا غلط.

وروواه يحيى بن سعيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، عن النبي ﷺ.

وروواه هشام بن عروة عن أبيه، عن الحجاج بن أبي الحجاج، أنه قال للنبي ﷺ: ما يذهب عني مذمة الرضاع؟ قال: (غُرة عبد أو أمة).

وحديث ابن إسحاق عندهم خطأ، وأدخل حديثاً في حديث، والحديث عندي حديث هشام بن عروة عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير عن النبي ﷺ: (يحرم المصة والمصتان).

وحديث هشام بن عروة عن الحجاج بن أبي الحجاج أنه سأل النبي ﷺ: ما يذهب مذمة الرضاع؟

وعن هشام بن عروة عن الحجاج بن أبي الحجاج عن

(١) العلل ومعرفة الرجال (ص ٩٧ ـ ٩٨).

أبي هريرة: (الرضاع ما وثق الأمعاء) وقول أبي هريرة من حديث الثلاثة صحاح وحديث ابن إسحاق وهم[1].

٢ ـ نماذج من مروياته:

كان إمامنا علي ابن المديني رحمه الله ممن يفتخر أصحاب المصنفات الحديثية بإخراج ورواية أحاديثه، وكان مقصدهم من وراء ذلك رفع قيمة مصنفاتهم العلمية، لأن أحاديث علي ابن المديني رحمه الله كانت تتمتع بأعلى درجات الصحة، فنسبه كبيرة جداً من شيوخه الذين روى عنهم ممن اتفق أصحاب الكتب الستة على الاحتجاج بمروياتهم.

لهذا كله ولإمامة علي ابن المديني رحمه الله في علم الحديث والعلل، ولمعرفة شيخ المحدثين الإمام محمد بن إسماعيل البخاري بهذا كله، فقد شحن صحيحه بمجموعة كبيرة من الأحاديث التي رواها عنه، والتي زادت عن ثلاثمائة حديث، وهي كمية هائلة من الأحاديث التي يخرجها في صحيحه، عن شيخ من شيوخه الكثر، وفيما يلي سأورد ثبتاً بأسماء أصحاب المصنفات الذين أخرجوا حديثه في مصنفاتهم، وقبالة كل اسم من هذه الأسماء سأورد اسم الكتاب الذي رووا عنه فيه:

---

(١) العلل ومعرفة الرجال (ص ٩٩ ـ ١٠٠).

اسم المصنف	اسم الكتاب
١ ـ أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)	المسند، فضائل الصحابة
٢ ـ محمد بن سعد (ت ٢٥١ هـ)	الطبقات الكبرى
٣ ـ البخاري (ت ٢٥٦ هـ)	الصحيح، القراءة خلف الإمام رفع اليدين في الصلاة التاريخ الكبير، التاريخ الصغير خلق أفعال العباد
٤ ـ أبو يعقوب بن شيبة بن الصلت (ت ٢٦٢ هـ)	مسند عمر بن الخطاب
٥ ـ حماد بن إسحاق بن إسماعيل (ت ٢٦٧ هـ)	تركة النبي
٦ ـ أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥ هـ)	السنن
٧ ـ الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)	الجامع الصحيح، العلل الكبير
٨ ـ جعفر بن محمد الفريابي (ت٣٠١هـ)	فضائل القرآن
٩ ـ النسائي (ت ٣٠٣ هـ)	السنن الكبرى، المجتبى
١٠ ـ أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ)	المسند، المفاريد
١١ ـ ابن خزيمة (ت ٣١١ هـ)	الصحيح
١٢ ـ الباغندي (ت ٣١٢ هـ)	مسند عمر بن عبد العزيز
١٣ ـ محمد بن جعفر الخرائطي (ت٣٢٧هـ)	مكارم الأخلاق
١٤ ـ ابن حبان البستي (ت ٣٥٤ هـ)	الثقات، الصحيح، المجروحين
١٥ ـ الطبراني (ت ٣٦٠ هـ)	المعجم الكبير، المعجم الأوسط المعجم الصغير، الأوائل

١٦ ـ الرامهرمزي (ت ٣٦٠ هـ)	المحدث الفاصل بين الراوي والواعي
١٧ ـ ابن السني (ت ٣٦٤ هـ)	عمل اليوم والليلة
١٨ ـ أبو الشيخ الأصبهاني (ت ٣٦٩ هـ)	أخلاق النبي، التوبيخ والتنبيه
١٩ ـ الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ)	السنن، العلل، الرؤية
٢٠ ـ أبو أحمد الحاكم (ت ٣٧٨ هـ)	شعار أصحاب الحديث
٢١ ـ محمد بن إسحاق بن مندة (ت ٣٩٥ هـ)	الإيمان
٢٢ ـ أبو عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ)	المستدرك
٢٣ ـ أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ)	حلية الأولياء، دلائل النبوة
٢٤ ـ البيهقي (ت ٤٥٨ هـ)	السنن الكبرى، الأسماء والصفات دلائل النبوة، شعب الإيمان السنن الصغرى، معرفة السنن والآثار البعث والنشور

هذه مجموعة من المصنفات الحديثية التي روى أصحابها أحاديث علي ابن المديني رحمه الله فيها، وهناك مصنفات حديثية أخرى لم أذكرها هنا خشية الإطالة واكتفاءاً بما أوردته . .

وسأورد فيما يلي نماذج من أحاديثه التي رواها، وأخرجها أصحاب هذه المصنفات الحديثية رحمهم الله جميعاً .

قال البخاري رحمه الله :

١ ـ حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا بشر بن المفضل،

حدثنا يحيى بن أبي إسحاق:

(عن أنس بن مالك أنه أقبل هو وأبو طلحة مع النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ صفية مُردِفها على راحلته. فلما كان ببعض الطريق عثرَتِ الناقة، فصرع النبي ﷺ والمرأة، وأن أبا طلحة ـ قال: أحسب اقتحم عن بعيره، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله جعلني الله فداك، هل أصابك شيء؟

قال: لا، ولكن عليك بالمرأة.

فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه، فقصد قصدها فألقى ثوبه عليها، فقامت المرأة، فشد لهما على راحلتهما فركبا فساروا، حتى إذا كانوا بظهر المدينة ـ أو قال أشرفوا على المدينة ـ قال النبي ﷺ: (آيبون، تائبون، عابدون، لربنا حامدون)، فلم يزل يقولها حتى دخل المدينة)[1].

٢ ـ حدثنا علي بن عبد الله، قال: حدثنا سفيان، عن عمرو قال: أخبرني كريب، عن ابن عباس:

(أن النبي ﷺ نام حتى نفخ، ثم صلى ـ وربما قال ـ اضطجع حتى نفخ ثم قام فصلى).

ثم حدثنا به سفيان مرة بعد مرة، عن عمرو، عن كريب، عن ابن عباس قال:

(بت عند خالتي ميمونة ليلة، فقام النبي ﷺ من الليل، فلما كان في بعض الليل قام النبي ﷺ، فتوضأ من شن معلق

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٦١٨٥).

وضوءاً خفيفاً ـ يخففه عمرو ويقَلِّله ـ وقام يصلي، فتوضأت نحواً مما توضأ، ثم جئت فقمت عن يساره ـ وربما قال سفيان: عن شماله ـ فحولني فجعلني عن يمينه، ثم صلى ما شاء الله، ثم اضطجع فنام حتى نفخ، ثم أتاه المنادي فآذنه بالصلاة، فقام معه إلى الصلاة فصلى ولم يتوضأ.

قلنا لعمرو: إن ناساً يقولون إن رسول الله ﷺ، تنام عينه ولا ينام قلبه، قال عمرو: سمعت عبيد بن عمير يقول: رؤيا الأنبياء وحي. ثم قرأ: ﴿إني أرى في المنام أني أذبحك﴾ [الصافات: ١٠٢][١].

٣ ـ حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا سفيان قال: سمعت عبد الرحمن بن القاسم، قال: سمعت القاسم، يقول سمعت عائشة تقول:

(خرجنا لا نرى إلا الحج، فلما كنا بسرف حضت، فدخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قال: (ما لَكِ، أنفست؟)

قلت: نعم.

قال: (إن هذا أمر كتبه الله على بنات آدم، فاقضي ما يقضي الحاج، غير أن لا تطوفي بالبيت).

قالت: وضَحّى رسول الله ﷺ عن نسائه)[٢].

٤ ـ حدثنا علي بن عبد الله قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٩٤).

سليمان بن أبي مسلم، عن طاووس سمع ابن عباس رضي الله عنهما قال:

(كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: (اللهم لك الحمد أنت قيِّمُ السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملكُ السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد ﷺ، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إلّه إلا أنت، أو لا إلّه غيرك).

وقال سفيان: وزاد عبد الكريم أبو أمية: (ولا حول ولا قوة إلا بالله).

قال سفيان: قال سليمان بن أبي مسلم سمعه من طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ)[1].

قال ابن حبان:

٥ ـ أخبرنا أبو خليفة، قال:

حدثنا علي ابن المديني، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (١١٢٠).

حدثنا أبي، عن ابن اسحاق قال: حدثني عيسى بن عبدالله بن مالك، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن عطاء بن يسار:

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(إذا أراد أحدكم أمراً، فليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كان كذا وكذا ـ للأمر الذي يريد ـ خيراً لي في ديني ومعيشتي وعاقبة أمري، فاقدره لي ويسره لي وأعني عليه، وإن كان كذا كذا ـ للأمر الذي يريد ـ شراً لي في ديني ومعيشتي وعاقبة أمري، فاصرفه عني، ثم اقدر لي الخير أينما كان، لا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

٦ ـ أخبرنا أبو خليفة، قال:

حدثنا علي ابن المديني قال: حدثنا يحيى القطان قال: حدثنا عبيد الله بن عمر قال: حدثني نافع، عن ابن عمر:

(أن عبد الله بن أبي لما مات، جاء ابنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصلِّ عليه، وأستغفر.

قال: فأعطاه قميصه، وقال: (إذا فرغت فآذني حتى أُصلي عليه) فلما فرغ آذنه، فلما أراد أن يصلي عليه، جذبه عمر

---

(١) ابن حبان كما في الإحسان برقم (٨٨٥)، وأخرجه البزار (٣١٨٥) (٥٦/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٢٠٦). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/ ٢٨١) رواه أبو يعلى، ورجاله موثقون، ورواه الطبراني في الأوسط بنحوه.

رضوان الله عليه، وقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟

فقال النبي ﷺ:

(أنا بين خيرتين، قال الله: ﴿**استغفر لهم أو لا تستغفر لهم**﴾، قال: فنزلت: ﴿**ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره**﴾، قال: فترك الصلاة عليه)[1].

قال الإمام أحمد:

٧ ـ حدثنا علي بن عبد الله، حدثني محمد بن طلحة التيمي من أهل المدينة، حدثني أبو سهيل نافع بن مالك، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن أبي وقاص قال:

قال رسول الله ﷺ للعباس:

(هـذا العبـاس بـن عبـد المطلـب أجـود قـريـش كفـاً وأوصلها)[2].

٨ ـ حدثنا علي بن عبد الله، حدثني الوليد بن مسلم، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، قال: حدثني ربيعة بن يزيد، حدثني أبو كبشة السلولي، أنه سمع سهل بن الحنظلية الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ:

---

(١) أخرجه ابن حبان كما في الإحسان رقم (٣١٧٥)، والحديث أخرجه البخاري برقم (١٢٦٩)، ومسلم (٢٧٧٤)، والنسائي (٤/ ٣٦)، والترمذي (٣٠٩٨)، وابن ماجه (١٥٢٣)، وأحمد في المسند (٢/ ١٨)، من طرق عن عبيد الله بن عمير به.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ١٨٥).

(أن عيينة والأقرع سألا رسول الله ﷺ شيئاً، فأمر معاوية أن يكتب به لهما، ففعل. وختمه رسول الله ﷺ، وأمره بدفعه إليهما، فأما عيينة، فقال: ما فيه؟

قال: فيه الذي أمرت به، فقبله وعقده في عمامته، وكان أحكم الرجلين.

وأما الأقرع فقال: أحمل صحيفة لا أدري ما فيها كصحيفة المتلمس؟

فأخبر معاوية رسول الله ﷺ بقولهما.

وخرج رسول الله ﷺ في حاجة، فمر ببعير فناخ على باب المسجد من أول النهار، ثم مر به آخر النهار وهو على حاله.

فقال: (أين صاحب هذا البعير؟)

فابتغي فلم يوجد، فقال رسول الله ﷺ: (اتقوا الله في هذه البهائم، ثم اركبوها صحاحاً، وكلوها سماناً، كالمتسخط آنفاً، إنه من سأل، وعنده ما يغنيه فإنما يستكثر من نار جهنم).

قالوا: يا رسول الله، وما يغنيه؟

قال: (ما يغديه أو يعشيه))[1].

قال النسائي:

٩ ـ أخبرنا أبو داود قال:

أنا علي ابن المديني قال: أنا وهب بن جرير، قال: ثنا أبي

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ١٨٠ ـ ١٨١)، وابن حبان (٥٤٥) من طريق علي بن المديني به وإسناده صحيح.

قال: سمعت أيوب يحدث، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ قال:

(نزل جبريل إلى هاجر وإسماعيل، فركض عليه موضع زمزم بعقبه، فنبع الماء.

قال: فجعلت هاجر تجمع البطحاء حوله لا يتفرق الماء، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله هاجر لو تركتها كان عيناً معيناً».

قال ـ يعني وهب ـ: فقلت لأبي: حماد لا يذكر أُبي بن كعب، ولا يرفعه.

قال: أنا أحفظ لذا هكذا، حدثني به أيوب، قال وهب)[1].

قال الطبراني:

١٠ ـ حدثنا معاذ بن المثنى، ثنا علي ابن المديني، (ح)، وثنا أحمد بن عمرو الخلال المكي، ثنا محمد بن أبي عمر قالا: ثنا سفيان بن عيينة، عن الوليد بن كثير، عن وهب بن كيسان، عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال:

(كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، فكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال لي رسول الله ﷺ:

«يا غلام إذا أكلت فقل بسم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت تلك طعمتي بعد»[2].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٥/ ٩٩) برقم (٨٣٧٧)، وإسناده صحيح وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/ ١٢١).

(٢) أخرجه الطبراني في الدعاء (٢/ ١٢١٢) حديث رقم (٨٨٦)، وأخرجه=

١١ ـ حدثنا محمد بن هشام المستملي، ثنا علي ابن المديني، ثنا سفيان، عن قطر، عن أبي الطفيل قال:

(قلت لابن عباس: إن قومك يزعمون أن رسول الله ﷺ رمل وأنها سنة.

قال: صدقوا وكذبوا، فقد رمل وليست بسنة، ولكن قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، والمشركون على جبل قعيقعان، فبلغه أنهم يقولون: أن به هزلاً وبأصحابه، فأمرهم أن يرملوا ليريهم أن به قوة)(١).

قال الحافظ أبو الشيخ الأصبهاني:

١٢ ـ حدثنا الحذاء، نا علي ابن المديني، نا حماد بن أسامة، نا هشام بن عروة، عن رجل حدثه، أن عائشة رضي الله عنها سئلت: (كيف كان رسول الله ﷺ في بيته؟

قالت: كان يعمل كعمل أحدكم في بيته! يخيط ثوبه، ويخصف نعله)(٢).

= البخاري عن علي ابن المديني به مثله (٦/ ١٩٦).

وقد أخرجه مسلم برقم (٢٠٢٢)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٢٧٨)، وابن ماجه (٣٢٧٦)، وأحمد (٤/ ٢٦)، والحميدي (٥٧٠)، كلهم عن سفيان به مثله.

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ٣٢٥) رقم (١٠٦٢٦).

وقد أخرجه البخاري (١٦٠٢، ٤٢٥٦)، ومسلم (١٢٦٦)، وأبو داود (١٨٦٨)، الترمذي (٨٦٤)، النسائي (٥/ ٢٣٠)، ابن ماجه (٢٩٥٣)، والحميدي (٥١١).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي (ص ٢٢).

قال أبو يعلى الموصلي:

١٣ ـ حدثنا علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح المديني، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سعيد، حدثنا ابن عون، قال: سمعت جابر بن سمرة يقول:

(قال عمر لسعد: «لقد شكاك أهل الكوفة في كل شيء، حتى في الصلاة، فقال: أمد في الأوليين، وأحذف في الآخريين، وما آلوا ما اقتديت به من صلاة رسول الله ﷺ قال: «ذاك الظن بك، أو ظني بك»)[١].

١٤ ـ حدثنا ابن المديني، حدثنا محمد بن معن، حدثني جدي محمد بن معن، عن أبيه معن بن نضلة:

(أن نضلة لقي رسول الله ﷺ بمرين ومعه شوائل له، فحلب لرسول الله ﷺ في إناء، فشرب رسول الله ﷺ، ثم شرب من إناء واحد، ثم قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق، إن كنت لأشرب سبعة وما أمتلىء، فقال رسول الله ﷺ:

«إنَّ المؤمِنَ يَشْرَبُ في مَعيٍّ واحِدٍ، وإنَّ الكافِرَ يَشْرَبُ في سبعةِ أمعاء»)[٢].

---

(١) أخرجه أبو يعلى في المسند برقم (٧٤١) من طريق علي به، وأخرجه البخاري (١٧٧٠)، ومسلم (٤٥٣)، والنسائي (٢/ ١٧٤)، وأبو داود (٨٠٣)، وأحمد (١/ ١٧٥) من طريق شعبة.

(٢) أخرجه أبو يعلى في المسند برقم (١٥٨٥) وإسناده حسن، محمد بن معن الجد روى عنه أكثر من واحد، ولم يجرحه أحد ووثقه ابن حبان وباقي رجاله ثقات. وأخرجه أحمد (٣٢٧٤)، والبخاري في التاريخ=

قال أبو داود السجستاني:

١٥ ـ حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، ثنا علي ـ يعني ابن المديني ـ عن سفيان، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي محمد بن عمرو بن حريث، عن جده حريث رجل من بني عذرة، عن أبي هريرة، عن أبي القاسم ﷺ قال:

(إذا صلى أحدكم فليجعل تلقاء وجهه شيئاً، فإن لم يجد فلينصب عصاً، فإن لم يكن معه عصا فليخطط خطاً ثم لا يضره ما مر من أمامه).

قال سفيان: لم نجد شيئاً نشد به هذا الحديث، ولم يجىء إلا من هذا الوجه، قال: قلت لسفيان: إنهم يختلفون فيه، فتفكر ساعة ثم قال: ما أحفظ إلا أبا محمد بن عمرو، قال سفيان: قدم ههنا رجل بعدما مات إسماعيل بن أمية، فطلب هذا الشيخ أبا محمد حتى وجده فسأله عنه فخلط عليه»[1].

قال القاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي:

١٦ ـ حدثنا علي بن عبد الله، قال: ثنا حسين بن علي الجعفي، قال: ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، سمعته يذكر عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس بن أوس أن رسول الله ﷺ قال:

= (٨/ ١١٨ ـ ١١٩) من طريق محمد بن معن به.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/ ٨٠) رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني باختصار ورجاله ثقات.

(١) أخرجه أبو داود في السنن برقم (٦٩٠).

(إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة، فإن صلاتكم معروضة عليّ).

قالوا: يا رسول الله، كيف تعرض عليك الصلاة وقد أرمت! ـ يقولون: قد بليت ـ قال:

«إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[1].

قال البيهقي رحمه الله:

١٧ ـ أخبرنا أبو الحسن بن الفضل القطان ببغداد، أنبأ أبو سهل بن زياد القطان، ثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، ثنا علي ابن المديني، ثنا سفيان قال: حفظناه من الزهري، وقال مرة أخرى حدثناه عن سعيد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

(إذا أمن القارىء فأَمنوا، فإن الملائكة يُؤمِنونَ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه)[2].

قال القضاعي رحمه الله:

١٨ ـ أخبرنا أبو علي المحسن بن جعفر بن محمد بن أبي الكرام، ثنا أبو القاسم إسماعيل بن يعقوب المعروف بابن الحراب، أنبأ ابن أبي خيثمة أحمد بن زهير بن حرب، ثنا علي ابن المديني، ثنا معاذ بن هشام، ثنا أبي، عن عوف، عن

---

(١) أخرجه القاضي إسماعيل الجهضمي في فضل الصلاة على النبي برقم (٢٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن (٢/ ٥٥)، وقد أخرجه البخاري عن علي ابن المديني.

مُطرف، عن عمران بن حصين قال:

كان من دعاء النبي ﷺ:

(اللهم اغفر لي ما أخطأت، وما تعمدت، وما أسررت، وما أعلنت، وما جهلت، وما تعمدت)[1].

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب برقم (١٤٧٩). وقد أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٣٧)، والبزار كما في كشف الأستار (٤/ ٦١) رقم (٣١٩٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٤٢) حديث رقم (٢٤٢). وقال الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٧٢) ورجالهما رجال الصحيح غير عون العقيلي وهو ثقة.



الخَاتـمَة

هذه صفحات مضيئة من حياة الإمام علي ابن المديني رحمه الله، تشكل ملخصاً لحياته الشخصية والعلمية، ولعلّي أكون قد أبرزت أهم جوانب هذه الشخصية العظيمة، التي مهدت من أبواب العلوم الكثيرة التي كانت مغلقة حتى فتحها لمن بعده ليسلكوا خلالها، ويغترفوا من عبابها.

والحقُ أن إمامنا علي ابن المديني رحمه الله قد مهر في علم الحديث وعلله، ووقف على غوامضه، واستثار الخفي من فوائده، فجمع متفرقه، وألف مشتته، وضم بعضه إلى بعض، واشتغل بتصنيف أبوابه، وترتيب أصنافه، مما قوى نفسه، وثبت حفظه، وذكى قلبه، وشحذ طبعه، وبسط لسانه في هذا العلم، فأجاد البيان، وكشف المشتبه، ووضح الملتبس، فكسب جميل الذكر، وخلد عمله العلمي إلى آخر الدهر، حتى استحق أن يطلق عليه «أعلم أهل عصره»، وأن يوصف بأنه: «فيلسوف هذه الصنعة، وطبيبها، ولسان طائفة الحديث وخطيبها» رحمة الله عليه، وأكرم مثواه لديه.

والعلم كما هو معلوم لا يؤتي ثماره إلا لمن فرغ له قلبه،

وجمع له همه، وصرف إليه شغله، وقطع به وقته، وهذا هو حال إمامنا علي ابن المديني، بل هو أصدق وصف ينطبق عليه، فقد عاش حياته كلها للعلم وطلبه، وتعليمه، وتصنيفه، فأحيا الله ذكره مع خيار الأمة حتى انطبق عليه قول الشاعر:

يموت أقوام فيحيي العلم ذكرهم والجهل يُلحق أمواتاً بأموات

لقد كان إمامنا علي ابن المديني ممن انتفع طلبة العلم والعلماء بتصانيفه، التي لم يسبق إلى كثير منها، ولم يلحق في الكثير منها، فأقبلوا ينهلون من علومها الماتعة، ويقطفون من ثمارها الطيبة اليانعة، فكلما ذكروا علم العلل تبادر إلى أذهانهم فارس الميدان بلا منازع، وإمامه بلا مدافع علي ابن المديني رحمه الله.

والحق أن إمامنا علي ابن المديني يستحق من البحث والدراسة لشخصيته العلمية أكثر مما كتبت، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جلّه، وحسبي أن أكون قد وضعت أمام طلبة العلم صورة واضحة عن شخصية هذا الإمام، فإن وفقت فذلك من فضل الله أولاً وآخراً، وإن زللت فأسأل الله أن يكتب لي أجر المجتهد المخطىء، وفي الختام أسأل الله أن يجعل هذا الكتاب في ميزان أعمالي يوم القيامة إنه أكرم مسؤول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

إبراهيم محمد العلي

١٦/ رجب/ ١٤١٣ هـ

المـــراجع

١ ـ **الإتقان في علوم القرآن**: لجلال الدين السيوطي المتوفى (٩١١ هـ)، طبعة المكتبة الثقافية، بيروت ـ لبنان.

٢ ـ **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: تحقيق شعيب الأرناؤوط، طباعة مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٩١ م).

٣ ـ **أخلاق النبي ﷺ**: لأبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، (٣٦٩ هـ)، تحقيق أحمد محمد مرسي، طبعة النهضة المصرية ١٩٧٢ م.

٤ ـ **إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري**: لأحمد بن محمد القسطلاني المتوفى (٩٢٣ هـ)، طبعة بولاق.

٥ ـ **الانتقاء في مناقب الثلاثة الأئمة الفقهاء**: ليوسف بن عبد البر، طبعة دار الكتب العلمية.

٦ ـ **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث**: لابن كثير، شرح العلامة أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٧ ـ **البداية والنهاية**: لابن كثير، المتوفى (٧٧٤ هـ)، طبعة مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٧ م.

٨ ـ **تاريخ بغداد**: لأبي بكر الخطيب البغدادي، طبعة القاهرة، ١٩٣١ م.

٩ ـ **تاريخ التراث العربي**: لفؤاد سزكين، ترجمة د. محمود فهمي حجازي، نشر دار الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٠ ـ التاريخ الصغير: للبخاري، المتوفى (٢٥٦ هـ)، تعليق محمود إبراهيم زايد، دار الوعي والتراث، حلب ١٩٧٧ م.
١١ ـ التاريخ الكبير: للبخاري، طبعة دائرة المعارف العثمانية، الهند ١٣٦٢ ـ ١٣٨٠ هـ.
١٢ ـ تاريخ ابن معين: ليحيى بن معين، المتوفى (٢٣٣ هـ)، تعليق د. أحمد محمد نور سيف، طبعة جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
١٣ ـ تاريخ مكة: للأزرقي، تحقيق رشدي الصالح ملحس.
١٤ ـ تدريب الراوي: للسيوطي، المتوفى (٩١١ هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، طبعة دار الكتب الحديثة.
١٥ ـ تذكرة الحفاظ: للذهبي، المتوفى (٧٤٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي.
١٦ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك: للقاضي عياض، المتوفى (٥٤٤ هـ)، تحقيق أحمد بكير محمود، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت.
١٧ ـ تسمية من روى عنه من أولاد العشرة: لعلي ابن المديني، المتوفى (٣٢٤ هـ)، تحقيق الدكتور محمد علي جماز.
١٨ ـ تقريب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، ت: الشيخ محمد عوامة، طبعة دار الرشيد، حلب.
١٩ ـ تهذيب التهذيب: لابن حجر العسقلاني، طبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، ١٣٢٥ هـ.
٢٠ ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال: لأبي الحجاج المزي، المتوفى (٧٤٢ هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف، طبعة مؤسسة الرسالة.
٢١ ـ الثقات: لابن حبان البستي، تحقيق محمد عبد المعين خان، طبعة حيدر آباد، دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٣ م.

٢٢ ـ **جامع التحصيل في أحكام المراسيل**: لصلاح الدين خليل ابن كيكلدي العلائي، المتوفى (٧٦١ هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، وزارة الأوقاف العراقية، ١٣٩٨ هـ.

٢٣ ـ **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**: لأبي بكر الخطيب البغدادي، تحقيق محمود الطحان، طبعة مكتبة المعارف.

٢٤ ـ **الجرح والتعديل**: لأبي حاتم الرازي، المتوفى (٣٢٧ هـ)، طبعة دار الكتب العلمية.

٢٥ ـ **جزء القراءة خلف الإمام**: لمحمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤٠٥ هـ.

٢٦ ـ **خلق أفعال العباد**: لمحمد بن إسماعيل البخاري، طبعة مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤ هـ.

٢٧ ـ **الدعاء**: لسليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى (٣٦٠ هـ)، تحقيق محمد سعيد البخاري، طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

٢٨ ـ **الرحلة في طلب الحديث**: لأبي بكر الخطيب، تحقيق الدكتور نور الدين عتر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٩ ـ **السابق واللاحق**: لأبي بكر الخطيب البغدادي، المتوفى (٤٦٣هـ)، تحقيق محمد بن مظفر الزهراني، طبعة دار طيبة ـ الرياض.

٣٠ ـ **سنن ابن ماجة**: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة.

٣١ ـ **سنن أبي داود**: لأبي داود السجستاني، المتوفى (٢٧٥ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد نشرته دار إحياء السنة النبوية.

٣٢ ـ **سنن الترمذي**: تحقيق العلامة أحمد شاكر، طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٣٣ ـ السنن الكبرى: لأحمد بن الحسين البيهقي، طبعة الهند ١٣٥٢ هـ.
٣٤ ـ سنن النسائي: بشرح الحافظ السيوطي واعتناء الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، طبعة مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.
٣٥ ـ السنن الكبرى: للنسائي، لأبي عبد الرحمن النسائي، تحقيق د. عبد الغفار البنداري، وسيد كسروي، طباعة دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٣٦ ـ سؤالات حمزة السهمي: للدارقطني، تحقيق موفق بن عبد الله ابن عبد القادر، طبعة مكتبة المعارف ـ الرياض.
٣٧ ـ سؤالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة: لعلي ابن المديني، المتوفى (٢٣٤ هـ)، تحقيق موفق عبد الله عبد القادر.
٣٨ ـ سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١ هـ.
٣٩ ـ شذرات الذهب: لابن العماد الحنبلي، المتوفى (١٨٩ هـ)، طبعة دار المسيرة ـ بيروت، ١٣٩٩ هـ.
٤٠ ـ شرح علل الترمذي: لابن رجب الحنبلي، تحقيق الدكتور همام سعيد، طبعة مكتبة المنار ـ الزرقاء.
٤١ ـ شرح علل الترمذي: لابن رجب الحنبلي، تحقيق الشيخ صبحي السامرائي.
٤٢ ـ شرف أصحاب الحديث: لأبي بكر الخطيب، تحقيق د. محمد سعيد خطيب أوغلي، طبعة دار إحياء السنة النبوية.
٤٣ ـ شعب الإيمان: لأحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد زغلول، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ.
٤٤ ـ صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء الكتب العلمية، ١٣٣٤ هـ.

٤٥ ـ الضعفاء: لمحمد بن عمرو العقيلي، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤٠٤ هـ.

٤٦ ـ طبقات الحفاظ: لجلال الدين السيوطي، طبعة دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ.

٤٧ ـ طبقات الشافعية الكبرى: لعبد الوهاب السبكي، تحقيق محمود محمد الطناحي، طبعة البابي الحلبي، مصر.

٤٨ ـ الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد، المتوفى (٢٣٠ هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، طبعة دار بيروت للطباعة.

٤٩ ـ العلل في الحديث: الدكتور همام عبد الرحيم سعيد، طباعة دار العدوي ـ عمان.

٥٠ ـ العلل ومعرفة الرجال: لابن المديني، تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي، طبعة المكتب الإسلامي.

٥١ ـ العلل ومعرفة الرجال: لابن المديني، المتوفى (٢٣٤ هـ)، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الوعي ـ حلب.

٥٢ ـ عمل اليوم والليلة: لأحمد بن شعيب النسائي، المتوفى (٣٠٣ هـ)، تحقيق د. فاروق حمادة، طبعة مؤسسة الرسالة (١٤٠٦ هـ).

٥٣ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: لابن حجر، المتوفى (٨٥٣ هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة المكتبة السلفية.

٥٤ ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث: لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، المتوفى (٩٠٢ هـ)، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، طبعة المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

٥٥ ـ فضل الصلاة على النبي: لإسماعيل القاضي، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي.

٥٦ ـ قرة العينين في رفع اليدين في الصلاة: للبخاري.
٥٧ ـ الكامل في الضعفاء: لعبد الله بن عدي، المتوفى (٣٦٥ هـ)، طبعة دار الفكر، ١٤٠٤ هـ.
٥٨ ـ كشف الأستار عن زوائد البزار، لنور الدين أبي بكر الهيثمي، تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩ م.
٥٩ ـ الكفاية: لأبي بكر الخطيب، تحقيق أحمد عمر هاشم، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ.
٦٠ ـ الكواكب النيرات: لابن الكيال، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، طبعة دار المأمون للتراث.
٦١ ـ لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٣٩٠ هـ.
٦٢ ـ المجروحين: لابن حبان، تحقيق محمود إبراهيم زايد، طبعة: دار الوعي.
٦٣ ـ مجمع الزوائد: للهيثمي، المتوفى (٨٠٧ هـ)، طبعة مكتبة القدسي ـ القاهرة.
٦٤ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: للحسين بن عبد الرحمن الرامهرمزي، تحقيق محمد عجاج الخطيب، طبعة دار الفكر، بيروت، ١٣٩١ هـ.
٦٥ ـ مسند أبي يعلى الموصلي: المتوفى (٣٠٧ هـ)، تحقيق حسين أسد، طبعة دار المأمون للتراث ـ دمشق.
٦٦ ـ مسند أحمد بن حنبل: طبعة المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت ١٣٩٨ هـ.
٦٧ ـ مسند الحميدي: تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت.

٦٨ ـ **مسند الفاروق**: لابن كثير الدمشقي، المتوفى عام (٧٧٤ هـ)، تحقيق د. عبد المعطي قلعجي، طبعة دار الوفاء ـ القاهرة، ١٩٩١ م.
٦٩ ـ **مسند الشهاب**: لمحمد بن سلامة القضاعي، المتوفى (٤٥٤ هـ)، تحقيق حمدي السلفي، طبعة مؤسسة الرسالة.
٧٠ ـ **معرفة علوم الحديث**: لأبي عبد الله الحاكم، تحقيق د. معظم حسين، المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة.
٧١ ـ **المعرفة والتاريخ**: ليعقوب بن سفيان الفسوي، المتوفى (٢٧٧ هـ)، تحقيق د. أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة ـ بيروت.
٧٢ ـ **مفتاح السعادة ومصباح السيادة**: لطاش كبرى زاده، دار الكتب العلمية ـ بيروت.
٧٣ ـ **مقدمة ابن الصلاح**: عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، المتوفى (٦٤٣ هـ)، تحقيق د. نور الدين عتر، طبعة دار الفكر.
٧٤ ـ **المنتقى**: لابن الجارود، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني.
٧٥ ـ **موارد الخطيب**: للدكتور أكرم ضياء العمري.
٧٦ ـ **المؤتلف والمختلف**: لعلي بن عمر الدارقطني، المتوفى (٣٨٥ هـ)، تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٦ هـ.
٧٧ ـ **الموطأ**: لمالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة دار إحياء التراث العربي.
٧٨ ـ **الموقظة في علم مصطلح الحديث**: لشمس الدين الذهبي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، طبعة مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.

٧٩ ـ ميزان الاعتدال: للذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة.
٨٠ ـ النجوم الزاهرة: لابن تغرى بردى، المتوفى (٨٧٤ هـ)، طبعة وزارة الثقافة ـ مصر.
٨١ ـ النكت على مقدمة ابن الصلاح: للحافظ ابن حجر، المتوفى (٨٥٢ هـ)، تحقيق الدكتور ربيع بن هادي عمير، مطبوعات المجلس العلمي لإحياء التراث/ الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة.
٨٢ ـ هدي الساري مقدمة فتح الباري: لابن حجر، المكتبة السلفية.
٨٣ ـ الوافي بالوفيات: لصلاح الدين الصفدي، نشر فراتز شتاينر، ١٣٩٤ هـ.
٨٤ ـ وفيات الأعيان: لابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، طبعة دار صادر ـ بيروت.

الفهــرس

أعــلام المسلمين

سلسلة تراجم إسـلامية تجمـع بين العلم والفكـر والتوجيـه، وتتناول أعلام المسلمين في شتى الميادين.

صدر منها:

١ ـ عبد الله بن المبارك
تأليف: محمد عثمان جمال

٢ ـ الإمام الشافعي
تأليف: عبد الغني الدقر

٣ ـ مصعب بن عمير
تأليف: محمد حسن بريغش

٤ ـ عبد الله بن رواحة
تأليف: د. جميل سلطان

٥ ـ أبو حنيفة النعمان
تأليف: وهبـي غاوجي الألباني

٦ ـ عبد الله بن عمر
تأليف: محيـي الدين مستو

٧ ـ أنس بن مالك
تأليف: عبد الحميد طهماز

٨ ـ سعيد بن المسيّب
تأليف: د. وهبة الزحيلي

٩ ـ السلطان محمد الفاتح
تأليف: د. عبد السلام فهمي

١٠ـ الإمام النووي
تأليف: عبد الغني الدقر

١١ـ الشيخ محمد الحامد
تأليف: عبد الحميد طهماز

١٢ـ السيدة عائشة
تأليف: عبد الحميد طهماز

١٣ـ الإمام البخاري
تأليف: د. تقي الدين الندوي المظاهري

١٤ـ عبادة بن الصامت
تأليف: د. وهبة الزحيلي

١٥ـ عبد الله بن عباس
تأليف: د. مصطفى الخن

١٦ـ جابر بن عبد الله
تأليف: وهبـي غاوجي الألباني

١٧ـ أحمد بن حنبل
تأليف: عبد الغني الدقر

١٨ـ كعب بن مالك
تأليف: د. سامي مكي العاني

١٩ـ أبو داود
تأليف: د. تقي الدين الندوي المظاهري

٢٠ـ أسامة بن زيد
تأليف: د. وهبة الزحيلي

٢١ـ معاوية بن أبـي سفيان
تأليف: منير الغضبان

٢٢ـ عدي بن حاتم الطائي
تأليف: محيـي الدين مستو

٢٣ـ مالك بن أنس
تأليف: عبد الغني الدقر
٢٤ـ عبد الله بن مسعود
تأليف: عبد الستار الشيخ
٢٥ـ معاذ بن جبل
تأليف: عبد الحميد طهماز
٢٦ـ الإمام الجويني
تأليف: د. محمد الزحيلي
٢٧ـ القاضي البيضاوي
تأليف: د. محمد الزحيلي
٢٨ـ عبد الحميد بن باديس
تأليف: مازن مطبقاني
٢٩ـ تميم بن أوس الداري
تأليف: محمد محمد حسن شراب
٣٠ـ السلطان عبد الحميد الثاني
تأليف: د. محمد حرب
٣١ـ السيدة خديجة
تأليف: عبد الحميد طهماز
٣٢ـ زيد بن ثابت
تأليف: صفوان داوودي
٣٣ـ الإمام أبو جعفر الطبري
تأليف: د. محمد الزحيلي
٣٤ـ أبو موسى الأشعري
تأليف: عبد الحميد طهماز
٣٥ـ أبو عبيد قاسم بن سلام
تأليف: سائد بكداش
٣٦ـ أبو جعفر الطحاوي
تأليف: عبد الله نذير أحمد
٣٧ـ سفيان بن عيينة
تأليف: عبد الغني الدقر
٣٨ـ الحافظ ابن حجرِ العسقلاني
تأليف: عبد الستّار الشيخ
٣٩ـ العز بن عبد السلام
تأليف: د. محمد الزحيلي
٤٠ـ عمر بن عبد العزِيز
تأليف: عبد الستار الشيخ
٤١ـ الإمام القرطبي
تأليف: مشهور حسن سلمان
٤٢ـ سعد بن الربيع
تأليف: محمد علي كاتبي
٤٣ـ الإمام الغزالي
تأليف: صالح أحمد الشامي
٤٤ـ الإمام الزهري
تأليف: محمد محمد حسن شراب
٤٥ـ عبد القادر الجيلاني
تأليف: د. عبد الرزاق الكيلاني
٤٦ـ الإمام البيهقي
تأليف: د. نجم عبد الرحمن خلف
٤٧ـ محمد بن الحسن الشيباني
تأليف: د. علي أحمد الندوي
٤٨ـ أبي بن كعب
تأليف: صفوان داوودي
٤٩ـ الإمام مسلم بن الحجاج
تأليف: مشهور حسن سلمان
٥٠ـ الإمام الذهبي
تأليف: عبد الستار الشيخ